سمير عبده

الطوائف المسيحية في سوريا

نشأتها تطورها تعدادها

حسن

منشورات دار حسن ملص

- الطوائف المسيحية في سوريا
  نشأتها تطورها تعدادها

- تأليف: سمير عبده

- الطبعة الأولى : شباط ٢٠٠٣

دار حسن ملص للنشر
دمشق- سوريا – ص.ب ٦١٧٤
هاتف:٤٤١٩٦٥٣
فاكس : ٤٤٢٨٠٠٥
التنضيد الضوئي و الإخراج : مايا أدهم

- موافقة وزارة الإعلام رقم ٧٢٨٥٥ تاريخ ٢٠٠٢/٩/٢٤

مقدمة

يتناول هذا الكتاب الطوائف المسيحية في سوريا الطبيعية، و بالأخص في الجمهورية العربية السورية، من ناحية نشوئها وتطورها و تعدادها، لا من زاوية ضيقة بمعنى حصري، بل يتناول الكنيسة الحية الإنطاكية التي تشمل هويتها الطوائف الفردية مع الطوائف الأخرى، و منها ما (أوجدت) في هذه المنطقة وأصبح لها رعاياها كالإنجيليين و اللاتين.

و إذا كانت الكنيسة المشرقية تبدو بهذا الانقسام، فإن شخص يسوع الناصري بما كان فيه من ثورة جعل عند المسيحيين دائماً الإيمان بالقدرة على الخروج من أنفسهم و تجاوز أنانيتهم.

إن خلافات المسيحيين هي خلافات فلسفية بالإمكان التغلب عليها، حيث تحتجز كل فرقة خلاص المسيح لمصلحة بنيها، و كلما وجدت تربية دينية مسكونية لهذا الشعب بدءا من البيت والكنيسة و المدرسة، كلما وجد أن وحدة الكنيسة تتقدم.

و منذ الستينات من القرن الماضي أخذت الحركة المسكونية تتموضع في هذه المنطقة بشكل متطور بعد أن شعر الكل أن المسيحية في سوريا الطبيعية- ربما- تكون في طريق الزوال بعد خمسين أو مئة سنة. و حتى لا نغالي فيما نقول (فقد قدر عدد سكان دمشق عام ١٨١٦ بـ ١٠٠٠٠٠نسمة من بينهم ٢٥ ألف مسيحي) (١) و من النتائج الظاهرة كذلك- على سبيل العينة العشوائية- أنه في بداية القرن العشرين كان ثلث أهالي حماه من المسيحيين (٢) أما الآن فهم بحدود عشرة بالمئة.

إذن الوجود المسيحي في هذه المنطقة مهدد بسبب عوامل كثيرة، من بينها أن المسيحية منقسمة على نفسها دون أن تكون لها إستراتيجية موحدة، مما جعل الهجرة سبيل تطلعها إلى عالم جديد، و هو ما جعل الكل ينبه إلى ذلك.

1- Khoury, George: Provence of Damascus PH.D. Disirtation the University of Michigan 1978 P 158.

٢- مجلة المشرق- بيروت العدد ٢١ السنة الخامسة ١ تشرين الثاني سنة ١٩٠٢ ص ٩٥٣

ثمة هجرة كبيرة و متعاظمة و منظمة للمسيحيين السوريين من شأنها إذا ما استمرت بهذا التسارع، إحالة (مهد) المسيحية من كونه وجوداً قائماً متنامياً، إلى كونه منتهياً صالحاً فقط لأعمال التنقيب الآثاري، التي لا تستطيع في حالاتها كلها إعادة ضخ الروح في أركان هذا (المهد)، بل من المؤكد أن البعثات الأثرية ستعمد، كما فعلت دائماً إلى اقتسام أركان هذا (المهد) و تحنيطها في متاحف العالم. (١)

و حتى محمد حسنين هيكل ينبه إلى خطر هجرة المسيحيين السوريين قائلاً:

(و أشعر- و لا بد أن غيري يشعرون كذلك- أن المشهد العربي كله سوف يختلف إنسانياً وحضارياً و سوف يصبح على وجه التأكيد اكثر فقراً و أقل ثراء لو أن ما يجري الآن من هجرة مسيحيي المشرق تلك أمره للتجاهل أو التغافل أو للمخاوف حتى و إن لم يكن لها أساس). و ينتهي هيكل في تحديده لطبيعة هذا الخطر المحدق بالإسلام متسائلاً: (أي خسارة لو أحس مسيحيو المشرق- بحق أو بغير حق- إنه لا مستقبل لهم و لأولادهم فيه، ثم بقي الإسلام وحيداً في المشرق لا يؤنس وحدته غير وجود اليهودية الصهيونية- بالتحديد- أمامه في إسرائيل). (٢)

أسئلة كثيرة راودتنا و نحن ندرس هذه الطوائف المسيحية الإحدى عشرة التي تناولناها، بحيث إن بعضها تقلص عدده إلى واحد بالمئة خلال الستمائة سنة الماضية، حتى أن هناك العديد من الطوائف بات عدد مهاجريها أكثر من أفرادها في الوطن.

لهذا وضع هذا الكتاب مع الكتب الأخرى التي سبقته : (المسيحيون السوريون خلال ألفي عام)٢٠٠٠ و (المسيحيون السوريون قديماً و حديثاً)٢٠٠٠ و (المسيحيون في سوريا على عتبة الألف الثالث)٢٠٠٢ ليطلع القارئ على الواقع المسيحي في هذه المنطقة، كيف نشأت طوائفهم وتطورت و ما هو عدد نفوسها التقديري.

و برأينا، مهما عانت المسيحية السورية من انقسامات، فإن من يدرس حركة تطورها سيلحظ كم استفادت من بعضها البعض في تجديد خطابها و حفظ تراثها مسايرة للتطور. فدخول الإنجيليين- مثلاً- إلى هذه المنطقة جعل من الكاثوليك و الأرثوذكس يحذون حذوهم في جذب أبناء رعيتهم إلى البناء الثقافي والاجتماعي المكمل لعمل الكنيسة. هكذا خلال مئة و خمسين عاماً استطاع المسيحيون أن يتطوروا بتطور عمل الكنيسة، أكثر من ألف عام مضى كادوا بها يصبحون على أعتاب الأمية بعد أن وصلوا إلى أعلى مراتب العلم و المعرفة في عصري الأمويين و العباسيين.

١- صحيفة السفير- بيروت ٢٠٠١/٤/٣٠ ص ٢٣ نزار سلوم

٢- مجلة وجهات نظر- القاهرة العدد ١٤ السنة ٢ آذار ٢٠٠٠ ص ١٤ محمد حسنين هيكل

إن المسيحيين السوريين، بكل طوائفهم و في مختلف أقطارهم كانوا رصيداً إيجابياً في بناء الحضارة العربية الإسلامية أولاً و في دعم و رسوخ الفكرة القومية ثانياً، و يجب أن نفكر دائماً من منطلق يسعى إلى وضعهم في قلب العروبة، لا أن يكونوا على أطرافها عناصر هامشية، لأن عطاءهم التاريخي يقول بغير ذلك، كما أن جهدهم القومي المتواصل لا يمكن إنكاره.

(و لقد أثبتت الدراسات النوعية للمجتمعات الحديثة أن التعددية نعمة و أن وجود الأقليات ميزة، فالوجود المسيحي العربي يعطي أمتنا شخصية متميزة و يثبت رحابة تاريخها و تنوع حضارتها. و الأمم الناهضة و الشعوب الذكية تبرع في توزيع الأدوار عند اللزوم و تجعل من الاختلافات الدينية و المكونات الحضارية مصدراً لتعظيم مصالحها و تحقيق أهدافها و الدفاع عن غاياتها). (١)

* * *

إن الغاية من هذا الكتاب، مساعدة القارئ العربي، مهما تكن ديانته، في الإطلاع على نشوء الطوائف المسيحية في هذه المنطقة و تطورها و تعدادها. لهذا فبعد المقدمة، هناك فصل (المسيحية من الوحدة إلى الطوائف المتعددة) و به شرح واف لكيفية قيام المسيحية و من ثم الانشقاقات التي عصفت بها، إلى أن تعددت طوائفها و تباينت وجهات نظرها.

و في الفصل الثاني تناولنا به (المسيحية و معرفة الآخر) بدأنا باستشهادات عن كيفية تجاهل مسيحية المنطقة في كتابة التاريخ و من ثم كيفية تقزيم الطوائف المسيحية لبعضها البعض حين تناول تاريخها أو أعلامها ، حتى (فترت) لغة الخطابة هذه بعض الشيء، و أصبحت الأطراف المسيحية تحترم بعضها البعض.

أما الفصل الثالث فيتناول (الطوائف المسيحية من الأكثرية إلى الأقلية) و به دراسة متأنية وجديدة عن التحول الحاصل في كون المسيحية كانت تشكل أكثرية سكان سوريا الطبيعية و كيف غدت الآن أقلية و كأنها تتلاشى، مع دراسة عن وضع سكانها إلى الوقت الحالي.

و أوردنا دراسة لكل طائفة من الطوائف الإحدى عشرة التي درسناها بتسلسلها الأبجدي وهي : طائفة الأرمن الأرثوذكس، طائفة الأرمن الكاثوليك، طائفة الآشوريين، طائفة الإنجيليين، طائفة الروم الأرثوذكس، طائفة الروم الكاثوليك، طائفة السريان الأرثوذكس، طائفة السريان الكاثوليك، طائفة الكلدان، طائفة اللاتين، طائفة الموارنة.

١- صحيفة الحياة – لندن ٢٠٠١/١٢/١١ مصطفى الفقي

لقد أوردنا أسماء الطوائف أعلاه، كما هي معروفة جماهيريا، و إن كان بعضها يطلق عليه أسماء أخرى.

و أخيراً، كان هناك فصل توثيقي يتناول أسماء أساقفة و بطاركة أنطاكية، اخترناه إلى أن يصل بنا إلى الكرسي (الملكي) للروم الكاثوليك و الأرثوذكس، مع مشقة ذلك في أسماء الأعلام في اختلافها بين طائفة و أخرى.

* * *

في المراجع العربية و الإسلامية ثمت لبس في إطلاق اسم المسيحيين، ففي القرآن الكريم نجد أن المسيحيين هم (النصارى) و هي فرقة معينة تقول بمسيحية ذات طابع يهودي، و أطلقها البعض على المسيحيين السريان بتشعبات الطوائف المنبثقة عنها، فيما أتى ذكر المسيحيين في القرآن الكريم على (الروم) البيزنطيين المنتمين إلى دولة روما الجديدة مما أوجد لبساً لدى المسلمين لا يزالون يعتبرون به بعض معتنقي الدين المسيحي في العالم العربي و كأنهم مواطنون في إمبراطورية أخرى لا في الدولة الإسلامية. و يرى فؤاد أفرام البستاني أن النصارى هم مسيحيو الشرق من العائشين خاصة في ظل الدولة الإسلامية، سواء أكانوا ممن أصلهم سرياني، و ميز العرب النصارى والروم أي مسيحيي بيزنطية. (١)

هذه الازدواجية في التسميات ليست متأتية عن المسلمين فقط بل عن المسيحيين أنفسهم أحيانا، إذ إن لكل كنيسة من الكنائس السورية مؤرخوها، لكن ليس من مؤرخ واحد كرس جهده وأبحاثه للكنيسة السورية ككل، و استثنى هنا كتاب الأب جان كوربون في كتابه (كنيسة المشرق العربي). يتكلم كل مؤرخ عن جماعته و عند الاقتضاء عن الكنائس بصيغة الجمع ساكتاً عن الكنيسة بصيغة المفرد، و أن اللجوء إلى دراسات المستشرقين لمعرفة الكنائس المسيحية في هذه المنطقة على حقيقتها لا يفي بالغرض المطلوب لأن المستشرقين لا يتكلمون عن الكنيسة السورية بل يتكلمون عن كنائس وضعوا مواصفاتها هم.

و تبقى ثقافة الكنيسة المسيحية في سوريا لها بعدها عن ثقافات الغرب، فقد كانت الانطلاقة الأولى في التبشير بالمسيحية في منطقتنا قائماً على أيدي مسيحيين من ذوي الثقافة السريانية من فلسطين و سوريا وما بين النهرين. و عند ظهور الإسلام كانت الكتب المقدسة و الطقوس تستعمل اللغة السريانية. و هذا ما أوجد هوة بين العربية المحكية و عربية الطقوس و الكتب المقدسة. و لو أن الإسلام ظهر بعد تاريخ ظهوره بقرن أو بقرنين فلربما وجد خصوصاً في الجزيرة العربية، مسيحيين

١- مجلة المشرق- بيروت السنة ١٩٣٨/٣٦ ك٢ – آذار ص ٧١-٧٢ فؤاد أفرام البستاني

أكثر نضوجاً في ثقافتهم العربية. و القضية كانت قضية زمن بالنسبة إلى هؤلاء عكس ما حدث للشعب السوري في سوريا الطبيعية، حيث أتاح للكنائس ذات الثقافة السريانية أن تنمي هويتها في هذه المنطقة.

و في وقت لا حق أخذت الثقافة السريانية و اليونانية بالتراجع لحساب العربية التي كانت في اتساع تدريجي، حيث كانت المسيحية الأدبية تتعرب بسرعة، و هو ما مهد إلى ترجمة الكتب المقدسة تدريجياً إلى لغة الثقافة، و جعل اللغة العربية تدخل شيئاً فشيئاً في الخدم الطقسية المسيحية. و أن وجود الأخطل (٧١٠) في الحاشية الأموية في دمشق و هو شاعر سرياني، و الامتيازات التي كان يتمتع بها، يجعلنا نتصور أن هذا الشاعر لم يذهب بفصاحته الشعرية عن عبث، فقد وجدت العربية مكاناً لها بين المسيحيين السوريين و من بينهم السريان.

و في شرح ذلك نقول، بعد أن تبنت انطاكية الليتورجيا البيزنطية بقيت اللغة السريانية مسيطرة، إلا أنها عرفت بعض الانحسار بالنسبة إلى ما كانت عليه قبل القرن العاشر. و هي إن بقيت اللغة الليتورجية الرسمية في أقضية الداخل، و إن استعُملت أحياناً في مدن الساحل، و حتى في أنطاكية، إلا أن اللغة اليونانية طغت عليها في مناطق الاحتلال البيزنطي، و من ثم اللغة العربية التي اتسع انتشارها، إذ إننا، في آخر القرن الثالث عشر، نجد غالبية الكتب الطقسية الليتورجية معربة.

هذا التطور في لغة الكنيسة اقتضته الظروف تبعاً للتطورات التاريخية التي سادت في هذه المنطقة، و تكمن أهميته في استيعاب مسيحيي سوريا لهذه الأمور و العمل على التواجد و الانتشار والمشاركة مما شكل في الحقيقة تنوعاً و حراكاً في المجتمع السوري أعطى أثره في الحضور الاجتماعي و الاقتصادي والثقافي و السياسي في هذه المنطقة، يكفي القول إنهم أوجدوا الصحافة العربية، و أسهموا في دور رئيسي في النهضة العربية، و في إحياء اللغة العربية مما أرسى فكرة القومية العربية.

كما أن انفتاحهم على الأفكار و العلوم و النظم الاجتماعية الحديثة في الغرب بسبب مشاطرتهم صفته المسيحية جعلهم ينهلون من العلم في وقت مبكر و يأخذون مراكز قيادية في مجالات التربية و التعليم والثقافة و الطب وغيرها من المهن العلمية.

علينا القول في بحث كالذي نقدمه أنه بقدر ما تتطلبه مهمة الباحث من نزاهة حاولنا أن لا ندع للعاطفة و الحماس الشخصي مجالاً للطغيان على عقليتنا و حجب منزلقات و هوالك البحث عنا، فقد نظرنا إلى الأمور، بالعين التي تستشف نور الحق، و لم ينفذ إحساسنا إلا من خلال القلب المنفتح دائماً للترحيب بأي نقد قد يوجه لنا.

لا يسعني في نهاية هذه المقدمة سوى التنويه إلى النقص الوارد في بعض المعلومات- الحالية- المتعلقة بالطوائف المسيحية في سوريا تحديداً، حيث هناك فقر فيها لدى المعنيين بها حين مراجعتهم والدراسة قيد الإنجاز.

و إنـي لأوجـه الشكر إلى القيمين علـى مجلة المشرق التي أغنتني فـي مهمتي. فمن خلال مطالعة أعدادها الأول ١٨٩٨ إلى ٢٠٠٢ شكلت لي زاد معرفي لا يمكن تجاهله في أي دراسة توضع عن مسيحية هذه المنطقة، مع الدراسات التي احتوتها أعدادها على مر السنين من غزارة المعرفة، والتي أصبحت تصدر كل ستة أشهر مرة فيما كان صدورها في بداياتها كل أسبوعين و من ثم كل شهر. و أذكر هنا جهود المرحومين الأب لويس شيخو و الأب هنري لامنس اللذين واكباها على مدى عشرات السنين، و الجهد الذي بذلاه في خدمة التراث المسيحي و الآداب العربية.

كما أتقدم بخالص الشكر و العرفان بالجميل إلى الأب الدكتور فكتور شلحت، مع الأب الدكتور رامي الياس، و القيمين على دير الآباء اليسوعيين في دمشق لضيافتهم لي في مكتبة الدير لسنة كاملة و تعاونهم معي في أي مرجع أبغيه.

مع شكري للقارئ الحصيف الذي تابعني عبر هذه الدراسات، متمنياً للجميع التوفيق.

سمير عبده

ص. ب ٩١١٤

دمشق

المسيحية من الوحدة إلى الطوائف المتعددة

ولد السيد المسيح في بيت لحم إحدى مدن فلسطين، في عهد الأمبراطور الروماني أوغسطوس قيصر. و ابتدأ يبشر الناس بتعليمه في عهد الإمبراطور طيباريوس، و قد بلغ من العمر حوالي الثلاثين عاماً. و لم يتخط في حياته حدود الديار المقدسة إلا نادرا و في فترات وجيزة، فقد مر بجنوب لبنان، في تخوم صور وصيدا و جنوب سوريا، و في بانياس على الجولان.

و مما ورد في تعليم السيد المسيح عقيدة الثالوث الأقدس، و هي عقيدة تطلعنا على حياة الله الداخلية، و تصف لنا محبته غير المحدودة للبشر أجمعين. فإن هذه المحبة قد حملت الله الآب على أن يرسل إلى العالم ابنه الوحيد، فلبس جسداً مثلنا ليكفر عن خطايانا، و يرد إلينا الحرية المفقودة، و يمنحنا النعمة الإلهية و يجعلنا أبناء الله، و يفتح لنا باب السماء.

و اتسمت شخصيته بالطهارة و التواضع و الوداعة و المحبة و بذل النفس في سبيل الجميع و لا سيما في سبيل الفقراء و صغار هذا الدهر.

كما لم يعمل على تأسيس دولة أرضية و لا ديناً قومياً يتصف بطابع محدود، بل أسس كنيسة جامعة و هي جمعية دينية خالصة، لها طابع شامل و روحي ميزها عن الدولة الزمنية تمييزا واضحاً، و للكنيسة سلطتها و أنظمتها و قوانينها و هدفها الأسمى و تاريخها الخاص، و هو يختلف عن تاريخ الشعوب المسيحية.

جابهت الكنيسة في قرونها الثلاثة الأولى الكثير من الصعاب، حيث كان التأسيس و الفتح السلمي، و زمن الوحدة الشاملة و المحبة الكنسية الخالصة و الدولة لا تعترف بكيانهم، حيث كان سكان العالم الروماني إجمالاً متمسكين بالآلهة الوثنية و كانوا يعتبرون الدين الوثني تراثا لا يمكن التخلي عنه، فاعتبروا المسيحيين قوماً مارقين قد خانوا وطنهم و تخلوا عن قوميتهم و تراثهم التليد.

و امتدت بشارة الإنجيل إلى مدن فينيقية و قبرص، و بلغت مدينة أنطاكية عاصمة سوريا، واضحت هذه المدينة الواسعة مقراً هاماً للديانة المسيحية، ففيها حمل المؤمنون لقب (المسيحيين)، وفيها ابتدأوا يبشرون الوثنيين ايضاً بالمسيح. و كما كانت القدس مركز التبشير بالنسبة إلى العالم اليهودي كذلك اصبحت أنطاكية نقطة الانطلاق بالنسبة إلى العالم الوثني. (١)

و من أهم الشخصيات التي رافقت البدء في انتشار المسيحية القديس بولس الذي ولد في (طرسوس) قرب مدينة أورفا التركية حالياً و بعد أن تتصر أضحى واحداً من الرسل و اتخذ مدينة انطاكية مقراً له و قام برحلات تبشيرية مهمة وصل خلالها إلى روما عاصمة الإمبراطورية، حيث كانت هناك جالية مسيحية هامة.

و المسيحيون الأولون كانوا من أصل يهودي، و قد بقوا مدة من الزمن محافظين على التقاليد والطقوس اليهودية، إلا أن المقاومة العنيفة التي لاقوها من قبل اليهود و اعتناق الوثنين للنصرانية قد ميزا المسيحيين عن اليهود، و تم هذا التمييز على مراحل أخذت بعض الوقت.

نعود لنقول إن اضطهاد المسيحية في الأمبراطورية الرومانية التي كانت سوريا ترزح تحتها دام رسمياً ثلاثة قرون و لم تطبق أساليبه بنفس العنف، كما لم يشمل في الوقت عينه جميع أرجاء الأمبراطورية. فقد اتبع الأباطرة تجاه المسيحيين سياسة دينية اختلطت باختلاف الأزمنة و الأقطار والأحداث.

و لم يكن لدين جديد أن ينتشر دون وجود نظام كنسي، و بدأ ذلك حين تأسست الكنيسة في القدس والتف المؤمنون حول الرسل الاثني عشر. فأخذ هؤلاء على عاتقهم مهمة إدارة شؤون الكنيسة بزعامة بطرس الرسول الأول. و لما كثر المؤمنون و تعددت مطاليبهم اختار الرسل سبعة شمامسة ليساعدوهم على تسيير الأمور المادية. و لكن اليهود شنوا على المسيحيين اضطهاداً عنيفاً فتبدد الرسل و انتشروا في البلاد المجاورة، فأسسوا كنائس جديدة أقاموا عليها في مختلف المدن مجالس كهنة عهدوا إليهم مهمة ممارسة السلطة الروحية و الزمنية تحت إشرافهم الأعلى. و ظل الأساقفة حقبة من الزمن يتنقلون من مدينة إلى اخرى لا يستقرون في موضع ثابت، فانحصرت السلطة المحلية في المدينة بين أيدي الكهنة الذين كانوا يمارسونها بطريقة جماعية. ثم تبدلت الأنظمة في نهاية القرن الأول، فأصبح لكل مدينة أسقف واحد مستقرا فيها.

و اقتضى الأمر بعد أن كثرت الكنائس و الأساقفة أن يكون هناك رابط يجمع هؤلاء، فألفت الوحدات الإدارية تحت سلطة أسقف عاصمة الإقليم حيث عقد أساقفة الإقليم المجامع الأقليمية، وتكرر انعقادها، ومن أهمها في هذه الفترة المؤتمر الذي عقد عام ١٨٠ لدحض بدع المونتانين في بلاد آسية الصغرى و تراقية، وفي القرن الثالث كثر انعقادها حتى أصبحت تعقد في العام مرتين .

١- الأب ميشيل يتيم، الأب اغناطيوس ديك: تاريخ الكنيسة الشرقية مطبعة الإحسان- حلب ١٩٦٣ ص ١٦

و إلى القرن الثالث كان قد مر على المسيحية خمس بدع كان أولها المونتانية و صاحبها هو الكاهن مونتانس المعتنق للمسيحية مدعياً أنه هو الروح القدس الذي تحدث عنه يسوع و وعد به المسيحيين. أما الناصريون و الأبيونيون فهم جماعة من اليهود المتنصرين الذين ظلوا متمسكين بالتقاليد و الفرائض الموسوية. و ثالثهم كان الغنوس أو العرفان و أدعى أصحابه أنهم وحدهم يصلون إلى المعرفة السامية المختفية عن الجمهور و فيها تتجلى لهم أسرار الله و الكون. و رابعهم المانوية و هي نشأت في بلاد الفرس وتتلخص تعاليمها أن في الكون مملكتين متعاديتين، مملكة الخير و الله ربها، و مملكة الشر و الشيطان زعيمها، و هاتان المملكتان لا تهدآن عن المعارك العنيفة التي تجرى في عالمنا هذا بين النفوس و الأجساد. وخامس البدع كان المغالطات الثالوثية و التثليث و هي بقيت محصورة بين العلماء و المعلمين و لم تنتشر بين أفراد الشعب.

و تجاه ظهور البدع ظهر من يدافع عن المسيحية متزوداً بالعقل و الفلسفة من خلال مدرستي الإسكندرية و أنطاكية، الأولى أخذت النزعة الصوفية و التأويل الرمزي لأقوال الكتاب المقدس، والثانية تخالف اتجاه الأولى في التفسير و الأخلاق و الفلسفة و التثليث و في سر التجسد.

و بين ظهور البدع و هاتين المدرستين حاولت الوثنية أن تجدد قواها بنشر ديانة انتقائية تملأ فراغ القلوب و لكن محاولاتها باءت بالفشل.

و في هذه الأثناء أخذت تتوطد أركان المسيحية في معظم بلاد المشرق وروما والقسطنطينية وأصبح هناك حكام و ملوك مسيحيون حتى أن البعض أعاد للوثنية نفوذها، و لكن الكنيسة انتصرت في هذه الحقبة على أعدائها من الخارج و قضت على الوثنية قضاء تاماً.

على أن الخلافات العقائدية أخذت تتسع بين مدرستي الإسكندرية و أنطاكية و غيرهما من المدن على حيثية من مثل: (طبيعة، جوهر، أقنوم، شخص) حيث مدار البحث في القرن الرابع تناول سر الثالوث الأقدس، بينما قام الجدل في القرنين الخامس و السادس حول سر التجسد الإلهي، و هذا ما جعل الملوك يتدخلون في هذه المسألة.

و من أبرز البدع التي ظهرت في مطلع القرن الرابع كانت لأحد كهنة الإسكندرية، و يدعى آريوس معترفا بكيان الأقانيم الثلاثة غير أنه رأى أن الآب هو وحده الإله الحقيقي السرمدي غير المخلوق. و عقد رئيس أساقفة مصر الكسندر مجمعا درسوا تعاليم أريوس و شجبوها و أمروا بفصل صاحبها عن الكنيسة، ولكنه كان قد أوصل آراءه اللاهوتية إلى زملائه القدماء في مدرسة لوقيانوس الأنطاكي فأيدوا وجهة نظره.

هذه البلبلة في اتجاهات الكنيسة أوصلت إلى عقد المجمع المسكوني الأول في نيقية عام ٣٢٥ حيث تم فصله بسبب آرائه غير الصحيحة، و جرى نفيه. و لكن بعد ثلاث سنوات رجع آريوس ومن كان معه مما أنعش الآريوسية و طالت يده رئيس أساقفة أنطاكية سنة ٣٣٠ القديس أوستاتيوس.

تفاعلت آراء آريوس و أحدثت شرخا في التعاليم الدينية المسيحية عبر عشرات السنين إلى أن عقد المجمع القسطنطيني الأول عام ٣٨١ و هو المجمع المسكوني الثاني. و عقد في روما سنة ٣٨٢ مجمع مماثل أقر أعمال المجمع القسطنطيني. و في هذه الأثناء كانت الآريوسية تودع من اعتنقوها.

و ظهر نسطوريوس المترهب في أحد الأديرة القريبة من انطاكية، و أضحى سنة ٤٢٨ أسقفاً على مدينة القسطنطينية. و سمع بعض المؤمنين يلقبون مريم العذراء (بوالدة الله) فقاوم هذا اللقب و قد توهم أنه ينكر على المسيح ألوهيته أو إنسانيته، و هذا ما جعل القديس كيرلس رئيس أساقفة الإسكندرية يهب لمقاومتها، و هو ما استدعى أن يعقد مجمع مدينة أفسس عام ٤٣١.

و تجلى في هذا المجمع تضارب الآراء مرة ثانية بين أنصار مدرستي الإسكندرية و أنطاكية وحاول ممثلو المدرسة الأولى اتخاذ قراراتهم دون أن يتمكن ممثلو مدرسة أنطاكية من الوصول إلى المجمع. و بعد تسوية تم حرمان نسطوريوس و نفيه إلى صحراء ليبيا حيث مات منفرداً. و لكن أنصاره لم يموتوا و التجؤوا إلى مملكة فارس حيث أصبح مذهبهم المذهب الرسمي للكنيسة الفارسية أو الكلدانية أو الآشورية.

في مقابل ما تم لنسطوريوس ظهر الراهب أوطيخا و قد أضحى رئيس دير كبير في القسطنطينية، بآراء مناقضة لها تماما، متطرفاً بأقواله و مواعظه و وقع في نقيضها، فأكد أن في المسيح طبيعة واحدة، وأنه لا يشبهنا لأن طبيعته الإنسانية قد اضمحلت في طبيعته الإلهية و ذابت بها. و كانت هذه الآراء بمثابة ثورة على ما تعارف عليه رجال الدين المسيحي من تعاليم محددة بخصوص طبيعة المسيح.

و بعد مناقشته و تضارب الآراء بشأنه استدعى الأمر عقد مجمع مسكوني في أفسس عام ٤٤٩ باشتراك ١٣٠ أسقفا و أيده المصريون و عارضه السوريون حتى أن البابا حين تناهت إليه إجراءات مجمع أفسس سماه مجمع اللصوص.

و بين تدخل الأباطرة و البابا و مصر و سوريا و مدرستا الإسكندرية و أنطاكية عقد مجمع خلقيدونية عام ٤٥١ و هذه مدينة قريبة من القسطنطينية، و جاوز حضور المؤتمر ٥٠٠ أسقف ثبتوا حرم أوطيخا و برزوا ساحة فلابيانوس، و جددوا حرم نسطوريوس، و بعثوا إلى البابا لاون برسالة تؤكد أن في المسيح طبيعتين كاملتين متميزتين في أقنوم واحد.

و هنا أخذت تبدو بطريركية أنطاكية القديمة، كنائس مختلفة نشأت من جراء خلافات في تفسير العقيدة المسيحية و التعبير عنها في كلام لاهوتي. و كما رأينا بدأ الخلاف سنة ٤٣١ في مجمع أفسس، ثم سنة ٤٥١ في المجمع الخلقيدوني حول الألفاظ التي يجب استعمالها للتعبير عما في المسيح من لاهوت و ناسوت. فعندما أقر المجمع أنه يجب القول إن المسيح شخص واحد في طبيعتين: طبيعة إلهية وطبيعة إنسانية، رفضت بعض الكنائس هذا القول و تمسكت بتعبير آخر: المسيح هو طبيعة

واحدة من طبيعتين. فالذين رفضوا مجمع خلقيدونية كوّنوا في مصر الكنيسة القبطية الأرثوذكسية و في أنطاكية الكنيسة السريانية الأرثوذكسية. و منذ القرن الخامس انفصلت كنيسة أنطاكية الواحدة إلى كنيستين: كنيسة لقبت بالملكية، لأنها تبعت الملك مركيانوس إمبراطور القسطنطينية الذي دعا إلى مجمع خلقيدونية و تبنى قراراته، و كنيسة دعيت بالمونوفيزية أي القائلة بالطبيعة الواحدة، و هي اليوم الكنيسة السريانية الأرثوذكسية.

و بتعبير آخر و بعد هذين المجمعين انقسم المسيحيون على مسائل الكريستولوجيا إلى ثلاثة مذاهب رئيسة:

١- النساطرة الذين تبعوا نسطور، الذي رأى في المسيح شخصاً بشرياً و شخصاً إلهياً، و رفضوا وحدة الشخص المحددة في مجمع أفسس و قد تركزوا لاحقاً في العراق وإيران و آسيا الوسطى و الهند وبلغت رسالتهم الصين.

٢- المونوفيزيون الذين رفضوا ثنائية الطبيعة المحددة في مجمع خلقيدونية و قالوا بطبيعة إلهية واحدة للمسيح، وهم يقطنون بلاد الشام و مصر و الحبشة. و قد يطلق اسم السريان على أقباط مصر أنفسهم. أما الأرمن فمذهبهم مشابه و أن كان يمتاز بعض الشيء، و لم تكن الشركة بينهم و بين السريان والأقباط قائمة بنوع مستمر.

و السريان هنا لا تعني مذهباً خاصاً بل تشمل السريان الأرثوذكس و النساطرة و أحياناً الملكيين. وكانوا ينعتون أيضاً النساطرة بالسريان الشرقيين و (اليعاقبة) بالسريان الغربيين. و كانوا يتميزون، علاوة على مذهبهم، بطريقة كتابتهم السريانية.

٣- الخلقيدونيون الذين قبلوا ثنائية الطبيعة المحددة في مجمع خلقيدونية، و رأوا في المسيح طبيعة بشرية وطبيعة إلهية و تبنوا المذهب الخلقيدوني و هو المذهب الرسمي للإمبراطور البيزنطي [١] و هم يقطنون البلاد العربية، سوريا و فلسطين ومصر. و هم أيضاً نصارى الغرب التابعين لبابا روما ومسيحيو المملكة البيزنطية و ما يتبعها من بلاد المسكوب.

و كان قرارات المجمع الخلقيدوني أقرب للغرب منه إلى الشرق أي سوريا و مصر، وأخذت المقاومة ضد مقررات هذا المجمع تنمو و تشتد حيث إن من القرارات الإدارية التي اتخذها المجمع جعل القسطنطينية تنال المكانة الثانية بعد كنيسة روما متجاهلة حقوق كنيستي الإسكندرية و انطاكية ، و هما كنيستان لهما حقوق رسولية قديمة. و قد كانت هذه القرارات أقرب إلى القوة السياسية السائدة منها إلى الطبيعة الشرقية للمسيحية.

١- مجموعة مؤلفين: المسيحية عبر تاريخها في المشرق مجلس الكنائس الشرق الأوسط- بيروت ٢٠٠١ ص ٤٤٧ جيرار ترويو

و ظهرت الكنائس المونوفيزية شاملة السريان الأرثوذكس و كذلك الأقباط و الأرمن، و هم مع قولهم بالطبيعة الواحدة مثل القديس كيرلس يشجبون آراء أوطيخا و يعترفون بأن المسيح إله كامل و إنسان كامل. و الخلاف بين المجموعتين هو اختلاف لفظي في التعبير عن عقيدة واحدة مشتركة فيما بينهم بشأن اتحاد اللاهوت و الناسوت في شخص واحد، شخص المسيح.

و الكنائس التي وافقت على قرارات مجمع خلقيدونية وجدت نفسها بعد التدخل السياسي خمس كنائس بعد إقرار الملك يوستتيانوس في القرن السادس لها، و هذه الكنائس تشرف على شؤون الأبرشيات الأخرى دون مقاومة أو اعتراض، مقسمة العالم الروماني إلى خمس بطريركيات تخضع لها جميع أبرشيات الدولة و منح أساقفتها لقب بطريرك. و هذه البطركيات الخمس هي روما والقسطنطينية و الإسكندرية وأنطاكية و القدس، لكن بطريرك روما يلقب بالبابا و له أسبقيته على البطاركة الآخرين. و هذا ما سوف يتضح حين شقت المسيحية بين الكاثوليكية و الأرثوذكسية فأصبحت الأولى عاصمتها روما.

أما في سوريا فقد كانت هناك محاولات للتوفيق بين المونوفيزية و خصومها الخلقيدويون، ولعب كل دوره و بنفوذه السياسي ليسيطر على الأخر، و لكن الراهب يعقوب البرادعي استطاع أن يثبت آرائه راسماً الأساقفة و الكهنة فانقسمت البطريركية الأنطاكية بين الملكيين و السريان، الأولون وجدوا في المناطق الساحلية و الجنوبية و السريان في الجهات الشرقية و الشمالية مع بعض الاستثناءات.

و تضاءلت رقعة دولة الروم بعد الفتح العربي ففقدت الأقطار التي كانت فيها الثقافة اليونانية سطحية و الانقسامات الدينية عميقة. و أضحت دولة الروم بعد الفتح العربي دولة يونانية شرقية فتخلت عن اللاتينية و أحلت محلها اليونانية و جعلتها لغة رسمية، حتى أن الأمبراطور أهمل لقبه اللاتيني واستعاض عنه بلقب يوناني.. فاسيلفس، أي الملك.

و أضحت (الكنيسة البيزنطية) كنيسة الأمبراطورية الرومانية الشرقية مرتبطة بالمملكة المسيحية والحضارة اليونانية و العقيدة الأرثوذكسية، و لم يبق داخل حدودها إلا الروم وحدهم، و قد اجتمعوا في بطريركية واحدة هي بطريركية القسطنطينية.

و لا يمكن التقليل مما أوجدته هذه الكنيسة من إشعاع فكري و ديني بعيد المدى، أثر كثيرا على رعاياها في المناطق السورية.

و في الاتجاه الآخر أعطت الكنائس المونوفيزية رعاياها البعد القومي لبلادها: القبطية أضحت كنيسة المصريين، و الأرمنية كنيسة أرمينيا و السريان الأرثوذكس الكنيسة السورية، التي يحمل اسمها المعنى القومي لسوريا و للكنيسة التي تمثلها... كل هذه الكنائس سعت أن تعمق الوعي القومي لأوطانها دون أن يكون لها امتدادها خارج بلادها، و هذا ما جعلها تقاوم الإغراءات الأجنبية

وتشبث بخصوصيتها، و هو ما افقدها لاحقاً التواصل مع الغرب المسيحي، فيما استفاد الملكيون من هذا التواصل ثقافياً و حضارياً.

و في القرن السابق حصل انقسام داخل صفوف الملكية و ظهرت فئة الموارنة، و المؤرخون السريان يميزون آنذاك بين الملكيين المكسيميانيين و الموارنة. و يعنون بالمكسيميانيين أنصار القديس مكسيموس المُعترف المناضل عن المشيئتين في المسيح، و هو الرأي الذي أقر رسمياً في المجمع القسطنطيني الثالث سنة ٦٨١ الذي حرم المونوفيزيين أو أنصار المشيئة الواحدة في المسيح و حاول الملك هرقل فرض هذا الرأي لتوحيد الكنيسة في شقيها الخلقيدوني. و لا نعثر على علاقات بين الموارنة والكراسي الرسولية الأخرى قبل عهد الصليبيين.(١)

علينا التذكير أن الكنيسة الأنطاكية حافظت على وحدتها و تماسكها برئاسة أسقف العاصمة، البطريرك الأنطاكي طالما بقي الانسجام و التكامل بين مختلف العناصر. ثم إن عوامل عدة منها دينية وروحية و منها حضارية و ثقافية و منها سياسية و عنصرية أدت إلى انشطار البطريركية الأنطاكية إلى طوائف عدة. و بعد أن أصبح هناك فئة سريانية و فئة ملكية ثبت الفتح العربي هذا الانقسام واعترف لكل من الطائفتين بنفس الحقوق. و أخذت كل منهما تتطور بنوع مستقل و مالت الطائفة الخلقيدونية نحو البيزنطيين وسماها أخصامها بالملكية بينما تشددت الطائفة اللاخلقيدونية في طابعها السرياني و تخلت عن استعمال اليونانية و نعتها أخصامها باليعقوبية نسبة إلى الراهب يعقوب البرادعي.

و يبدو أن البطريرك الأنطاكي في القرون الأولى كان له بعض النفوذ في مناطق المملكة الفارسية في العراق و إيران، على أن كنيسة هذه المناطق أعلنت استقلالها التام عن أنطاكية في مطلع القرن الخامس، نظراً إلى العداوة المستحكمة بين الدولتين الفارسية و الرومانية. ثم إن الكنيسة في بلاد فارس تمسكت رسمياً بالمذهب النسطوري بعد أن طورد أنصار هذا المذهب من المملكة الرومانية، لا سيما من الرها. إلا أن الفئات المسيحية التي لم تقبل بالنسطورية بقيت مرتبطة بالبطريركية الأنطاكية في شقيها.

توسعت المسيحية كثيراً، خاصة في أوربا و أضحى لها نفوذها الكبير على دولها، فيما بقي الملكيون و البيزنطيين وحدهم- و هم من أنصار مجمع خلقيدونية- مشتركين مع روما و الغرب في وحدة الكنيسة الجامعة. و كانت دعائم هذه الوحدة الإيمان بنفس المعتقدات التي أقرتها المجامع المسكونية، والاشتراك في الأسرار الكنسية، و الاعتراف بأسبقية البابا بين مصاف البطاركة الخمسة وبزعامته العليا.(٢)

١- مجلة المسرة- حريصا السنة ٦٧ ك ٢ - شباط ١٩٨١ ص ٣٩

٢- الأب ميشيل يتيم، الأب اغناطيوس ديك: تاريخ الكنيسة الشرقية مرجع سابق ص ١٧٧

و أخذ التباعد يظهر بين سلطة البابا و سلطة الأمبراطور البيزنطي مما أوجد اصطدامات كثيرة بينهما، شقتها إلى شطرين، مرات متعددة، و كانت هذه الانشقاقات تزول و تعود الوحدة إلى مجراها الطبيعي، ثم تنتكس إلى عام ١٠٥٤ و هو التاريخ الذي يمكن القول به إن الكنيسة انقسمت إلى اللاتينية و الملكية، الأولى اتباع البابا و الثانية اتباع كنيسة القسطنطينية. (١)

في هذا الانقسام بدا الغرب كاثوليكي برئاسة بابا روما و الشرق أرثوذكسي برئاسة بطريرك قسطنطينية، و لم تكن تسمية الأرثوذكس متداولا بها في ذاك الوقت، و أحدث هذا الانقسام شرخاً في المسيحية بدا أكبر من انقسام المونوفيزية و النسطورية، فدائرة نفوذ كلتا الكنيستين كبير و واسع يشمل مئات الملايين من البشر، فيما الانقسام الأول كان أفراده لا يتجاوزون العشرين مليوناً. و منذ ذاك الوقت سعت روما إلى كثلكة الشرق خاصة مع بدء الحملة الصليبية على سوريا.

و بذلت مساعي كثيرة لإعادة تحقيق الاتحاد المنشود، منها مجمع ليون ١٢٧٤ و مجمع فلورنسة عام ١٤٣٩ و قد عقد اتحاد بين مختلف الكنائس الشرقية و الكنيسة الرومانية في مجمع فلورنسة و لكن لم يدم طويلاً لأنه وليد الظروف السياسية و لم ينبثق عن رغبة عميقة من شعوب الشرق و الغرب بل كان نتيجة مفاوضات قام بها الرؤساء وحدهم دون استشارة رغبات شعوبهم. وتغيرت الأوضاع تغييرا طفيفاً في أواخر القرن السادس عشر، فأسس البابا غريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٧٦ مدرسة القديس اثاسيوس لليونان وفي عام ١٥٨٤ مدرستين أخريين لكل من الموارنة والأرمن، و تم الاتصال برؤساء الطوائف الشرقية لتقريبها إلى الكثلكة و بقيت المحاولات مستمرة وضانية، و على أثرها تم شق طوائف الملكيين أو الروم والنسطورية إلى آشورية و كلدانية و الأرمنية و السريانية.

و قبل هذا ظهرت البروتستانتية في الغرب و ما لبثت أن زاحمت الكاثوليكية و أوقعت حروباً مريرة بينهما على الساحة الأوربية، و منذ القرن التاسع عشر بدأ ظهورها في الشرق و ما لبثت أن تواجدت بشكل كبير في نهاياته من أفراد الطوائف الشرقية الذين انضموا إليها.

رأي الغير في الانقسامات المسيحية

أضعفت الخلافات العقائدية في الكنيسة المسيحية الواحدة من قوتها و صمودها، و وصلت المنازعات و الحروب إلى أشدها بين شعوبها، لنذكر على سبيل المثال حرب الوردتين التي استمرت

١- هناك تفصيل لهذا الانشقاق في: سمير عبده : المسيحيون السوريون قديماً و حديثاً دار علاء الدين- دمشق ٢٠٠٠ ص ٦٥-٦٦

لقرنين من الزمن بين الكاثوليكية و البروتستانتية، أو التعامل العنصري الذي أتبعته طائفة ضد أفراد طائفة أخرى، والحرمان الذي أوقعه هذا الفريق ضد أفراد الفريق الآخر فيما إذا تفاهما وأرادا الاقتران... على سبيل المثال، أو تغيب دور هذه الطائفة على الصعيد العلمي و الحضاري لحساب طائفة أخرى، مما أوقع خطلاً وزيفاً في الكثير مما كتب في سيَر التاريخ، أو الاستيلاء على أماكن العبادة للغير و نسبتها إلى الطائفة الأقوى في المنطقة، أو إلى الكره الذي وضعه السريان لبيزنطية حين دخل الإسلام إلى بلاد الشام.

(و الحقيقة إن القوة العسكرية وحدها لا يمكن أن تفسر انتشار الإسلام، بل لابد من التنبيه إلى قدرة التعاليم الإسلامية المبسطة على اكتساح القلوب، و كذلك إلى تداعي الدول المسيحية التي كانت تدافع عن النصرانية و تشتت أمرها و تنافر مذاهبها، حتى إن الكثير من أتباعها فضلوا التحالف مع المسلمين و دفع الجزية إليهم). (١)

و في مصر، بلغ الكره و الاستعداء أشده بين الأقباط و البيزنطيين، حتى إن عمرو بن العاص في معاهدته مع المصرين بعد فتحه لمصر يقول:

(هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم و أموالهم وملتهم وكنائسهم و صلبانهم و برهم و بحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك و لا ينتقص). و كان الروم قبل فتح العرب لمصر قد حاربوا المذهب المسيحي الذي كان يعتنقه المصريون حينئذ و هو المذهب اليعقوبي، وحاولوا أن يفرضوا عليهم مذهباً مسيحياً آخر هو المذهب الملكاني الذي كانت تعتنقه الروم، و عينوا بطريركاً ملكانياً على مصر، و عزلوا البطريرك اليعقوبي المصري، و هو الأنبا بنيامين الذي اختفى فراراً من بطش الروم. فلما تم تحرير مصر على يد عمرو بن العاص أعطى الأمان للأنبا بنيامين فظهر، و أعاد إليه جميع مناصبه، و صرح له بفتح الكنائس اليعقوبية التي كان قد أغلقها الروم، و سمح له بإعادة عباداتها وشعائرها إليها، و سمح لأتباع كل مذهب بممارسة شعائرهم وطقوسهم وفق تعاليم مذهبهم في حرية و أمن واطمئنان. (٢)

أما المؤرخ العراقي د. جواد علي فقد أوجز ما كتبه مؤرخو العرب حول الانقسامات المسيحية من أمثال (الشهرستاني) و (ابن خلدون) و (القلقشندي) في كتابه (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) (٣) حيث يقول:

١ـ مجموعة مؤلفين: الإسلام و النصرانية من الصدام إلى الحوار المكتبة البولسية- حريصا ١٩٩٢ ص ١٩ سعد غراب

٢ـ = = = = = = = = ص ١٥ مرجع سابق عبده سلام

٣ـ د. جواد علي: المفصل في تاريخ للعرب قبل الإسلام) عشرة أجزاء – الجزء السادس دار العلم للملايين /١٩٧٨ ط٤ ص ٦٢٣ـ٦٢٤

(اصيبت النصرانية بما أصيبت به أكثر الأديان من تشقق و تصدع و انفصام، فظهرت فيها شيع وفرق، تخاصمت في ما بينها و تجادلت. و كان أكثر جدالها في موضوع طبيعة المسيح و علاقة الأم بالابن، و في موضوع النفس. و قد عقدت لذلك جملة مجامع كنسية للنظر في هذه الآراء و الحكم على صحتها أو فسادها، و في أمر أصحابها، اجتمع فيها مندوبون من مختلف الأماكن و بينهم بعض الأساقفة العرب. غير أنها لم تتمكن من القضاء على النزعات المختلفة، فظهرت فيها جملة مذاهب،حرمت المجامع أصحابها، وحكمت ببدعتهم و بخروجهم عن التعاليم الصحيحة، و طلبت من بعضهم الرجوع إلى الدين الصحيح، غير أن منهم من أصر على رأيه، و تحزب له، و بشر به، فوجد أنصاراً و أعواناً انتموا إليه و تسموا به.

و الواقع أنه لم يكن من السهل على الداخلين في النصرانية فهم قضية معقدة كهذه القضية، وهي قضية فلسفية جدلية أكثر منها عقيدة دينية. و لذلك كان من الطبيعي وقوع الاختلاف فيها، وتشتت آراء النصرانية بالقياس إليها، خاصة و هي حديثة العهد، و اكثر الداخلين فيها هم ممن دخلوا حديثاً في هذا الدين، و ليس لهم الإدراك العميق و الخيال الواسع لفهم موضوع كهذا الموضوع. ثم إن النصرانية ديانة عالمية، لم توجه إلى أمة خاصة من الأمم، و قد جاءت ككل الأديان بأحكام لا بد و أن يختلف الناس في فهمها، لاختلاف المدارك والثقافات، وهذا الاختلاف في الفهم يؤدي إلى ظهور المذاهب والشيع و إلى تناحر هذه المذاهب، و إدعاء كل واحد منها أنه وحده على الحق، و أن ما دونه على الباطل و الهرطقة و الكفر.

لقد فتح بولس الرسول و أتباع المسيح الآخرون ميداناً واسعاً من الجدل في موضوع المسيح: هل المسيح إنسان، أو هو رب، أو هو من خلق الرب؟ و هل هو و الرب سواء، أو هو منفصل عن الرب؟ هذه الأسئلة و أمثالها مما يتصل بطبيعة المسيح شغلت رجال الكنيسة، و كتلتهم كتلا: كل كتلة ترى أن رأيها في الطبيعة هو الرأي الصواب، و أنه هو الدين الحق القويم، و أن ما دونه ضلال و باطل. فظهرت المذاهب: شرقية و غربية، و انقسمت الكنيسة الواحدة كنائس، و لا تزال تنشق، و يزيد عددها و تظهر أسماء جديدة لمذاهب لم تكن معروفة في النصرانية القديمة.

لقد كان الناصريون الأولون، و هي التسمية القديمة التي عرفت بها النصارى، في فوضى فكرية. فلم تكن تعاليم المسيح مفهومة عندهم و لا مهضومة. و كانت تفاسير تلاميذه غير منسقة و لا مركزة تركيزاً يكفي لتوجيه الناصريين وجهة معينة واحدة. ثم إن تعقب اليهود و الرومان للنصارى وتنكيلهم بهم، و خوف الناصري على حياته و على ماله إذ تظاهر بدينه: كل هذه كان لها أثر خطير في المجتمع النصراني الأول. ولولا جلد بعض التلاميذ و تفانيهم في الدعوة، و تذكيرهم لتعاليمها و تبويبها و صقلها، لما كان للنصرانية ذكر باق حتى الآن.

و ليس باستطاعة احد الزعم بأن هذه النصرانية التي تركزت و تثبتت على هذه الصورة التي نشهدها هي النصرانية التي جاء بها المسيح و كان عليها الناصريون، أي أقدم أتباع عيسى.

فالنصرانية هي سلسلة تطورات و أفكار و آراء وضعها البارزون من الآباء، ثم إنها كأكثر الأديان تأثرت بمؤثرات عديدة لم تكن من الممكن على الداخلين فيها التخلص منها. فدخلت فيها وصارت جزءاً منها، مع أن بعضها مناهض ومناقض لمبادئ هذا الدين).

هذا بعض ما كتبه د. جواد علي في تقصيه لنشوء المسيحية و الانشقاقات التي رافقتها في تطورها، و هي وجهة نظر غير مسيحية أرادت أن تبين وجهة نظرها في نشوء و ارتقاء المسيحية.

إن المؤرخين المسلمين ينظرون إلى انقسامات المسيحيين كأحداث تاريخية يحللونها كما يحللون سائر أحداث التاريخ، و يرون فيها أمراً مشتركاً مع سائر الأديان. إلا أنهم يعتبرون أن أهم أسبابها صعوبة العقائد المسيحية و عدم وضوح التعاليم الإنجيلية، و بنوع خاص تأثر المسيحية بالأفكار الفلسفية. ويستنتجون أن المسيحية الحالية ليست التي بشر بها السيد المسيح . (١)

الطوائف المسيحية و تمنيات إعادة اللحمة لها

مهما تكن نوعية الانشقاقات التي حدثت في الكنيسة المسيحية، فإنها كانت نتيجة طبيعية للفكر الشرقي و الفكر الغربي الذي سادها. صحيح باعدت بين الأطراف المسيحية و لكنها- برأينا- أعطتها زخم الاستمرار بعد أن أصبحت عالمية. و أصبحت هناك كنائس – فصلت- لتوافق الشعب الذي يدين بها، حتى أننا نرى صورة المسيح في أفريقيا بسحنته الإفريقية، و اليابان بسحنته اليابانية. كما أن بعض الكنائس في إفريقيا- الحبشة على سبيل المثال – تقيم صلواتها لأكثر من أربع ساعات و ١١١ يوم في السنة يصوم به مسيحيو أثيوبيا، فيما أن الصلاة في الكنائس الأمريكية لا تستغرق الساعة.

هناك قديسون محليون في مناطق من العالم أصبحت الكنائس تدين لهم أكثر مما تدين لأصولية القديسين الأولين.. كل ذلك من جراء التطور!؟ .

١- مجلة المسرة – حريصا ك ٢ – شباط السنة ٨٣/ ١٩٩٧ ص ٦٠ المطران كيرلس سليم بسترس

و لكن الكنيسة الشرقية تبقى هي الأساس و المعتمد، و قد تعمقت بها الخلافات نتيجة جذب الغرب والشرق لها، حتى أن من سار على درب روما اكتشف فجأة أنه بدأ يفقد خصوصيته الشرقية، فأخذت حرب (الليتنة) بعداً كبيراً لدى رؤساء الطوائف الكاثوليكية التي مبعثها الشرق. و لهذا بذلت الجهود و تعالت الدعوات إلى أي شكل من أشكال الاتحاد أو الوحدة، بعد أن وعى الشعب في هذه المنطقة إلى ما جرت إليه هذه الانقسامات من إضعاف للدور المسيحي.

و قد كان تخصيص المسيحيين ابتداء من العام ١٩٠٧ أسبوعاً للصلاة من أجل وحدة الكنيسة، يبدأ في ١٨ كانون الثاني، من الخطوات الجادة لإذابة هذا الانشقاق. فالانشقاق التاريخي الحاصل بين الكنيستين الأرثوذكسية و الكاثوليكية مضى عليه قرون من الزمن، و أصبحت اللقاءات والحوارات مستمرة بين الطرفين لأجل إيجاد صيغة للتفاهم تردم هوة هذه الانشقاقات.

و من مظاهر الانشقاق المسيحي التي يستغربها أفراد الديانات الأخرى غير المسيحية- على سبيل المثال- الأعياد التي يحتفل بها كل طرف، حتى أنها قد تمتد لأكثر من خمسة أسابيع بين العيدين الكاثوليكي والأرثوذكسي، و هو ما يجعل أفراد الشعب المسيحي يستغربون عدم توحيدها و تحييدها عن مسألة إيمان هذه الكنيسة أو تلك.

و لكن وجهة نظر المطران جورج خضر متروبوليت جبل لبنان للروم الأرثوذكس تذهب إلى أن المسارين متلازمان، و هو ما أبقى الخلاف قائماً:

(أنا لست من دعاة فصل موضوع العيد عن المشكلة الرئيسة التي هي مشكلة الإيمان. فماذا ينفع هنا أن نعّيد في يوم واحد و بيننا خلافٌ رهيبٌ في شأن مكانة بابا روما و عصمته؟ لِمَ نعطي الانطباع لأنفسنا و للناس أننا واحد و نحن لسنا واحداً؟ أما إذا ظن بعضهم أن هذا يعزز الشعور السيكولوجي بالوحدة فلا مانع عندي. و هناك لجان تعمل على هذا الأمر، لكنه ليس أمراً سهلاً. و قد أباح البابا بولس السادس في أواسط الستينات للكاثوليك الشرقيين العائشين في مناطق أكثريتها أرثوذكسية أن يعيّدوا الفصح مع الأرثوذكس، و سار على هذا الكاثوليك في الأردن وفلسطين و مصر، و لم يقبل بهذا الكاثوليك في لبنان و لا الأرمن الأرثوذكس الذين يعيّدون مع الغربيين. توحيد العيد إذن ممكن بسبب هذا السماح الذي صدر عن البابا. أما على الصعيد العالمي، فتصوري أن الأمر يحتاج إلى توعية شعبية في العالم الأرثوذكسي. في شرق أوربا أحدث اعتماد الكنيسة اليونانية التاريخ الغربي لعيد الميلاد انشقاقاً ما زال قائماً في اليونان، و قد وزعت الكنائس الأرثوذكسية كلها تاريخ الفصح لمئات السنوات المقبلة، و تغيير هذا من قبل السلطة الكنسية يتطلب إيضاحاً للمؤمنين و البسطاء، الذين يشعرون أن تاريخ الفصح جزء من إيمانهم. لكن إحساسي أن العائق الكبير دون توحيد العيد في أوربا الشرقية يتعلق بالصدامات الرهيبة القائمة بين الأرثوذكس و الكاثوليك الشرقيين في أوربا و رومانيا

وفي يوغوسلافيا السابقة على سبيل المثال لا الحصر). (١)

و إذا كانت خطوات وحدة الأعياد و وحدة الأديان لا زالت قائمة و يلزمها قرن آخر، بعد مرور قرن، تقريباً على إقرار أسبوع الصلاة لوحدة الكنائس المسيحية الذي بدأ عام ١٩٠٨، تاريخ دعوة البطريرك المسكوني إلى التعاون، فإن ما قام به الإنجيليون كان تأثيره أقوى في هذه المنطقة. ذلك إن مؤتمر أدنبرغ (١٩١٠) دعا إليه المرسلون و مجلس الإرساليات الذين هم من أساس إنجيلي، و قد انبثقت منه هيئتان: (الحياة و العمل) ١٩٢٧ و (الإيمان والنظام) ١٩٢٩ اللتان أدتا إلى تشكيل مجلس الكنائس العالمي العام ١٩٤٨، كذلك فإن مجلس كنائس الشرق الأوسط اللاحق كان أصلاً مؤلفاً من إنجيليين.

و ابتداء من عام ١٩٦٤ جرى حوار مع الكنائس الأرثوذكسية التي رفضت بداية الدخول في هذا الحوار، باعتبار أنها لا تتفاوض مع مجلس يتكون من مرسلين و مجالس إرساليات فيما تقبل التحاور مع مجلس أساسه الكنيسة، و كان لها ما أرادت. و في العام المذكور دخل المجلس، بطبيعته الجديدة، في حوار مع الكنائس الأرثوذكسية (و تضم الروم الأرثوذكس و الكنائس الشرقية، أو بتعبير آخر، الخلقيدونيين واللاخلقيدونيين) و استمر الحوار عشرة أعوام، حتى توصل المجمع في قبرص إلى حل ذاته إفساحاً في المجال لتأسيس (مجلس كنائس الشرق الأوسط) ضم الكنائس الأرثوذكسية والإنجيليين (١٩٧٤)، وأعتمد تكون هذا المجلس على العائلة الكنسية.

و كانت عضوية المجلس تتألف من ثلاث عائلات كنسية و هي:

١- العائلة الكنسية اللاخلقيدونية، أو الأرثوذكس الشرقيون: السريان الأرثوذكس، الأرمن الأرثوذكس، الأقباط.
٢- الروم الأرثوذكس و لهم أربع بطريركيات : أنطاكية و الأسكندرية و القدس و قبرص.
٣- العائلة الإنجيلية و تضم: المشيخية و اللوثرية و الاستقلالية و الأسقفية.

و في تطور لاحق، انضمت العائلة الكاثوليكية العام ١٩٨٩ إلى عضوية المجلس بقرار من اللجنة التنفيذية ثبت و أعلن العام ١٩٩٠، ثم انضمت الكنيسة الآشورية إلى المجلس من طريق العائلة الكاثوليكية التي صارت مؤلفة من ثمان كنائس و هي: المارونية و الروم الكاثوليك و اللاتين و السريان الكاثوليك والأقباط الكاثوليك و الكلدان الكاثوليك و الأرمن الكاثوليك و الآشورية.

و مهما تكن أهداف و تصورات مجلس كنائس الشرق الأوسط، فإن جمع الطوائف المسيحية في هذه المنطقة تحت لواء (مجلس) يشكل خطوة هامة في إزالة الجليد الذي ساد علاقة الطوائف المسيحية مع بعضها البعض.

١- صحيفة النهار- بيروت ١٩٩٧/١/٢١ ص ٣٢ من تصريح المطران جورج خضر

و يبقى حزن المسيحي العلماني كبيراً من انشقاقات المسيحية، و يتلمس ذلك في الأعياد الكبيرة حيث تحتفل كل طائفة بعيدها. و مع أن كنيسة المسيح واحدة و تلك الأولى من سماتها التي يعترف بها كل من يتلو دستور الإيمان فيقول (اعترف بكنيسة واحدة) إلا أن الأهواء البشرية شوهت نوعاً تلك الوحدة بانفصال قسم كبير عن مركز الرئاسة.

و غني عن القول أن اتحاد الكنيستين الأرثوذكسية و الكاثوليكية كان الشغل الشاغل لكل من يهمه خير الوحدة و يأتي شرور الانقسام و يود تتمة قول السيد المسيح في صلاته قبل آلامه (١٧و ٢٠و ٢٢ و٢٣):(أيها الآب القدوس احفظ باسمك الذي أعطيتهم لي ليكونوا واحداً كما نحن واحد. و لست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل من أجل الذين يؤمنون بي عن كلامهم ليكونوا بأجمعهم واحداً كما نحن واحد أنا فيهم و أنت في ليكونوا مكملين في الوحدة).



المسيحية و معرفة الآخر

لم يكن في نيتي كتابة هذا الفصل حين وضعت مسودة هذا الكتاب، و لكن من خلال مراجعاتي لكثير من المراجع و في فترات متفاوتة، و لنفس المصدر اكتشفت أن لغة الخطابة و الحوار اختلفت كثيراً عن سابقاتها. فقد كانت كتابات المئة سنة المنصرمة تشتمل على نرجسية كبيرة يضفيها كل كاتب على طائفته أو قومه، و هي لا زالت إلى الآن، و لكن بلهجة أقل عن سابقاتها. أو أن تمحى من التاريخ سيَر شعوب سكنت هذه المنطقة و لا يشار إليها و لا لإسهاماتها الحضارية.

و سأمهد لهذا الفصل مما تعلمناه من كتبنا المدرسية حيث الكثير من الأخطاء التاريخية. ففي عام ١٩٥٨ كان يدرس في سوريا كتاب (١) للصف السادس الابتدائي يرد به التالي (كانت شعوب هذه البلاد تتكلم لغات متقاربة فيما بينها يرجع أصلها إلى لغة واحدة و هي اللغة السامية أي اللغة العربية الأم).

و حشر في الكتاب شعوب بابل و أشور و الآرام و كنعان و فينيقية فضلاً عن مصر و اليمن وشمالي أفريقيا، فأين الدقة التاريخية في ذلك.

و في كتاب آخر (٢) كان يدرس لطلاب الثاني الإعدادي السوري لا يأتي في هذا الكتاب ذكر لتاريخ المسيح و المسيحية التي نشأت في بلاد فلسطين و هي بلادنا و لغتها هي لغتنا! و لم يذكر المؤلفون المسيح و لا المسيحية مع كونها كانت ديانة أهل الشام و العراق و مصر و المغرب عند ظهور الإسلام.

و حتى المبالغة كانت أكبر مما يتوقع منها، فقد ذكر في نفس الكتاب (٣) (و أنشأ العزيز بالله الفاطمي مكتبة ضمت مليوناً و ستمائة ألف مجلد). و هذا الرقم لا يوجد حتى في أيامنا هذه .. مكتبة بها هذا الكم من الكتب المخطوطة.

١- علاء الدين الخاني، بسام كرد علي : تاريخ الوطن العربي مطبعة الجمهورية- دمشق ١٩٥٨

٢- حرب فرزات، خيرية قاسمية، محمود طرشه: تاريخ العرب من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن السادس عشر المطبعة الجديدة- دمشق ١٩٥٩

٣- حرب فرزات .. المرجع السابق ص ٢٦١

و هناك كتاب كان مقرراً من وزارة المعارف السورية للصف السابع المتوسط عام ١٩٥٣ (١) أشبه بكتاب ديني إسلامي منه بكتاب مدرسي لعامة التلامذة من مسلمين و مسيحيين، و أولى بأن يكون عنوانه تاريخ العرب و الإسلام، فليس للمسيح و المسيحية فيه ذكر إلا خلسة في الكلام على الهرطقات. (٢)

يقول مفكر مصري في صدد ذلك..

(حكمتني في الطفولة مشاعر دفينة من الخوف و القلق تجاه أصحاب الديانات الأخرى نجم جزء كبير منها عن الثقافة الأحادية و نقص المعلومات لدى أصحاب كل دين تجاه اتباع الدين الآخر على نحو يخلق ضبابية في الشعور و هواجس في النفوس. و لازلت أذكر أن حصة الدين في المدرسة الابتدائية كانت تمثل بالنسبة لي تساؤلاً كبيراً عندما يخرج زملائي المسيحيون إلى فصل آخر ليدرسوا دينهم).(٣)

و إذا كان لهذه الأخطاء إن ظهرت فقد حفزت البعض أن يسمو بالعيش المشترك لأبناء الشعب الواحد. و هذا ما نلمسه من النص التالي:

(من المعروف أن الطلاب المسيحيين و المسلمين يجلسون جنباً إلى جنب على المقاعد المدرسية، سواء أكانت حكومية أم خاصة. و هذا بحد ذاته يسمح بالتفاعل و التعارف و الاكتشاف المتبادل. و لهذا يجب أن يدخل واقع العيش المشترك في صميم المشروع التربوي ليصبح واقعاً ملموساً في البرامج المدرسية. إن تراث العيش المشترك الذي نفتخر به يظل في دائرة الأماني و التصريحات الخطابية ما لم يتجسم في رؤية واضحة نتبنى تلقينها لطلابنا و طالباتنا على مقاعد الدراسة، عن طريق كتبهم المدرسية و المبادرات التربوية المنهجية و اللا منهجية و تأهيل معلمينا).(٤)

و في تطور حضاري لخطاب رجل الدين المسيحي يقول البطريرك أغناطيوس الرابع:

(معلوم أنه في مدارسنا و مدارس الدولة، التعليم الديني إلزامي، الإسلام للمسلم، و المسيحي للمسيحي، و العلامات على هذه المادة ضرورية للنجاح. و نسعى حالياً إلى أن نجعل التعليم الديني، ليس متوازناً فحسب، أي الإسلام للمسلم و المسيحي للمسيحي، بل إن يتقاطع هذا التعليم، بحيث يعرف

١- بسام كرد علي، جورج حداد، شاكر مصطفى، سعد الدين القواص: تاريخ العرب و الإسلام مطبعة العلوم و الآداب- دمشق ١٩٥٣

٢- = = = المرجع السابق ص ٢٦-٩٦

٣- صحيفة السفير- بيروت ٢٠٠٢/١١/٦ مصطفى الفقي

٤- مجلة المسرة- حريصا السنة ٨١/ ١٩٩٥ تشرين الثاني ص ٧٩٠ من الرسالة الراعوية الثالثة التي يوجهها بطاركة الشرق الكاثوليك إلى مؤمنيهم في شتى أماكن تواجدهم.

المسلم في كتابه الديني ما المسيحية التي يجاورها، و يعرف المسيحيون ماذا يعني الإسلام الذي هو ديانة الأكثرية التي نعيش معها. أقول إننا نسعى إلى جعل ذلك واقعيا، لأننا نتخوف من أن يكون هنالك جهل مطبق لدى الكثيرين من المسيحيين و المسلمين عن مضمون الديانتين اللتين تعيشان في هذا البلد، كما نعتقد أنه يجب أن تقوم لقاءات عدة، ثقافية و فنية و أدبية، و نشاطات على المستوى الشعبي تكون كلها مناسبات على الأقل يلاقي فيها الواحد الآخر، لأنه لا شيء ينوب عن المواجهة و اللقاء من أجل أن يعرف الواحد الآخر). (١)

إن الكتابة عن الذات لا تخلو من النرجسية و عدم الدقة في الوصف مع تضخيم الذات وجعل الآخرين قزمين، و للتدليل على ما نقو له نطالع ما كتبه الاكسرخوس يوسف نصر الله، و هو بحاثة رصين دون شك، و لكنه حين يتحدث عن كنيسته له الشيء من ذلك، و قد كان بإمكانه أن يجل طائفته من نواح أخرى، فهي عريقة بأصالتها و لكنه يراها (الكنيسة الملكية، أو الرومية الكاثوليكية، الوريثة الشرعية للكراسي الرسولية الثلاثة: الإسكندرية و أنطاكية و أورشليم) و يتابع نصر الله ((و جذورها تمتد إلى عهد البشارة بالإنجيل في العالم اليوناني الروماني، في حوض المتوسط الشرقي، و انتشار المسيحية وراء حدود الأمبراطورية. و لقد أعطاها شكلها و كيانها الجغرافي و القانوني نشوء البطريركيات الإسكندرية والأنطاكية والأورشليمية، الأوليان في مجمع نيقية (٣٢٥) و الأخيرة في مجمع خلقيدونية (٤٥١). بيد أنها لم تدع بالملكية إلا في مطلع القرن السادس.

و لأنها بقيت على استقامة المعتقد، و لم تتفرع من هرطقة، فهي وريثة كل ماضي الكنيسة القائمة العقيدي و الأدبي و الفني، و كل المدارس اللاهوتية الكبرى، الإسكندرية و الأنطاكية والقيصرية و الغزّية والنصيبية و الرهاوية أيضا، طالما لم تحد هذه الأخيرة عن استقامة المعتقد، جميعها هي لها. و كل نتاج لاهوتيها المتراكم، و مؤرخيها و شعرائها و خطبائها هو تراثها و نصيب ميراثها)). (٢)

و في تسميات الكنائس المسيحية نرى الاستخفاف بين هذا الاسم و ذاك ((فنتيجة خلاف في الكنيسة السريانية تحزب المؤمنون لبولس البطريرك، و القسم الأكبر لمار يعقوب، و من هنا أتت تسمية (اليعاقبة) وهي وليدة مناسبة معينة و لفترة معينة، و لهذا فهي حزبية شخصية لا غير. و بما أن

١- صحيفة النهار- بيروت ٢٠٠١/١٢/٣١ ص ٤ من تصريح البطريرك اغناطيوس الرابع.

٢- مجلة المسرة- حريصا السنة ٦٢ تموز- كانون الأول ١٩٧٦ ص ٣٢٥- ٣٢٦ الاكسرخوس يوسف نصر الله

حزب مار يعقوب ظهر سنة ٥٧٠ و انتهى أمره في عام ٥٨٠، فتكون التسمية أيضاً قد زالت و انتهى أمرها)) (١) و قد أخرجها البعض عن أصل وضعها و خلعوا عليها من معدن العداء العقائدي فتلقفها البعض عن الآخر حتى اعتمدها المستشرقون و كاد يضيع اسم الكنيسة السريانية في ظل هذا اللقب.

و كثيراً ما نرى في الكتابات التاريخية الانحياز و تقزيم الخصم، هاهو الخوري اسحق أرملة يصف في مقال له طوائف مسيحية قائلاً (من تصفح تواريخ أئمة السريان و النساطرة و اليعاقبة) (٢) علماً أنه عنى بالأولين السريان الكاثوليك و الآخرين السريان الأرثوذكس و لكنه بدل أن يقرب بين الطائفتين عمد إلى أن يردد مقولة اليعاقبة بدل السريان، علماً أن السريان الكاثوليك انشقوا عن السريان الأرثوذكس فإذا كانت تسمية (اليعاقبة) موجودة فالأحرى أن نقول (اليعاقبة الكاثوليك).

و كانت الاختلافات الثقافية بين الطوائف و بين المسيحيين من الطائفة ذاتها، على الدرجة نفسها من الأهمية، حيث الاختلافات بين سكان مختلف المناطق (بين دمشق و حلب مثلاً). و كذلك بين التجار والحرفيين و المدنيين و الريفيين كانت واضحة في معظم الكنائس. كما كانت الحال بين الموارنة الذين كانوا منقسمين إلى بلديين (أهل الريف) و جبليين (أهل المدينة). و قد لعبت هذه الفوارق دوراً بارزاً في الانقسامات بين الكاثوليك و الأرثوذكس.

و في سيرة مار يوسف الأول التي يرويها مطران آمد (ديار بكر) الكلداني نرى مار إيليا بطريرك (النساطرة محاطاً بزبانية من أهالي ضواحي الموصل، الذين كان الكلدان من أهالي ديار بكر و ماردين يعدونهم سيئي السمعة) و الذين يصفهم الكاتب نفسه بـ (الجبليين). (و يبدى الراوي السرياني الغربي الكاثوليكي الياس بن القصير، الحلبي المقيم في ديار بكر، الكثير من الاحتقار لأسقف من أساقفة كنيسته متحدر من طور عابدين تفوح من كلامه رائحة الأزقة و المفارق التي استقى منها عباراته و صوره، ولأسقف آخر كردي الأصل، الذي بالكاد عرف قراءة السريانية، و لم يستطع فهمها). (٣)

و منذ القدم و سجال الطوائف المسيحية حول من هي الشرعية منها و من المتمردة كان و لا يزال مطروحاً في الكتابات الدينية المسيحية.

لنذكر ثاودوروس أبي قرة كان له مقاماً رفيعاً بين اللاهوتيين و يعتبرونه كأعظم الكتبة الكنسيين وأبرعهم في المصنفات الجدلية و الأبحاث الدينية، و قد عاش في أواخر القرن الثامن للمسيح

١- مجموعة مؤلفين: المسيحية عبر تاريخها في المشرق ص ٢٣٩ المطران مار سويريوس اسحق ساكا مرجع سابق

٢- مجلة المشرق- بيروت السنة السادسة عشرة العدد ٨ آب ١٩١٣ ص ٥٦٤ الخوري اسحق أرملة

٣- مجموعة مؤلفين: المسيحية عبر تاريخها في المشرق ص٦٤٣ برنار هيبرجيه مصدر سابق

و في أوائل التاسع. و يذكر في مؤلفه (ميمر في صحة الدين المسيحي) الكثير من النقد لغير أتباع طائفته من الروم بحيث يقول ((لكن أي ننتفع به معشر النصارى إلا ملة الخلكيدونيين (الخلقيدونيين) دون النسطوريين (الآشوريين) و اليعقوبيين (السريان) و اليوليانيين (قوم تابعوا ليليان الأسقف) وغيرها من الأراسيس (الآريوسيين) الذين ينتحلون النصرانية لأن كل واحد من هؤلاء الذين ذكرنا يرى أن سعينا في تثبيت النصرانية إنما هو له لأنه زعم أنه النصراني الحق)).

و كان هجوم بعض رجال الدين على المفكرين العلمانيين كبيرا، و أحياناً كان يكفر العلماني فيما إذا أبدى وجهة نظر مخالفة لوجهة رجل الدين، و لو كان الخلاف على مسائل لم تحسم.

لنقرأ ما كتبه الأب لويس شيخو بعد أن قرأ لثلاثة مفكرين مسيحيين أعمالهم الفكرية. (ثلاثة رجال سلكوا طريقة مبهرجة في عهدنا و كلهم نصارى: مارونيان : أمين (محمد) الريحاني و جبران خليل جبران و رومي أرثوذكسي فرح أنطون. فإذا اعتبرت إنشاءهم لأول وهلة راعك ما تجد فيه من التشابيه و ضروب البديع المموهة و التعابير المستغربة التي تشنف المسامع بتزويقها لكنك إن دققت فيها النظر رأيتها في الغالب لفظاً فارغاً أو بالحري لغطاً و ثرثرة). (١)

و نرى لغة الحوار و النقد كيف تغيرت و أضحت تحترم الغير حين نقرأ على نفس المصدر السابق بعد أربعين عاماً عرضاً لكتاب (رسائل أمين الريحاني ١٨٩٦- ١٩٤٤) التي جمعها و بوبها البرت حوراني جاء فيه:

(و في كل هذه الرسائل يبدو الريحاني ذلك القومي الذي يضفي على كتاباته كلها- و هي بمثابة يوميات يتتبعه فيها القارئ و يرى من خلال السطور اختلاجات قلبه الحساس – ثوباً هو له لم يقتبسه من أدباء غيره فتميز به . و في هذا ما يسحر القارئ و يقوده إلى متابعة القراءة فيصير كالريحاني واقعياً لا محاباة عنده و لا مواربة). (٢)

و ندع القارئ يقارن بين النصين أعلاه: الأول للأب لويس شيخو الذي وضع لاسم أمين قوسي (محمد) الريحاني، نظراً لأفكاره القومية العربية و بين ما كتبه عنه الأب عبده خليفة من مدح لأفكاره القومية، على صفحات مجلة المشرق في تاريخين متباعدين و لرجلي دين واحد المعتقد.

و يرى الأب شيخو (إن الكتب العربية التي لا يجوز للكاثوليكي قراءتها هي الكتب الدينية

١- مجلة المشرق- بيروت السنة الحادية و العشرون العدد ٧ تموز ١٩٢٣ ص ٤٨٨ الأب لويس شيخو

٢- = = = = السنة الخامسة و الخمسون تموز – تشرين الأول ١٩٦١ ص ٦٣٢ الأب عبده خليفة

المطبوعة عند البروتستانت أو الروم و التي لم يصدق عليها الأساقفة الكاثوليك).(١)

إذا كان يحرم على الكاثوليكي قراءة كتب البروتستانت أو الروم فكيف سوف تتقارب الطوائف المسيحية من بعضها البعض و تسلك طريق الوحدة. سؤال لم يخطر للأب شيخو أن يطرحه في موجة التعصب التي عاشها.

و نحن نشاهد الأديرة المسيحية في سوريا يزورها من المسلمين بقدر ما يزورها من المسيحيين، وشاهدنا على ذلك دير سيدة صيدنايا، حيث تكثر النذور التي يقدمها الناس للأديرة على رجاء تحسين حالهم أو حفظ صحتهم و إبعاد المرض عنهم.

و لكن الأب شيخو يفتي في ذلك قائلاً: (إن تقدمة النذور للكنائس غير الكاثوليكية محرمة على الكاثوليكي لأنه لا يجوز للكاثوليكي أن يشارك غير الكاثوليكي في الدينيات و تقدمة النذور من هذا القبيل) (٢)

و سوف لا أعلق على هذا الكلام و عذري أنه كان من مائة سنة، و لكن علينا أن نعترف أن لغة الحوار و احترام الغير أضحى لها اعتبارها لدى معظم الطوائف المسيحية. و إن الحوار لا يلغي ضرورات الاعتزاز بالذات، و لكنه اعتزاز لا يصل إلى مستوى العصبية المذمومة، أو يكرس نظرة شوفينية واستعلائية للذات ضد الآخرين .. إنه اعتزاز بالذات لا يلغي متطلبات الوحدة و شروطها النفسية و الأخلاقية.

و الحوار قبل أن يكون أطراً و هياكل، هو روحية و استعداد نفسي، يرتبط بوجداننا و قيمنا الدينية، التي أسست لهذا الخيار في كل جوانب و شؤون حياتنا. (٣)

أخيراً، الحوار لا يمنع النقد، و إنما يؤسس للمعرفة المتبادلة العميقة التي تجعل النقد بناء و بعيداً عن التصفية و التحطيم. فالنقد هنا لا يتجه إلى الدحض و النقض، و إنما لتوليد رؤى و أفكار وصيغ جديدة، تحرك الراكد، و تستفز الساكن و تدفع الجميع نحو المزيد من الحوار و التلاقي.

١- مجلة المشرق – بيروت   السنة الثانية و العشرون   العدد ٢ شباط ١٩٢٤ ص ١٦٠ الأب لويس شيخو

٢- =   =   =   السنة الثامنة   العدد ٤   ١٥ شباط ١٩٠٥ ص ١٧٢ الأب لويس شيخو

٣- مجلة الكلمة- بيروت   العدد ٣٢ /٨ صيف ٢٠٠١ محمد محفوظ

الطوائف المسيحية من الأكثرية إلى الأقلية

ليس هناك من أرقام واضحة و صريحة و معلنة لأبناء الطوائف المسيحية في كافة أراضي سوريا الطبيعية (سوريا- لبنان- فلسطين- الأردن)، و ينسحب الأمر ذاته على بقية مسيحيي العالم العربي. ((والإحصاءات المتاحة لأعداد المسيحيين في العالم العربي المعاصر تتفاوت بين رقم مبالغ فيه و عدد متحفظ إلى حد إطلاق النذير بقرب زوال المسيحية من بين العرب. و لعل الرقم التقديري المعقول لمجموع المسيحيين في البلاد العربية هو عشرة ملايين (١٩٩٥) ، يتوزعون على الأقطار المختلفة على النحو الآتي (متبوعاً بالنسبة المئوية التقديرية لمجموع السكان في كل قطر بين قوسين):

١- في مصر، ستة ملايين (١٢,٥ بالمئة)
٢- في لبنان، مليونان (٤٠ بالمئة حسب التقدير الرسمي)
٣- في سوريا، نصف مليون تقريباً (ربما ٦ بالمئة)
٤- في العراق، نصف مليون (حوالي ٣ بالمئة)
٥- في الأردن و بين عرب فلسطين و إسرائيل، نصف مليون مقسم بالتساوي تقريباً بين أردنيين و فلسطينيين (٦ بالمئة في كلا الحالين)). (١)

و مهما تكن دقة المصدر الذي اعتمدنا عليه في إيراد الأرقام الإحصائية لمسيحيي البلدان العربية، فإن هناك تفاوتاً في بعض الأرقام التي يمكن حسابها تقديرياً، و هي معقولة نسبياً، بالنسبة لكل الإحصاءات (التخمينية) التي تصدر في وسائل الإعلام.

١- الحسن بن طلال: المسيحية في العالم العربي عمان- مكتبة عمان ١٩٩٥ ص ١٣٠

و إذا كان المفروض الاعتماد على السجلات الكنسية لكل طائفة حتى نعرف عدد نفوسها، فإن هذا العمل ليس كاملاً أو دقيقاً لمعظم الطوائف المسيحية لدى تدقيقنا لمثل هذه الأرقام، و تبقى بيانات مراجع الروم الكاثوليك الأقرب إلى الواقع مما عداها من أرقام إحصائية.

يذكر الحسن بن طلال في المرجع الذي أوردناه عن عدد مسيحيي سوريا (١٩٩٥) ما يساوي نصف مليون، علماً أن عدد سكان سوريا كان آنذاك ما يقارب الأربعة عشر مليونا، أي أن نسبتهم تكون ٣,٦في المئة فيما أورد نسبتهم ٦ بالمئة.

أما نحن فسيكون تقديرنا لمسيحيي سوريا مستنداً إلى مرجع حكومي في عددهم مع مراعاة الزمن في ذلك.

كان آخر إحصاء عام أعلن فيه عن عدد أفراد الطوائف في سوريا عام ١٩٥٦ من خلال المجموعة الإحصائية التي كانت وزارة الاقتصاد تصدرها، و من يومها لم تعد توثق الأرقام الجديدة في المجموعات الإحصائية اللاحقة.

هكذا يبدو الأمر لنا لبقية البلدان التي عنيناها في دراستنا هذه.

و يتضح أن عدد سكان سوريا عام ١٩٥٦ بلغ قرابة الأربعة ملايين نسمة، فيما بلغ عددهم عام ٢٠٠٠ (١٦٠٢٣٢٢٨) نسمة (١) أي أن عدد سكان سوريا تضاعف أربع مرات بين أعوام ١٩٥٦-٢٠٠٠.

و حسب تقديرنا فإن تكاثر المسيحيين لا يتساوى مع تكاثر المسلمين، بل إن النسبة قد تعادل ٠,٧٥ من أصل ١,٠٠ مع إخوانهم المسلمين، لأن نسبة الإنجاب أقل و العنوسة أكثر، أي أن تزايد المسيحيين أقل بربع من البقية، و هو رقم افترضناه، و يماشي المنطق السليم. و على هذا يكون تكاثر المسيحيين على النحو التالي:

عدد المسيحيين في سوريا عام (١٩٥٦) يساوي (٥٠٨٩٩٩) (٢) X ٣,٠٠ نسبة الزيادة من أربعة لعدد السكان في عام ٢٠٠٠ (١٦٠٢٣٢٢٨) مليون = ١٥٢٦٩٩٧ نسمة.

و يبقى هذا الرقم افتراضي، بالرغم من كل محاولاتنا ليبقى ضمن الواقع، ومن باب الافتراض والتخمين ليس إلا. و قد نقص هذا الرقم كثيراً بحكم الهجرة المستمرة أهمها خلال أعوام ١٩٥٨-١٩٦١ و١٩٧٠ و ١٩٨٠، ربما وصلت إلى ٣٠٠ ألف أو أكثر أو أقل، أي أن مسيحيي سوريا، ربما كان عددهم عام ٢٠٠٠ما يساوي ١,٢ مليون نسمة، و هو رقم متقارب مع النسبة التي حسبناها في كتاب سابق لنا (٣)

١- كشوفات البيانات الديمغرافية العدد ١١-٢٠٠١ اللجنة الاقتصادية و الاجتماعية لغربي آسيا- بيروت ٢٠٠١ ص ١٤٦

٢- المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٥٦ السنة التاسعة مديرية الإحصاء- وزارة الاقتصاد الوطني- دمشق ١٩٥٦

٣- سمير عبده: المسيحيون في سوريا على عتبة الألف الثالث دار حسن ملص للنشر – دمشق ٢٠٠٢

مع العلم أن الجمهورية العربية السورية لا تسقط هوية افرادها و تسمح بازدواج الجنسية.

و هناك تصريح لمرجع ديني مسيحي كبير يذكر فيه أن عدد المسيحيين في سوريا يتجاوز عددهم مليون و ٢٠٠ الف (١) فاين رقم النصف مليون الذي أورده الحسن بن طلال. و في تصريح لاحق للبطريرك هزيم (٢) يذكر أن في سوريا ١,٨ مليون مسيحي منهم ١,٢ مليون أرثوذكس.

و على هذا سنضع جدولين لعدد افراد كل طائفة مسيحية في سوريا، الأول لعام ١٩٥٦ والثاني لعام ٢٠٠٠ و هو رقم افتراضي حسب ما استنتجناه كما مر معنا.

الطائفة	العام ١٩٥٦	العام ٢٠٠٠
روم أرثوذكس	١٨١٧٥٠	٥٤٥٢٥٠
أرمن أرثوذكس	١١٤٠٤١	٣٤٢١٢٣
روم كاثوليك	٦٠١٢٤	١٨٠٣٧٢
سريان أرثوذكس	٥٥٣٤٣	١٦٦٠٢٩
سريان كاثوليك	٢٠٧١٦	٦٢١٤٨
أرمن كاثوليك	٢٠٦٣٧	٦١٩١١
موارنة	١٩٢٩١	٥٧٨٧٣
بروتستانت	١٢٥٣٥	٣٧٦٠٥
نسطوريون	١١٧٦٠	٣٥٢٨٠
لاتين	٧٠٧٩	٢١٢٣٧
كلدان	٥٧٢٣	١٧١٦٩
		١٥٢٦٩٩٧

و سنبين في السطور التالية تناقص أرقام بعض الطوائف المسيحية التي أعطيت حين زيارة بابا الفاتيكان لسوريا عام ٢٠٠١ دون أن نشير إلى مصدر كل منها حيث تمت الإشارة إليها حين تناول كل طائفة على حدة في سياق الكتاب، و يعود هذا النقص- حسب اعتقادنا- إلى الهجرة. فالأرمن الأرثوذكس كانت

١- صحيفة النهار- بيروت ٢٠٠١/١٢/٣١ ص ٤ من تصريح البطريرك اغناطيوس الرابع هزيم مرجع سابق

٢- = = = ٢٠٠٢/٤/٣٠ = = = = = = = =

هجرتهم كبيرة من سوريا، حتى قيل إن حلب هي بوابة مهاجري الأرمن في العالم، و يتداول الآن رقم ١٠٠ الف عددهم في سوريا، أي ان ربع مليون أرمني هاجرها. فيما أشير إلى أن هناك ٢٠٠٠٠ ارمني كاثوليكي في سوريا.. و هكذا دواليك فيما إذا أجرى القارئ مقارنة بين رقمي الجدول السابق وعدد أفراد الطوائف حين المرور على فصل الطوائف المسيحية المتواجدة في سوريا.

و في تصريح للبطريك اغناطيوس الرابع هزيم يشير إلى أن هناك مليون أرثونكسي في سوريا من أصل ١,٢ مليون مسيحي (١) فيما يرى الأشمندريت أغناطيوس ديك (٢) أن عدد الروم الأرثوذكس (١٩٩٤) يربو على سبعة ملايين بينهم ١,٢ نسمة عائدين لبطريركية أنطاكية (سوريا و لبنان) و ٢٥٠٠٠ عائدين لبطريركية الإسكندرية و ١٠٠٠٠٠ عائدين لبطريركية القدس وستة ملايين مهاجرين.

عودة إلى كتاب المسيحية في العالم العربي للحسن بن طلال فهو يذكر عدد مسيحيي الأردن وعرب فلسطين و إسرائيل بنصف مليون: الطرف الأردني نصفهم و الطرف الآخر نصفهم.

فيما ورد في دراسة مبنية على إحصاءات د. برنار سابيلا الأستاذ الفلسطيني في جامعة بيت لحم وصدرت في كتاب (المسيحيون في الأراضي المقدسة) تحرير وليم تيلور، لندن ١٩٩٤ (٣) إنه في منتصف تسعينات القرن العشرين كان العدد الإجمالي للمسيحيين في القدس و الضفة الغربية وقطاع غزة يقدر بـ ٤٩٧٠٢ نسمة يتوزعون مذهبياً كالآتي:

روم أرثونكس	٢٥٨٣٥	(٥٢ في المئة)
لا تين	١٥١٦٨	(٣٠,٥ في المئة)
روم كاثوليك	٢٨٤٨	(٥,٧ في المئة)
انجيليون	٢٤٤٣	(٤,٩ في المئة)
أرمن	١٥٠٠	(٣ في المئة)
سريان	١٤٨٨	(٣ في المئة)
أقباط	٢٥٠	(٠,٥ في المئة)
موارنة	١٠٠	(٠,٢ في المئة)
أثيوبيون	٦٠	(٠,١ في المئة)

١- صحيفة النهار- بيروت ٢٠٠١/١٢/٣١ من تصريح البطريرك اغناطيوس الرابع هزيم مرجع سابق

٢- مجلة المسرة- حريصا السنة ٨٢ /١٩٩٦ ك ٢ شباط ص ١٢٧

٣- صحيفة النهار- بيروت ٢٠٠١/١٢/١٥ ص ١٣

أما التوزع المناطقي فكان كالآتي:

- القسم الأكبر من المسيحيين يسكن الضفة الغربية (في قطاع غزة نحو ٢٥٠٠ فقط)
- بيت لحم (٦٥٥٩) بيت جالا (٦٣٤٣) و بيت ساحور (٧٣٣٥)
- رام الله ، المدينة المسيحية تقليديا تعد ٦٤٥٠ مسيحياً
- بيرزيت (٢١٥٨) و طيبة (١١٠٠) من الحواضر ذات الكثافة المسيحية.

و تقدر نسبة النمو الديموغرافي لدى المسيحيين ٢,٢ في المائة سنوياً في حين تبلغ نسبة المواليد في الشعب الفلسطيني ٤ في المائة و نظراً إلى الهجرة المتزايدة، و تناقص نسبة النمو، فقد هبطت نسبة المسيحيين إلى عموم الشعب الفلسطيني من ١٣ في المئة عام ١٨٩٤ إلى ٧ في المئة عام ١٩٤٨ فإلى ٢ في المئة عام ٢٠٠١ .

و يصعب على الباحث أن يجد إحصاء رسمياً في تعداد الرعايا حسب انتمائهم الديني، فآخر إحصاء ورد في المجموعة الإحصائية السورية كان لعام ١٩٥٦ ، كما مر معنا. و في لبنان ليس من إحصاء رسمي في هذا المجال منذ ١٩٣٢ بفعل الحذر من التداعيات السياسية المحتملة لأي تغيير في التوازن العددي بين الطوائف. أما في بقية المناطق فقد اعتمدنا على الإحصاء الذي أوردناه لمناطق الحكم الذاتي الفلسطيني.

لهذا فإن المجازفة بتقديرات حول أعداد المسيحيين و نسبتها إلى أعداد مواطنيهم خالية من المخاطر، فهي أياً كان من أمر رصانتها العلمية تتحول بسرعة إلى مسألة خلافية تتحكم بها حسابات معنوية وسياسية تتعدى نطاق النسبة و التطابق.

إن المسيحيين في هذه المنطقة في تناقص مستمر على ضوء البيانات السابقة، فرغم إنهم شكلوا غالبية الشعب السوري في نهاية القرن السادس الميلادي، باستثناء بعض اليهود، فإن عددهم أخذ يتقلص بعد دخول الإسلام إلى هذه البلاد، حيث لم يشكل هؤلاء سوى ٦ % من عدد سكان سوريا خلال القرن الأول الهجري.

و يمكن الاستشهاد بما تم في مصر حين تحول بعض المسيحيين إلى الدين الإسلامي، حيث دلت إيرادات الجزية و الخراج خلال المرحلة الأولى من فتح عمرو بن العاص لمصر على أن أكثر من نصف الأقباط اعتنقوا الدين الإسلامي في أقل من اربعين سنة، إلا أن الدولة، سعياً للحفاظ على إيراداتها المالية من ضريبة الجزية، شجعت الأقباط على المحافظة على دينهم. و قد عاد البطريرك بنيامين إلى ترؤس طائفته علناً، بعد الانتهاء من تضييق البيزنطيين عليهم.

و بعد عشرة قرون من انحسار عدد مسيحيي سوريا بفعل تحول الكثير منهم إلى ديانة أخرى أخذ الوجود المسيحي يتطور خلال الحقبة العثمانية الممتدة على أربعة قرون بنسبة كبيرة. ففي عام ١٥١٧ كان ٧ % من مجموع عدد سكانها، و أصبحوا يشكلون في العام ١٩١٨ أكثر من ٢٠ %.

و لعل الحرية التي أعطيت لهم من خلال حملة إبراهيم باشا على سوريا من الناحية الاجتماعية هي التي أعطتهم الأمان في التوالد و التكاثر حيث (قبل دخول إبراهيم باشا إلى سوريا، لم يكن مباحاً للمسيحيين أن يتعمموا بالعمائم البيضاء أو الخضراء أو الحمراء، و كانت محظورة عليهم بعض أمور غير هذه. و كانت تولية المسيحيين مناصب الحكومة قليلة الوقوع. فحكومة محمد علي أزالت هذه الفوارق، وأباحت للمسيحيين ما هو مباح للمسلمين من لباس و ركوب خيل و حقوق اجتماعية و وطنية، و قلدت كثيرين من المسيحيين الوطنيين و الإفرنج الوظائف في الجيش و الحكومة الملكية، و منحتهم الرتب والألقاب). (١)

لقد كان للمرحلة العثمانية في تاريخ هذه البلاد الأثر الإيجابي على وضع المسيحيين الديمغرافي في الشرق. فمع هيمنة الاتجاهات المركزية و الحداثة التي صبغت فترة الإصلاحات والتنظيمات عادت الدولة العثمانية إلى تعميم الإحصاءات على ولاياتها، فاتضح أن عدد المسيحيين في الشرق ارتفع ثلاثة أمثال ما كان عليه. فبعد أربعة قرون أصبح السكان المسيحيون يشكلون ٤٠ % من سكان المناطق الساحلية و جبل لبنان، و١٢ % إلى ١٥ % من سكان ولايتي دمشق و حلب.

و يعود الارتفاع في نسبة السكان المسيحيين إلى ارتفاع نسبة نموهم، نتيجة تزايدهم الطبيعي بالولادة، حيث بلغ في بعض المناطق ٥,٩ % (في حلب). و بلغت نسبة السكان المسيحيين في الشرق، عشية الحرب العالمية الأولى٢١,٤ % في سوريا و لبنان، ٨ % في مصر، و ٢,٢ في العراق.

و تبقى سوريا الطبيعية بيت القصيد من دراستنا، فحدودها الجغرافية تجازبت في فترات متباعدة (ولم يكن الجغرافيون متفقين في إثبات حدود سوريا شمالاً و ذلك عام ١٩٢٠، و إن اعتبرنا الولايات التركية الثلاث : بيروت و الشام و حلب و أضفنا إليها متصرفيتي القدس و لبنان تكون مساحتها بالتقريب نحو ٣٤٠٠٠٠ كيلو متر مربع . و كذلك عدد الأهلين في هذه الولايات والمتصرفيتين لا يعرف بالضبط و إنما يبلغ قريباً من ثلاثة ملايين و نصف من النفوس. و أخص مدنها دمشق عدد أهاليها نحو ٣٠٠٠٠٠ نسمة ثم حلب نحو ٢٠٠٠٠٠ ثم بيروت نحو ١٥٠٠٠٠ ثم القدس الشريف نحو ١٢٠٠٠٠ ثم حماه نحو ٩٠٠٠٠ ، ثم حمص نحو ٨٠٠٠٠ ثم نابلس ٧٠٠٠٠.

أما بحسب العناصر فالأكثرية للمسلمين السنيين و هم نحو مليونين يضاف إليهم نحو ٨٠٠٠٠ من المتاولة. ثم النصارى فعددهم نحو مليون أكثرهم من الكاثوليك منهم الموارنة نحو ٣٥٠٠٠٠ ثم الروم الكاثوليك الملكيون نحو ١٦٠٠٠٠ ثم السريان الكاثوليك نحو ٢٢٠٠٠ ثم اللاتين نحو ٢٠٠٠ ثم أرمن كاثوليك نحو ١٠٠٠٠ ثم كلدان نحو ١٥٠٠، و الروم الأرثونكس نحو ٢٥٠٠٠٠ و السريان الأرثونكس ٨٠٠٠٠ ثم البروتستان نحو ٢٠٠٠٠ و اليهود ٢٠٠٠٠٠ ثم النصيريون وعددهم ٧٠٠٠٠ ثم الدروز فعددهم نحو ١٣٠٠٠٠ في لبنان و حوران ثم الإسماعيليون ٢٥٠٠٠ ثم اليزيديون ١٠٠٠٠ نسمة).(٢)

١ـ سليمان أبو عز الدين: ابراهيم باشا في سوريه المطبعة العمومية- بيروت ١٩٢٩ ص ٢٧٧

٢ـ مجلة المشرق- بيروت السنة الثامنة عشرة العدد ٣ آذار السنة ١٩٢٠ ص ٢٤٠

و بموجب الإحصاء الرسمي لسكان فلسطين عام ١٩٠٧ كان كالتالي:

المسلمون و من يواليهم من الملل و النحل	٧٣٣٠٠٠
اليهود	٩٠٠٠٠
المسيحيون	٨٠٠٠٠
	٩٠٣٠٠٠ (١)

و هنا نقع على مبالغة كبيرة في أرقام الطوائف و الملل في سوريا، لنأخذ مصدر عام ١٩٢٠ كان اليهود به يشكلون ٢٠٠٠٠٠ نسمة فيما عام ١٩٠٧ ورد سالفاً ٩٠٠٠٠ نسمة.

لنأخذ مدينتي دمشق و حلب في زمنين متباعدين و نرى هوية أفرادهما.

وضع ج بورتر تعداداً لمدينة دمشق في منتصف القرن التاسع عشر بـ ١٥٠ ألف نسمة منهم:

المسلمون	٧٤٤٦٤	نسمة
الدروز	٥٠٠	نسمة
المسيحيون (كنيسة يونانية)	٥٩٩٥	نسمة
المسيحيون (كاثوليك)	٦١٩٥	نسمة
المسيحيون السريان	٢٦٠	نسمة
المسيحيون السريان الكاثوليك	٣٥٠	نسمة
المسيحيون الموارنة	٤٠٥	نسمة
المسيحيون الأرمن و الكلدان	٤٠٥	نسمة
المسيحيون الأرمن الكاثوليك	٢٣٥	نسمة
المسيحيون اللاتين	١١٠	نسمة
البروتستانت	٧٠	نسمة
الغرباء و الجنود و العبيد و حماية السلطان و تحت الحماية	١٥٠٠	نسمة
اليهود	٤٣٦٠	نسمة

١- مجلة المشرق – بيروت السنة الحادية و العشرون العدد ٩ أيلول ١٩٢٣ ص ٦٩٧ الأب فردينان توتل

المجموع العام ١٠٨٥٩٩ نسمة، مع إغفال بقية العدد (١)

و هناك جدول لسكان حلب المسيحيين يوضح التالي:

عام ١٩٣٥	المسيحيون الكاثوليك	عام ١٩٤٧
الروم الملكيون	١٠١٠٣	١٢٢٧٩
الأرمن	٦٧٥٤	٧١٥٣
السريان	٥١٢٠	٦٢٨٤
الموارنة	٣١٥١	٢٨٣٨
الكلدان	١٨٥٢	٠٠٠٠
اللاتين	١٨٢٣	٢٢٥٣
	المسيحيون غير الكاثوليك	
الأرمن	٤٩١١٤	٦١٥٢٩
الروم الملكيون	٣٥٠١	٦٣٥٢
السريان	٤٤٨٣	٥٦٣٣
البروتستانت	١٩٦٨ (٢)	

و سنذكر بعض أرقام تخص طوائف مسيحية لبنانية عن عام ١٩٢١

موارنة ١٧٥٧٠١ ، روم أرثوذكس ٦٨٤١٦ ، روم كاثوليك ٣٨٥٥٩، بروتستانت ٣٧٣٠ (٣) ، أما حسب إحصاء أجري في لبنان عام ١٩٣٢ فقد قدر عدد المسيحيين بالتالي:

موارنة ٢٢٧٨٠٠، روم أرثوذكس ٧٧٣١٢، روم كاثوليك ٤٦٧٠٩، بروتستانت ١٨٦٩، أرمن أرثوذكس ٢٦١٠٢ ، أرمن كاثوليك ٥٨٩٠، سريان أرثوذكس ٢٧٢٣ ، سريان كاثوليك ٢٨٠٣، نسطوريون ١٩٠، كلدان ٥٤٨ نسمة. (٤)

1- Porter .J. L: Five years in Damascus of the history Tepographe including on account of the travels and researches and antiquities of that city the Palmyra- Lebanon and Houran. London 1855 P 138-139

٢ـ مجلة المشرق- بيروت السنة الحادية و العشرون العدد ٩ أيلول ١٩٢٣ ص ٦٩٧ الأب فرديناند توتل مرجع سابق

٣ـ = = = السنة الثلاثون تشرين الأول ١٩٣٢ ص ٧٨٨

٤ـ = = = = = = = = = مصدر سابق

و في سوريا كان تقدير عدد السكان حسب الطوائف المسيحية لأعوام ١٩٤٤-١٩٤٨ (١)

الطائفة	العام ١٩٤٤	العام ١٩٤٨
روم أرثوذكس	١٣٩٢٦٥	١٤٩٧٠٦
أرمن	١٠٣١٨٠	١٠٦٢٩٨
روم كاثوليك	٤٧٥٢٢	٥٠٤٢٣
سريان أرثوذكس	٤٠٩٩٤	٤٣٦٥٢
أرمن كاثوليك	١٧٠٧٢	١٧٧٠٦
سريان كاثوليك	١٦٥٦٢	١٧٨٣٠
موارنة	١٣٦٢١	١٤٧٩٧
بروتستانت	١١٣٧٩	١٢٤٣٣
نسطوريون	٩٢١٥	٩٦٩٠
لاتين	٦٠٨٣	٦٣٢٣
كلدان	٤٧٦٥	٥٠٢٢

و هكذا تمضي هذه الأرقام للدلالة على تقلص مسيحي سوريا الطبيعية بفعل عدة عوامل منها عدم التوازن في نموهم السكاني مع إخوانهم المسلمين حيث انقلب ازدهارهم و نموهم عليهم. فقد ترافق انتشار العلم في صفوف المسيحيين مع انخفاض نسبة الخصوبة و الإنجاب بشكل كبير ما أحدث خللاً كبيراً في نموهم الديمغرافي. ففي سنة ١٩٩٠ لم يعد المسيحيون يشكلون سوى ١٠,١ % من سكان الشرق و ٥,٨ % من سكان مصر.

و قد كان العصر الذهبي للمسيحيين السوريين في الفترة ما بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر و حتى النصف الأول من القرن العشرين، ففي هذا القرن من الزمن لوحظ تزايد سكاني مسيحي في المشرق العربي، و استفاد هؤلاء من التغيرات الدستورية و السياسية التي عرفتها الدولة العثمانية (كما لا يمكن إغفال دور المدارس الوطنية التي بدأت الكنائس المسيحية بتأسيسها، و من ثم الرهبانيات المحلية، وكذلك المدارس الأجنبية التي أسستها الإرساليات التبشيرية، في النهضة الثقافية. و قد دفعت بالحركة التربوية في لبنان و سوريا سياسة إبراهيم باشا الذي أدخل نظاماً تربوياً للتعليم الابتدائي و الثانوي في جميع أنحاء بلاد الشام، يساعده في ذلك المربي الفرنسي الدكتور كلوت. و بعد رحيل ابراهيم باشا نما التعليم في سوريا نمواً

١- المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٤٩ السنة الثانية مديرية الإحصاء – وزارة الاقتصاد الوطني – دمشق ٩٤٩

سريعا و مطرداً. ففي العام ١٨٩٦ بلغ عدد المدارس المسيحية الوطنية ١٠٧ مدارس، و عدد المدارس التي أسستها الإرساليات التبشيرية الأجنبية ٥٠ مدرسة). (١)

كما استفاد المسيحيون في هذه الفترة من الروابط الاقتصادية و الثقافية التي توطدت بين فئات غير قليلة منهم و الدول الأوربية. فالوكالات التجارية في سوريا كانت حصراً بيد المسيحيين إلى نسبة الثلاثة أرباع في منتصف القرن العشرين. و بفضل علمهم تحسنت أوضاعهم المعيشية و ارتفعت منزلتهم في المجال الاجتماعي، و من قراءة لأسماء المحامين في سوريا لعام ١٩٣٠ يتضح أنه كان هناك ٣١ % من المحامين السوريين مسيحيين، و من قراءة لأسماء أعضاء في نقابة أطباء سوريا كان ٢٩ % منهم مسيحيين أيضاً.

و نأتي إلى السبب الثاني في تدني نسبتهم إلى عدد السكان في بلدان سوريا الطبيعية، حيث تشكل الهجرة هاجساً لهم بعد أن تقلص دورهم و نفوذهم في هذه المنطقة. و كانت بدايات الهجرة مسيحية و لكنها تحولت إلى (إسلامية و مسيحية) خلال الأعوام الأخيرة، ففي نشرة صادرة عام ١٩٩٦ عن دائرة الإحصاء الأسترالي عن هجرة اللبنانيين إلى أستراليا، تبين أن نسبة الموارنة والكاثوليك تبلغ ٣٩,٧ % و المسلمين ٣٨,٦ % و طوائف أخرى ٢١,٧ . (٢)

و أضحت الهجرة من لبنان تصيب الطوائف و المذاهب كافة، إذ لم تعد مقتصرة على مذهب من دون آخر، حيث تبلغ نسبة المسيحيين المهاجرين ٤٦ % في مقابل ٥٤ % للمسلمين. و الجدول الآتي يبين المهاجرين تبعاً للمذهب:

المذهب	النسبة المئوية
ماروني	٣٠
أرثوذكس	٦,٦
كاثوليك	٥,١
أرمن	٤,٣
شيعي	٣٠,٤
سني	١٨,٣
درزي	٥,٣ (٣)

١- جورج انطونيوس: يقظة العرب .. تاريخ حركة العرب القومية ترجمة ناصر الدين الأسد و إحسان عباس تقديم نبيه فارس دار العلم للملايين – بيروت ١٩٨٠ ص ١٠٤

2- Department of immigration and multicultural affairs, Australia, 1996

٣- صحيفة النهار- بيروت ٢٠٠١/١١/٢٧

و لكن إذا حسبنا النسبة العددية للمسيحيين ثلث مقابل ثلثين فتكون هجرة المسيحيين أكثر.

و هكذا فإن الأقليات المسيحية في الشرق في طور الاندثار النهائي إن استمر الوضع على ما هو عليه لنصف قرن آخر. ذلك بعد أن استمر الوجود المسيحي على امتداد التاريخ الإسلامي للمنطقة كأحد مكونات العضوية للحضارة العربية التي كان تسامحها الديني مقياس رقيها، فيما ارتبطت عمليات استئصال و هج تلك الحضارة بالمحاولات الظلامية لاستئصال الوجود المسيحي.

إن زوال الأقليات المسيحية، و ضرب التعددية الدينية في الشرق، هو بمثابة إجهاز على إمكانات التعددية السياسية و بناء الديمقراطية في بلدان المنطقة. (١)

1- Carole. H. Dagher: Bringing down the walls: Lebanon's post- war challenge. St Martin's press, New York 2000 P21



طائفة الأرمن الأرثوذكس

اختص الأرمن بمناقب جليلة قدرُها خطير و محلها في النفوس أثير، تحمل أصحابها على عظائم الأمور.. من ذلك عقلهم الثاقب و نشاطهم على العمل و حزمهم في إدراك الغايات و صبرهم على المشقات والعناء، إلى غير ذلك من الخلال الطيبة التي طُبع عليها علية الناس.

و احتفل الأرمن عام ٢٠٠١ بمرور ١٧٠٠ عام على إعلان المسيحية ديناً رسمياً في بلاد أرمينيا. و قد كانت ارمينيا تضم أقلية من المسيحيين منذ أيام الرسولين المبشرين برتلماوس و طاتيوس اللذين اعتبرهما الشعب و التاريخ المنورين الأولين لبلاد أرمينيا. فهذه الأقلية المسيحية كانت تعيش في عزلة وسرية و تكتم ضمن مجتمع وثني.

و الحدث الأهم قد حصل في بداية القرن الرابع، بفضل القديس غريغوريوس أسقف قيساريه الذي كرسه الشعب الأرمني و الكنيسة، المنور الثاني لأرمينيا، و لبوا دعاءَه و لم يعاندوا الحق بل تقاطروا زرافات إلى حجر الكنيسة مكرسينه، زعيماً لهم. و قد عاش هذا القديس في مرحلة سياسية قاسية إبان حكم الملك درطاد الثالث الذي كان متعصباً جداً لديانة آبائه الوثنية، و قد اضطهده الملك وعذبه أشد العذاب ثم سجنه لمدة عشر سنوات في بئر مليء بالأفاعي. و لكن غريغوريوس استطاع التغلب على الموت بفضل إيمانه المميز. و في عام ١٣٠ استطاع أن يشفي الملك من مرض خبيث لا علاج له، و هذا ما دفع بالملك الوثني إلى اعتناق الدين المسيحي. و منذ ذاك الحين تقلص عن رؤوسهم ظل الإيهام و انحلت عن قوائم عقولهم عقل الأوهام. إلا أن النصرانية لم تقم في كل أنحاء أرمينيا بل وجدت في مهنة الأصنام و أنصار الوثنية قوماً عارضوا الدين المسيحي طاقة جهدهم حتى اضطر الملك درطاد أن يستعين بكل قواه لكسر شوكتهم ففاز بهم و قهرهم كما أفاد أقدم مؤرخي الأرمن الكاتب اغاتنج.

و عند وفاة القديس غريغوريوس عام ٣٢٥ كانت الأغلبية الساحقة من الشعب الأرمني قد اعتنقت المسيحية. و ما مر على الأرمن نصف قرن حتى زهت النصرانية في ظهرانيهم و صارت

أرمينيا، و لفترة من الزمن، الدولة المسيحية الوحيدة في العالم.

و قام بعد القديس غريغوريوس قديسون أفاضل من سلالته، و اشتهر منهم القديس نرسيس (٣٧٠-٤٠٤) و القديس اسحق (٤١٦-٤٦٧) و كلاهما يعرف بالكبير. و في أيام الأخير أخذ الأرمن بتدوين لغتهم بأحرف خصوصية وضعها لهم القديس مسروب (٣٦١- ٤٤٠) و هي الأبجدية الوطنية.

و حين ظهرت النصرانية في بلاد الأرمن في القرن الرابع بعد المسيح كان أهل الشمال والغرب منهم يكتبون لغتهم الأرمنية بالقلم اليوناني.أما أهل الجنوب فجرى عندهم استعمال القلم السرياني. و كانت الكتابة قليلة الانتشار بينهم لا يعرفها إلا بضعة أفراد ممن درسوا اليونانية والسريانية. ناهيك عن ذلك خللا في رفع شأن الأمة و رقيها لعدم وجود وسيلة كفيلة بحفظ آدابها اللسانية و مآثرها الوطنية. و الدليل عليه ان ما بقي من آثار اللغة الأرمنية قبل القرن الخامس لا يكاد يعبأ به. زد على ذلك أن بلاد الأرمن كان موقعها بين دولتين عظيمتين فكانت في وسطهما كساحة وغنى ودار حرب متواصلة، أي الرومان و الفرس، و لكلتا الدولتين ما لهما من النفوذ و القوة و الآداب الراقية فذلك كان يعرض أرمينيا إلى الفناء و الاضمحلال، سواء كان النصر لقياصرة رومية أو لدولة الفرس. (١)

و قد كان للإنجاز الذي حققه القديس مسروب بُعد أخلاقي و ديني و سياسي خارق، حيث أصبحت هذه الأبجدية الجديدة أفضل أداة للتعبير عن خصوصية الثقافة الأرمنية و لإعلان استقلالية الفكر الأرمني وتثبيته، إذ قادت الأحرف الستة و الثلاثون الخاصة بأرمينيا البلاد نحو الثورة الفكرية وقذفت بها نحو الاستكشاف و الغنى الروحي و الفكري. و قد عم استعمال هذه اللغة بأمر الملك بهرام سابور كل بلاد الأرمن. و قد اخذ مشاهير الكتبة منهم ينقلون من اللغات اليونانية و السريانية والفارسية كتباً كثيرة انتشرت بين الأرمن فقوت في قلوبهم شعائر الإيمان.

و المرجح أن مسروب بنى أبجديته على اللهجة المستعملة في سهول آرارات. و كانت أصح من غيرها و يتكلم بها وجوه الشعب و أبناؤهم. و هذه اللهجة تمتاز بضبط قواعدها و نخبة ألفاظها و انسجام كلامها و سلاسة عبارتها و وضوح معانيها. فضلاً عن غناها بالمفردات والمركبات و هي قابلة للتعابير المزخرفة و للتشابيه اللينة و المجازات الرائعة. و إلى هذه اللغة نقلت الكتب المقدسة و قسم كبير من أعمال الكنيسة السريانية و اليونانية. و يعود الفضل الأكبر في ذلك إلى نشاط القديس مسروب الذي لم يكف عن العمل مدة نحو نصف قرن و شاركه في عمله القديس اسحاق البطريرك و تلامذتهما. (٢)

١- مجلة المشرق – بيروت السنة السابعة عشرة كانون الثاني ١٩١٤ ص ٤٩ الأب بولس عريس

٢- مجلة المشرق- بيروت السنة الثامنة العدد ١٧ ١ أيلول ١٩٠٥ ص ٨١٠

تبدو الإصلاحات التي قامت بها الكنيسة الأرمنية دينياً و اجتماعياً و ثقافياً بعيدة المدى، فقد كان للأرمن قبل ذاك العهد جبلاً كبيراً أصوله ضائعة في ظلمات التاريخ، كما تدل عليه آثارهم الهيروغليفية المنقورة على صخور بلاد أرمينيا، و لا سيما حصن مدينة (وان) ثم كتابات أهل ماداي. أما بعد فتوحات الإسكندر فآثروا الحروف السريانية و اليونانية لتدوين آثارهم إلى أن قيض لهم القديس مسروب فنشر لغتهم الكنسية و القومية.

و من الإصلاحات التي مرت بها الكنيسة الأرمنية قرار مجمع اشتيشاد المنعقد عام ٣٥٤ إنشاء مستشفيات للجذام (البرص) و مصحات للمعاقين و مأوى للعجزة و اليتامى و الأرامل، و فنادق للمسافرين، حيث منحت هذه المؤسسات ممتلكات تؤمن لها الاستقلالية و الاكتفاء الماديين. و قد لعبت الكنيسة، إضافة إلى عملها الديني و الخلقي، دور المصلح الاجتماعي البناء.(١)

في العودة إلى تاريخ أرمينيا نرى أن الدولتين المجاورتين لأرمينيا، الأمبراطورية الرومانية و بلاد فارس، قد قسمتاها بينهما، و قد أعقب هذا التقاسم تقاسم آخر سنة ٥٩١ بين الأمبراطورية البيزنطية، خليفة الأمبراطورية الرومانية في الشرق، و دولة فارس الساسانية. و بين هاتين الفترتين كانت أرمينيا قد فقدت أيضاً سلالتها الحاكمة. هذه الأحداث، قربت الكنيسة أكثر فأكثر من الوطن والشعب، بجمعها لشمل العناصر المبعثرة من الشعب، و خصوصاً الطبقة الأرستقراطية التي لعبت إلى حد كبير دور صلة الوصل بين طرفي أرمينيا المقسمة. و في الثاني من حزيران ٤٥١، في معركة أفاراير، و تحت شعار (من أجل الإيمان والوطن) استشهد القائد وارطان ماميكونيان و رفاقه في السلاح فأعلنتهم الكنيسة قديسين و وضعهم الشعب الأرمني في صفوف أبطاله. هذه الأحداث و ما تبعها وعت قادة الكنيسة أنه لا يكفي تنصير أرمينيا، بل لا بد من إدخال الإيمان الجديد إلى عمق أعماق الحقيقة الأرمنية فقرروا أرمنة المسيحية، و هذه الخطوة وضعت المسيحية في العلاقة المميزة للشعب الأرمني. و هذا ما جعل الشعب الأرمني أينما كان في أصقاع العالم يتطلع إلى أرمينيا رمز قوميته بحيث أضحت الكنيسة مرادفة لقومية شعبها.

لم تشترك الكنيسة الأرمنية بالمجمع الخلقيدوني المنعقد سنة ٤٥١ و في عام ٥٠٦ تخلوا عن مقررات هذا المجمع، معلنين تمسكهم بالإيمان المعلن في مجمع أفسس. و قد تثبت في عام ٥٥٤ في مجمع دفين الوطني الثاني الذي أقر موقف الأرمن المعارض للخلقيدونية. و لم تعترف الكنيسة الأرمنية سوى بأول ثلاثة مجامع مسكونية و هي نيقية (٣٢٥) افسس (٣٣١) و القسطنطينية (٣٨١).

و قد وصل الكاثوليكوس إلى أرض بعيدة عن الوطن .. إلى كيليكيا حيث تشكلت إمارة أرمنية نحو عام ١٠٧٠ ثم أصبحت مملكة في عام ١١٩٨ فتركزت الكاثوليكوسية عام ١٢٩٢ في العاصمة سيس. (٢)

١- مجموعة مؤلفين: المسيحية عبر تاريخها في المشرق ص ٣٦٠ مانوشاك بوياجيان

٢- = = : = = = = = = ص ٣٦٦ مانوشاك بوياجيان مرجع سابق

تبدو الكنيسة الأرمنية كالأم التي تحتضن الأبناء، لقد واكبت نمو الشعب الأرمني و شكلت جزءاً متكاملاً من الحياة و المصير الأرمنيتين، و يستحيل إنكار تأثيرها على مختلف مجالات الثقافة الأرمنية، فهي المعبر عن رؤية و جرأة و سعة إطلاع أصحابها. و هؤلاء ليسوا فقط أنصار للثقافة بل أيضاً شعراء ومهندسون و رسامون و نحاتون و علماء.

و نجد الأدب الأرمني كان معروفاً و ميسوراً للباحثين منذ مطلع القرن التاسع عشر. و نذكر في هذا المجال ب، نيومين، و كتابه بالألمانية (محاولة في تاريخ الأدب الأرمني) ليبزيغ ١٨٣٦، و الدراسات الأخيرة للكاتب كاريكوي (في تاريخ الأدب الأرمني الحديث) البندقية ١٩٠٥ ثم ج. كارست و مصنفه بالألمانية (تاريخ الأدب الأرمني) ليبزيغ ١٩٣٠ و هـ. لوكلير صاحب (الأدب الأرمني بالفرنسية) في قاموس الأثريات المسيحية و الليتروجيا (ج ٩ ، ع ١٥٧٦، ١٥٩٩) و المطران كاريكين سركسيان مؤلف (مدخل إلى الأدب الأرمني المسيحي) بالفرنسية (في دفاتر دراسات مسيحية شرقية، باريس). (١)

و قد حصل الأرمن في العهد العثماني على ازدهار من مصدرين اثنين : تأثير صيارفتهم على حكام المقاطعات و بالتالي على إدارة الأمبراطورية، و سيطرتهم على الطرق التجارية المؤدية إلى فارس وآسيا الوسطى، و على التجارة مع الهند إلى حد ما. هنا أيضاً أدى الازدهار الجديد إلى تأسيس المدارس وإلى إحياء الثقافة- لكن في شكل خاص عبر أعمال (المختياريين)، و هم رهبنة دينية كرست نفسها لإحياء معرفة أدب الكنيسة الأرمنية. و أعطى الراهب مختيار، مؤسس الرهبنة ، تعبيراً مبكراً لاعتقاده بأن (كل من يفصل نفسه عن إيمان الكنيسة في روما، إنما يفصل نفسه أيضاً عن تعليم الآباء الأرمن) . في عام ١٧٠٠، بدأ الراهب مختيار حياته الرهبانية في اسطنبول، كما بدأ اعمال طباعة، و نشر الأعمال الكلاسيكية الأرمنية التي ارتبط اسمه بها دائماً. و لما أكره على ترك اسطنبول تحت وطأة الأرثوذكس، وضع نفسه تحت حماية سفير البندقية، و بعد تقلبات معينة، منحه حاكم البندقية جزيرة سان لازارو حيث لا يزال الدير الذي أسسه قائماً حتى اليوم. (٢)

و لقد كانت نهضة الكنيسة الأرمنية مبكرة، فمنذ العام ١٨٣٦ كان أرمن روسيا يخضعون في إدارتهم الداخلية، للنظام المسمى (بولوجينية)، و هو نظام يسمح للقيصر بالتدخل المستمر في شؤون الكنيسة، فكان القيصر هو الذي يختار كاثوليكوس اتشميازين، الرئيس الأعلى للكنيسة، من بين اثنين يقترح اسميهما ممثلو الكنيسة الأرمنية. و في الملة الأرمنية في الأمبراطورية العثمانية، كان الزعماء التقليديون، و هم غالباً من أصحاب المصارف، و الصيارفة، مقتدرين، يمارسون رقابة تامة على البطاركة، لا سيما ما بين ١٨١٠ و ١٨٤٥، و لم تتراجع سلطة هؤلاء إلا مع صعود الحرفين (الأصناف)، و مع تحديث الدولة ، و بخاصة مع إنشاء البنك العثماني، مما سبب تدهور أصحاب المصارف التقليدية.

١- مجلة المسرة- حريصا السنة ٦٢ أيار- حزيران ١٩٧٦ ص ٢٢٤ الأكسرخوس يوسف نصر الله

٢- مجلة الواقع- بيروت السنة الأولى العدد الأول ك ٢- شباط ١٩٨١ ص ٥٩ البرت حوراني

و على مثال ملة الأرمن البروتستانت التي انشئت في العام ١٨٥٠ و اتخذت لها مجلساً اكليركياً وأيضاً مجلساً علمانياً يدير الشؤون الدنيوية، اتخذ الأرمن الغريغوريون تنظيماً داخلياً لهم في العام ١٨٦٠ سموه " نظام الملة الأرمنية" و يشكل هذا النظام نوعاً من دستور تؤلف بموجبه جمعية وطنية من ١٤٠ عضواً، بينهم ٢٠ اكليركيا و ١٢٠ علمانياً ينتخبون باقتراع مفتوح يقوم به دافعو الضرائب، و كانت هذه الجمعية تنتخب بطريرك اسطنبول، و تقرر موازنة الطائفة، و تنتخب أعضاء المجالس الدينية و المدنية. المجلس المدني الأخير المؤلف من علمانيين كان عليه أن يقرر المسائل الزمنية المتعلقة بالطائفة. هذا و قد أعطت الحكومة العثمانية في العام ١٨٦٣، موافقتها على النظام المذكور، على الرغم من الصراعات التي قامت بسببه ما بين (المتنورين) و (الرجعين). هذا و قد استخدم الأتراك هذا النظام كنموذج عندما أقروا في العام ١٨٧٦ الدستور العثماني نفسه. في العام ١٨٨٨، أعطى الأرمن الكاثوليك بدورهم العلمانيين دوراً مهماً في إدارة الكنيسة، و ذلك عبر قانون وطني. (١)

و هناك تطابق بشكل وثيق ما بين الكنيسة الأرمنية و الأمة. و قامت منذ العام ١٨٦٢، انتفاضات في شرقي الأناضول، و إذا ما عبر النواب الأرمن، في المجلس عام ١٨٧٦، عن مطالب كنائسهم ضمن الإطار العثماني، ففي نهاية القرن التاسع عشر لم يعد الأمر كذلك، فقد أصبحت تلك المطالب، بفضل ضغط الجمعيات السرية، أكثر راديكالية. ثم حدثت انتفاضات تلتها مجازر في مقاطعة ساسون ثم في منطقة زيتون في عامي ١٨٩٤ و ١٨٩٥، ما بين ١٢٠ ألف إلى ٢٠٠ ألف أرمني إما ذبحوا، و إما خطفوا أو أجبروا عنوة على الارتداد عن دينهم، كثيرون ممن نجوا من الموت هاجروا، أو انقطعت أخبارهم.

في العام ١٩٠٨ أعيد الدستور العثماني مع ثورة جمعية (تركيا الفتاة) الذي كان ينص على المساواة بين جميع رعايا الأمبراطورية، إلا أن المذابح التي جرت في أضنه بمقاطعة كيليكيا (١٩٠٩) دلت على هشاشة الهدنة. أخيراً، جاءت الحرب العالمية الأولى و كان أفظع ما فيها إبادة الشعب الأرمني في العام ١٩١٥. فقد اتهم أرمن الأناضول بتعاطفهم مع الروس تعاطفاً عد خيانة، و تمت تصفيتهم على يد فرق من الجيش النظامي، أو على يد جبليين أكراد. و ما لم يمت منهم أحد في أقسى الظروف مات في طريقه نحو المخيمات في الصحراء السورية بحيث لم ينجو منهم سوى ٣٥٠ ألفاً. إبادة الشعب الأرمني التي بدأت في شهر أيار من العام ١٩١٥ تتابعت في العام ١٩١٦ حتى اندلاع الأزمة اليونانية- التركية. و قدر عدد الموتى بنحو ٧٠٠ ألف أرمني(٢) فيما قدرها مانوشاك (٣) بمليون و نصف مليون. و ترافقت تلك الإبادة بمذابح

١- مجموعة مؤلفين: المسيحية عبر تاريخها في المشرق ص ٧٦٦ مرجع سابق كاترين- مايور- جلوين

٢- = = = = = = = = ص٧٦٩ مرجع سابق

٣- = = = = = = = = ص ٣٦٦ = = مانوشاك بوياجيان

مروعة ذهب ضحيتها سريان و آشوريون- كلدان. و من ثم تفريغ الأناضول من المسيحيين مع رحيل اليونانيين من آسيا الصغرى. في العام ١٩٢٢، في عملية استعادة الأتراك الموجودين في اليونان، و مع نهاية مسيحي آسيا الصغرى تمركز مسيحيو المشرق في الشرق الأدنى، و في منطقة الهلال الخصيب و وادي النيل. و قد كان الإجلاء القسري من كيليكيا سبباً في إخلاء المكان لينتهي الكرسي الكاثوليكوسي مع مؤمنيه إلى المنفى و يستقر في انطلياس- لبنان.

و في تفاصيل ذلك أن غالبية الأرمن المنتشرين في العالم هم من أصول من نجوا من المذابح ملتجئين إلى حلب و من هناك انطلقوا في أرجاء سوريا و لبنان. و لما احتل الفرنسيون مقاطعة كيليكيا عاد إليها سكان الأرمن (١٩٢٠) إلا أنهم اضطروا إلى أن ينزحوا عنها من جديد لما جلا عنها الفرنسيون فلجأ جاثليق سيس الأرثوذكسي إلى لبنان، و كما ذكرنا أقام في بلدة انطلياس. و نشبت أزمة دينية سنة ١٩٥٦ إثر انتخاب البطريرك زاره جاثليق سيس. فقد حاول جاثليق اشمازين أن يتدخل في شؤون جثلقة سيس و يفرض عليها سلطته، إلا أن الجاثليق زاره (١٩٥٦-١٩٦٣) قد تمكن من المحافظة على استقلال بطريركيته و أعاد الهدوء و السلام إليها. و قد انضمت إليه أبرشيات كثيرة في المهجر كانت خاضعة لجثلقة اشمازين.

للأرمن إجمالاً في لبنان عدة مؤسسات إعلامية حيث تأسست أول مطبعة لهم عام ١٩٣١ وازداد عدد المطابع الأرمنية إلى أن بلغ عشرين مطبعة عام ١٩٥٣. (١)

و صدرت أول مجلة للأرمن في بيروت باسم (هامسك) ناطقة باسم بطريركية الأرمن الأرثوذكس عام ١٩٣٢، كما صدرت صحيفة (ارارات) ناطقة باسم حزب (الهانشاك) و (زاريونغ) ناطقة باسم حزب (الرامكافار) و مجلة (دوهناسير) ناطقة باسم الطائفة البروتستانتية و كل هذه المطبوعات صدرت عام ١٩٣٧. كما صدرت عام ١٩٤٧ مجلة (بريداهارث ها سوكي) النسائية ومجلة (ماسيس) عن بطريركية الأرمن الأرثوذكس، و عام ١٩٥١ صدرت مجلة (نايري) الأدبية. وعام ١٩٥٣ صدرت صحيفة (ايك) المستقلة، و عام ١٩٥٥ صحيفة (باجيشكه) الطبية و عام ١٩٥٦ مجلة (شيراك) و عام ١٩٥٨ مجلة (سيبوك) الثقافية و عام ١٩٦٥ أصبحت صحيفة (ازتاك) الناطق الرسمي لحزب الطاشناك.

و يمكن القول أنه كانت تصدر عام ١٩٦٥ حوالي خمسون مجلة أسبوعية شهرية و فصلية أرمنية في لبنان، بالإضافة إلى الأربع صحف اليومية. كما أن هناك ثلاثين مطبعة و سبع دور نشر أرمنية في بيروت.

و في عام ١٩٨٠ كان مرخصا في لبنان لـ ٤ صحف يومية سياسية، واحدة أسبوعية سياسية، ٦ أسبوعية غير سياسية و ١٦ شهرية غير سياسية بالإضافة إلى المجلات الفصلية و غيرها.

١- خليل صابات: تاريخ الطباعة في الشرق العربي دار المعارف- القاهرة ١٩٩١ ص ٧٣-٨٧-٨٨

إضافة إلى هذا أو ذاك فللجمعيات الاجتماعية و الخيرية دور كبير في حياة الأرمن، عدا ما لهم من سلسلة من المستوصفات و مستشفى (مصح الأرمن) في العازونية في قضاء عاليه.

و غدا التمثيل النيابي للأرمن في لبنان ممثلاً بخمسة نواب بدل من أربعة و بوزير، فيما ينتخب في الغالب نائب عنهم في مدينة حلب.

و تعتبر حلب التجمع الرئيسي للأرمن في سوريا و من ثم القامشلي، حيث يقيم في محافظة الجزيرة حوالي ٢٠ ألف أرمني، ثم دمشق مركز الثقل، و مجموعة صغيرة في حمص و أخرى لا بأس بها في اللاذقية، أي ما مجموعه ٦٠ ألف أرمني في حلب و محيطها و عشرة آلاف في دمشق. كما لهذه الطائفة مجموعة من الكنائس في دمشق و حلب و حمص و الجزيرة، ما مجموعه اثنتا عشرة كنيسة منضوية إلى ١٣ أبرشية للأرمن الأرثونكس، و في السنوات العشر الأخيرة شيدت كنيسة في دير الزور تخليداً لذكرى المجازر الأرمنية. (١)

و للأرمن أجهزتهم القضائية التي تحكم بموجب تشريعات خاصة بهم، كما لهم كلية لاهوت و عدد من الثانويات في بيروت و برج حمود و الحازمية و عنجر.

تتضارب الأرقام بالنسبة لعدد الأرمن المهاجرين إلى سوريا نتيجة المذابح التي تعرضوا لها و في بقائهم أو مهاجرتهم، و لكن حلب تبقى في ذاكرة الكثير من الأرمن، و منها ولد بعض من كبار مسؤولي جمهورية أرمينيا.

و يذكر شارل عيساوي أنه هرب زهاء ١٥٠٠٠٠ أرمني من تركيا إلى سوريا و لبنان خلال الحرب العالمية الأولى و في أعقابها. و من بين هؤلاء ظل ١٢٠٠٠٠ مقيمين في سنة ١٩٢٧. لقد أسهموا بصورة هائلة في الصناعة و المهن الحرفية و التجارة. غير أن معظمهم ترك سوريا بعد حصولها على الاستقلال، و يترك عدد كبير لبنان في الوقت الراهن. (٢)

لكن إحصائية أخرى تذكر أن عددهم في سوريا عام ١٩٣٤ كان (٦٥٥٦٧) نسمة (٣) وفي حلب كان عددهم عام ١٩١٥ (٤٩١١٤) بزيادة خمسة أضعاف عن أية طائفة مسيحية موجودة في هذه المدينة. (٤) و كان عددهم في سوريا عام ١٩٤٤ (١٠٣١٨٠) و عام ١٩٤٥ (١٠٤٣٣١) وعام ١٩٤٦

١- صحيفة الأنوار- بيروت ٢٠٠١/٤/٢٩ ص ٦ من تصريح مطران الأرمن الأرثونكس في دمشق كابيل دمرجيان

٢- شارل عيساوي: تاريخ اقتصادي للشرق الأوسط و شمال أفريقيا ترجمة د. صليب بطرس مكتبة الوعي العربي- القاهرة ١٩٨٧ ص ١٥٠.

٣- عبد العزيز العظمة: مرآة الشام ، تاريخ دمشق و أهلها منشورات رياض الريس للكتب و النشر- لندن ص ٢٤

٤- مجلة المشرق- بيروت السنة الثامنة عشرة العدد ٣ آذار ١٩٢٠

(١٠٤٠٧٢) و عــــام ١٩٤٧ (١٠٤٩٢٥) و عــــام ١٩٤٨ (١٠٦٢٩٨) (١). و عـام ١٩٥٦ (١١٤٠٤١) نسمة (٢). و قدر أحد المراجع عددهم في لبنان ١٥٠ ألفا و في سوريا ١٠٠ الف و في إيران ١٧٠ ألفا (فيما قدرهم مرجع آخر بـ ١٠٠ ألف عام ٢٠٠٠ (٣)) و في قبرص ٣٥٠٠ يعود وجودهم فيها إلى القرن الحادي عشر و في الكويت و الإمارات ١٢ ألفا، و في الولايات المتحدة و كندا ٦٠٠ ألف و ٨٠ ألف في تركيا (٤) وفي القدس ١٥٠٠ نسمة و مثلهم في عمان، و قد هاجر تسعون بالمئة من الأرمن عام ١٩٥٠ و ١٩٧٣ (٥)

١- المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٤٩ ص ١٩ مرجع سابق

٢- = = = = ١٩٥٦ مرجع سابق

٣- صحيفة النهار - بيروت ٢٠٠١/١/٢٦ ص ١٣

٤- = = = ١٩٩٨/٩/١٥ ص ١٣

5- MECC Documentation Center (Who are the Christian of the middle east) MECC Prepectives, October 1986 P 29

طائفة الأرمن الكاثوليك

طائفة الأرمن الكاثوليك هي فرع للكنيسة الأرمنية الأم قبل دخول الكثلكة إليها. و يمكن القول إن دخول الكاثوليكية بين الأرمن يعود إلى أيام دخول الرهبان الفرنسيين و الدومنيكيين في بلاد كيليكية، وبلغ الأسقف الدومينيكي برتلمي إلى أن ينشئ بين الأرمن سنة ١٣٣٣ رهبانية كان أعضاؤها يتبعون رسوم القديس دومنيك و هم يحافظون على الطقوس الأرمنية، فكان لهؤلاء الرهبان فضل كبير في تعريف الأرمن بالكثلكة، ثم توثقت بعدئذ عرى الوحدة بين الأرمن و الكنيسة الرومانية في المجمع الفلورنتيني عام ١٤٣٩.

و قد كان في حلب عام ١٦٤١ عشرين ألف أرمني بين كاثوليك و غير كاثوليك، و قد سعى اليسوعيون كل جهدهم أن يحولوا الأرمن إلى الكاثوليكية، و كان لهم أخواتيان للأرمن و على رأسهم الأب شيزو.

و الأرمن المتواجدين في حلب آنذاك كانوا قد أتوا من إيران، أما باقي الأرمن من غير الكاثوليك، فقد أولاهم الأب شيزو عنايته و ساق إلى طاعة الكرسي الرسولي أسقفاً أرمنياً و لكنه أبعد من الخدمة الإلهية. على أن الأب شيزو استطاع أن يضم أكثر من ألف ارمني إلى الحظيرة الكاثوليكية. (١)

و مرت في هذه الأوقات ظروف صعبة على الطائفة الأرمنية حيث عصفت بها الانشقاقات، ففي وقت من الأوقات، كان هناك خمسة بطاركة لها لا واحد بحكم الخلافات القائمة بين أفرادها.

و يعتبر إبراهيم أرزيفيان المولود في عينتاب سنة ١٦٧٩ أول بطاركة كيليكية على الأرمن

١- مجلة المشرق- بيروت السنة الثامنة العدد ٦ ١٥ آذار ١٩٠٦ ص ٢٧٨

الكاثوليك عام ١٧٤٢ بعد انفصالهم عن الغريغوريين. (١) و قد احدث تعينه في حلب كمطران ردة فعل من الطوائف الأخرى حتى أنه نفي إلى جزيرة أرواد و بقي إلى عام ١٧٢٢ و نفي إلى لبنان، حيث أكرم هناك من قبل الموارنة و بنى له الشيخ أبو نادر ديراً على اسم المخلص بجوار قرية غسطا ووهبه إياه مع أملاك واسعة أوقفها على الدير.

و عاد إبراهيم إلى حلب عام ١٧٣٩ و لما توفي لوقا بطريرك الأرمن في سيس اجتمع أساقفة فاختاروا مطران حلب ليقوم مقامه في كرسي البطريركية و سقفوا على حلب يعقوب تلميذ إبراهيم و رفيقه في جهاده عن الإيمان. و كان أول شيء فكر فيه البطريرك المختار أن يرحل إلى أم المدائن ليقدم للأحبار الرومانيين فروض الطاعة، فدخل روما في منتصف آب ١٧٤٢ و تلقاه بنديكتس الرابع عشر بحفاوة وسرور، و قلده في ٨ كانون الأول من السنة ذاتها ردع الرئاسة، و دعي إبراهيم بطريرك كيليكيا.

و في أخريات أيامه سكن دير السيدة في الكريم- كسروان متفرغاً لممارسة كل الفضائل المسيحية مع الرهبان الأنطوانيين و توفي غرة تشرين الأول سنة ١٧٤٩ و دفن في دير الكريم بأبهة.

و حين فروغ الكرسي البطريركي اجتمع خمسة مطارنة لانتخاب خلف لابراهيم المتوفي، فطلب إليهم الكهنة الذين كانوا بصحبة البطريرك السابق أن تقتني لهم محل يسكنون فيه و يتعاطون أمور مهنتهم دون أن يرتبطوا بالنذور الرهبانية كالأنطونيين، فلبى الأساقفة إلى دعائهم و تملكوا محلاً آخر فوق دير الشرفة يعرف ببزمار عام ١٧٤٩ و هو يحوي الآن مخطوطات أرمنيةنفيسة، و إلى العام ٢٠٠٠ كان هناك ثمانية عشر بطريركاً تناوب على رئاسة هذه الطائفة بعد أن انتقل الكرسي البطريركي في أوائل القرن العشرين إلى بيروت.

و بلغ عدد الأرمن الكاثوليك الخاضعين لبطاركة كيليكيا في نهاية القرن التاسع عشر مئة ألف، أكثرهم كان في ولايات الدولة العلية حيث لهم فيها أربعة رؤساء أساقفة كراسيهم في القسطنطينية (و هو كرسي نائب البطريرك) و حلب و ديار بكر و ماردين و ثلاثة عشر أسقفاً يقطنون أضنة وأنقرة و بروسة وقيسارية قبادوقية و أرزروم و مرعش و موش و سبواس و طوقات و طرابزون وخربوط و ملطية والإسكندرونة . و كان لهم أيضاً في اصفهان من عواصم العجم (إيران) و لهم أيضاً أسقف في بلاد روسيا في مدينة ارتوين.(٢)

١- مجلة المشرق – بيروت السنة الثالثة العدد ٢ ١٥ ك٢ سنة ١٩٠٠ ص ٥٤

٢- مجلة المشرق – بيروت السنة الثالثة العدد ٤ ١٥ شباط ١٩٠٠ ص ١٥٦ الأب لويس شيخو

و في النمسا كان هناك أسقف للأرمن الكاثوليك تحت حكمه نحو سبعة آلاف ارمني كاثوليكي و هو يقطن فيينا في دير الآباء الميكاتاريين و ليس لبطريرك كيليكيا عليه أمر، كما أن سلطة غبطته لا تمتد إلى ٢٤ ألف أرمني كاثوليكي توطنوا مقاطعة تيراسبول في روسيا.

كما لعبت ماردين دوراً هاماً في انتشار الأرمن الكاثوليك. ففي بداية القرن العشريـن قـدر عـدد الأرمن في سنجق ماردين (١) بـ ٣٠ ألف نسمة قسم منهم غريغوريون يسكنون غالباً شمالي ماردين و شرقها الشمالي لا سيما و يران شهر و رأس العين و ديريك و جهات نصيبين. أما مدينة ماردين و تل أرمن فليس فيهما غير الكاثوليك و عددهم نحو ١٢ ألفاً و أصلهم من أطراف ساسون استوطنوا ماردين منذ زمن طويل، كما تدل عليه كنيستهم التي يزيد عهد بنائها على ألف سنة، ثم اتحدوا بعد ذلك مع الكنيسة الرومانية.

و نعرف أن كثلكة الأرمن في هذه المنطقة بدأت حين أتى ماردين بعض الرهبان الكرمليين منادين بالاتحاد مع الكنيسة الرومانية. ثم جاءها من بعدهم سنة ١٦٤١ الرهبان الكبوشيون و اشتهر بينهم الأب يوحنا من سان منس و هو الذي اختار شاباً تقياً يدعى ملكون طاز بازيان كان مولد سنة ١٦٥٤ فأرسله ليتلقى العلوم في المدرسة الأوربانية. (٢)

و لعب الأرمن الكاثوليك دوراً مهماً أثناء الأمبراطورية العثمانية دون أن يسعوا إلى ذلك، حيث إنه أثناء سنة ١٨٢٧ وقعت إنكلترا و روسيا و فرنسا معاهدة لندن التاريخية. و كان من جملة قراراتهاالاعتراف باستقلال الدولة اليونانية. و في السنة نفسها غرق الأسطول التركي في (نافارن) فأحدث تخريبه ضجة عظيمة في العاصمة التركية. و قد اتخذ السلطان محمود الثاني من هذا الأمر ذريعة ليشن حملة شعواء على الأرمن الكاثوليك متهماً إياهم بالتجسس للفرنسيين كون الاثنين كاثوليك، نافياً الكثير من المرسلين اللاتين بحجة أنهم جواسيس، و طرد من العاصمة كل الكاثوليكيين، و كان عددهم ثلاثين ألفاً، و لم يعترف بغير الكنيسة الغريغورية- الأرمن الأرثونكس.

و أعقب هذا الأمر تهديد شديد اللهجة من الحكومة الفرنسية ضد إجراءات الحكومة العثمانية، وبفضل حزم السفير الفرنسي و تدخل البابا لاون الثاني عشر، همدت ثورة الاضطهاد وصدر في السادس من كانون الثاني من سنة ١٨٣٠ فرمان يدعو كل المنفيين للعودة، و ألحت فرنسا بطلب تحرير الأرمن وسائر الطوائف المسيحية المتحدة مع روما.. ذلك لئلا تعود فتتجدد تلك الفظائع والمظالم، فرضخ السلطان و أقام على الأرمن الكاثوليك رئيساً عالمياً، و لقبه بالمُرخص او المراقب.

١- مجلة المشرق- بيروت السنة العاشرة العدد ١١ حزيران ١٩٠٧ ص ٥٠٤ المونسينور الكمندريان

٢- = = = = = = = = = = = = = = مرجع سابق

و كانت لغة الخطاب في القسطنطينية، في أوائل القرن التاسع عشر ترى أن كلمة كاثوليكي تطلق فقط على الأرمن المتحدين مع روما و تسمي سائر الكاثوليك، و أن شرقيين، لاتينيين. إن لهذه التسمية المشتركة ظواهر اللاشيء، و لكن الأرمن الكاثوليك استفادوا كثيراً منها.

و لم يمض وقت طويل حتى خلف (المُرخص) في وظيفته المدنية كاهن اسمه آغوب تشوكوريان انتخبه الأرمن الكاثوليك سنة ١٨٣١ و بعث إليه الباب العالي بفرمان جاء فيه: ((إنه لما لحظ جلالة السلطان أن ليس للكاثوليك الرومانيين و الأرمن المقيمين في مملكته من راس خاص بهم، منح الكاهن آغوب تشوكوريان لقب أسقف (الديانة الكاثوليكية) في كل أنحاء مملكته)). و من هنا بدت بوادر التلاعب بمعنى كلمة (كاثوليك) لأنه، مع أن نص الفرمان و بعض تعابيره تشير إلى أنه لا يتناول إلا الأرمن الكاثوليك، كانت مع ذلك بعض كلماته تدل أن ولاية تشوكوريان تمتد إلى سائر كاثوليك المملكة العثمانية من أيه طائفة كانوا، سواء ملكيين و كلدان أو سريان أو موارنة. (١)

و حين توفي تشوكوريان سنة ١٨٣٤ انتخب عوضاً عنه مجلس الأمة الأرمنية كاهناً اسمه أرتين تشوخيجيان، و استلم براءة التثبيت أو الفرمان في ثالث حزيران من سنة ١٨٣٤. و لم يختلف نصها عن براءة سالفه سوى أنه قد جاء في أولها شيء جديد مهم و هو: (بما أن الراهب آغوب، أسقف كل الكاثوليك الساكنين في مملكتي، قد مات، و بما ان الطائفة المذكورة طلبت إلي أن أتنازل و أعين لها بطريركاً الراهب أرتين، وكيل أنقرة الذي انتخبته مكان المتوفي، فقد رضيت بانتخاب أرتين وولايته على البطريركية و عليه يجب على الأساقفة و الكهنة و الرهبان و العالميين القاطنين مملكتي من الطائفة الكاثوليكية و من الطوائف الكلدانية و السريانية و الملكية و المارونية أن يعترفوا به بطريركاً و يرجعوا إليه في كل أمورهم التي تبغيها مصلحتهم).

و بمقتضى ذلك استرجعت كلمة (كاثوليك) معناها الشامل المعتاد، لكن أصبح رئيس الطائفة الأرمنية الكاثوليكية رئيساً مدنياً على سائر الطوائف الشرقية الكاثوليكية، و منحه الفرمان الشاهاني كل الانعامات الممنوحة لبطريرك الفنار و بطريرك الأرمن الغريغوريين. و مع أن (المُرخص) تشوخيجيان لم يكن إلا كاهناً بسيطاً فقد سماه السلطان بطريركاً فجاءت هذه التسمية مخالفة للحق القانوني، لأن لقب بطريرك لقب ديني بحت تتطلب الديانة الكاثوليكية من حامله ولاية قانونية حقيقية لا يستطيع أن يهبها أحد غير رأس الكنيسة الأعلى. و بما أن البابا لأسباب يطول شرحها لم يكن قد اعترف بهذا البطريرك، اتفقوا أن يلقبوا الرئيس المدني أو المرخص الأرمني على الكاثوليك بـ (الكاهن – البطريرك) و قد حمل خلفاء ارتين هذه التسمية.

١- مجلة المشرق- بيروت كانون الثاني ١٩٣٠ ص ٤٥ السنة الثامنة و العشرون الخوري بطرس روفائيل

بين الأسرة الأرمنية الواحدة هناك بعض الاختلاف، فالأرمن الكاثوليك تخلى الكثير منهم عن الصفة الأرمنية لاسمهم و حذفت (يان) في آخر الاسم، كما أن تعلقهم بقوميتهم أقل من الأرثوذكس.

و على أي، فإن الأرمني- دونك طوائفه- يجاهد و يعارك و لا يألو جهداً من النضال في معترك هذه الحياة غير هياب بالصعوبات و الحواجز التي تقف في سبيله.

يكتفي الأرمني بربح قليل و بيع كثير و اقتصاد هائل ليجمع ثروة طائلة في وقت قصير.

يمتهن كل الحرف مهما سما و علا و لا يستحي كبيرهم من الاستخدام و تعاطي أحط المهن عندما يلجئه الحاجة و تمس به الفاقة.

إن وجود الأرمن الكاثوليك في سوريا قديم، إلا أن الوجود الرسمي في دمشق يعود إلى العام ١٨٢٠ . و في العام ١٨٦٣ شيدت أول كنيسة للأرمن الكاثوليك في باب توما. أما كنيسة حلب فتعود إلى العام ١٨٤٠ لتنتشر بعدها الكنائس في القامشلي، الحسكة، دير الزور. و أن للطائفة أبرشيات ثلاثة موزعة ما بين دمشق و حلب و القامشلي، أما عدد الأرمن الكاثوليك في سوريا فيبلغ ٢٥ ألف نسمة (١)

ربما كان هذا الرقم دقيقاً أم لا، لكننا سنورد عدة مصادر لأرقام أبناء هذه الطائفة، فأحد المصادر تقدر عدد رعاياها في الشرق بـ ٣٥ ألف نسمة، ١٢ ألف في سوريا و البقية في لبنان والعراق و القدس والأردن، و هناك أقليات في أوربا و الأمريكيتين(٢) فيما قدرهم مصدر في أبرشية دمشق عام ١٩٩٩ بـ ٢٠ ألف مواطن في سوريا (٣) و لكن عددهم في منتصف تسعينيات القرن العشرين في القدس و الضفة الغربية وقطاع غزة كأرمن إجمالاً ١٥٠٠ (٤) فيما كان عددهم عام ١٩١١ في سوريا ٢٣٠٠ نسمة (٥) و عام ١٩٣٤ (١٢٤٢١) (٦) و عام ١٩٥٦ (٢٠٦٣٧) نسمة (٧) فيما كان عددهم عام ١٩٤٤ (١٧٠٧٢) وعام ١٩٤٦ (١٧٢٥٨) و عام ١٩٤٧ (١٧٤٩٣) و عام ١٩٤٨ (١٧٧٠٦) نسمة (٨) و كان عددهم في حلب عام ١٩٣٥ (٦٧٥٤) نسمة (٩). و رسميا كان في أرمينيا عام ١٩٩٩ (١٥٠) ألف أرمني كاثوليكي فيما ذهب المصدر في أبرشية دمشق إلى نسبتهم إلى نصف

١- صحيفة الأنوار- بيروت ٢٩ /٢٠٠١/٤ ص ٦ مرجع سابق تصريح مطران الأرمن الكاثوليك في دمشق جوزيف أرناؤوطي

٢- سعد سعدي: معجم الشرق الأوسط دار الجيل – بيروت ١٩٩٨ ص ٤٦

٣- سمير عبده: المسيحيون السوريون خلال ألفي عام دار علاء الدين – دمشق ٢٠٠٠ ص٧٧

٤- صحيفة النهار- بيروت ٢٠٠١/١٢/١٥ ص ١٣ مرجع سابق

5- Great Britian F.O. Correrpondence realating to the affairs of Syria 371/1236/ No 47157 (6 Nov 1911)

٦- عبد العزيز العظمة: مرجع سابق

٧- المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٥٦ مرجع سابق ص ١٩

٨- = = = ١٩٥٩ = =

٩- مجلة المشرق- بيروت السنة الحادية و العشرون العدد ٩ أيلول ١٩٢٣ ص ٦٩٧ الأب فردنيان توتل مرجع سابق

مليون (١).

للأرمن الكاثوليك في لبنان ثلاثة رهبانيات للرجال و رهبانية للنساء، و المؤسسات القضائية لهذه الطائفة تتبع إلى حد كبير أنظمة شبيهة بالمؤسسات المماثلة للطوائف الكاثوليكية الأخرى، كما لهم كلية لاهوت و لهم ثانويتان.

١- سمير عبده: المسيحيون السوريون خلال ألفي عام مرجع سابق

طائفة الآشوريين

يطلق اسم الآشوريين و الكلدان أو البابليين دون تمييز على شعب واحد في التواريخ القديمة. والداعي إلى ذلك تقلبات هاتين المملكتين، إذ كانتا غالباً تتضامان فتصبحان مملكة واحدة. و قد اختصهم الكتاب المقدس باسم الآراميين و به دعاهم هومير الشاعر و غيره من شعراء اليونان الأقدمين. و لما صار أمر المشرق إلى الإسكندر و كثر اليونان في الشرق أطلقوا عليهم اسم السريان.

و حين انتشرت الديانة النصرانية في العالم أهمل المتنصرون من الآراميين اسم الكلدان، لأن البعض جعلوه مرادفاً للمنجمين فكانوا يشمئزون منه، إلى أن اخذ هؤلاء المنجمون يتلاشون من هذه الديار فعاد الآراميين فاسترجعوا اسم الكلداني. فإن ابن العبري في كتابه (المدخل) لما تكلم عن السريان الشرقيين وهم الكلدان قال (الشرقيون العجيبون أولاد الكلدان القدماء). و أما اسم الآرامي فلم يهمل بل بقي محفوظاً عندهم، حتى أن الآراميين ميزوا لفظتي (أرمايا) و (أرامايا). فإن الأولى بسكون الراء كانت كناية عندهم عن الوثني، والثانية بزقاف الراء مرادفة للفظة (السرياني). (١)

و يذكر البعض ان سلالة البابليين انقرضت و بقيت محصورة في عشيرة تعرف بالصابئة، و أن سلالة الآشوريين اندثرت و بقي البعض منها يسمون الأكراد الكوشيون على حسب المرجع الذي رجعنا إليه (٢) و هو يخالف ما استسهلنا به هذا الفصل.

١- مجلة المشرق- بيروت السنة الثالثة العدد ١٨ ١٥ ايلول ١٩٠٠ ص ٨١٨ القسين أدى صليبا ابراهينا وبطرس نصري

٢- = = = السنة الثانية العدد ٢٠ ١٥ تشرين الأول ١٨٩٩ ص ٩٣٨

تعود بدايات الكنيسة النسطورية أو الآشورية * أو المشرق إلى بدايات المسيحية في أوائل القرن الرابع، حين ظهر نسطور، بطريرك القسطنطينية و طلع بتعليم جديد مغاير لعقيد الكنيسة الجامعة مفاده (أن في المسيح طبيعتين،و أقنومين، و لذلك فهو مسيحان أحدهما ابن الله، و الآخر ابن الإنسان، و أن مريم لم تلد إلهاً متجسداً بل إنساناً محضاً هو يسوع المسيح، ثم حل فيه كلمة الله)، و قد أخذ بهذا المذهب إمبراطور المملكة الشرقية البيزنطية و تبنته الكنيسة الأنطاكية. و لاقى تعليم نسطور هذا قبولاً لدى بعض السريان في المناطق الخاضعة للاحتلال الفارسي، و في بعض أجزاء سوريا وقبرص و إيران و أرمينيا فانفصلوا عن الكنيسة الأنطاكية و استحدثوا لهم مركز رئاسة خاصة في المدائن، ثم نقل إلى بغداد عام ٧٦٢. و على عهد قريب كانت كنيستهم تعرف باسم الكنيسة السريانية المشرقية أو السريانية النسطورية و لكنهم بدلوا اسمهم هذا في مطلع القرن العشرين و أصبحوا يعرفون بالكنيسة الأشورية، و منهم تفرع الكلدان الكاثوليك سنة ١٥٥٢ وسميت بطريركيتهم ببطريركية بابل عام ١٧١٣، كما تسمى الكنيسة الآشورية – الكلدانية الكاثوليكية. (١)

لقد سارت الكنيسة الأشورية من غير أن تتجهز بما تتجهز به الجمعيات التبشيرية في عصرنا من أمتعة وأموال، و مدت فروعها بنموها الطبيعي في تلك الأقاليم ذاتها التي طالما طمعت الإرساليات المسيحية بفتحها في يومنا. منذ أوائل القرن السادس ظهر في مرو و في هراة و في سمرقند، أساقفة و رؤساء أساقفة، فيما لا نرى اليوم طائفة مسيحية في تلك البلاد من أهاليها ذاتهم، أما المؤسسات المسيحية النسطورية فقد تأصلت في البلاد وصارت وطنية تماماً حتى سموها (المعابد الفرسية).

و كان وضع الأشوريين كنسياً في بداية القرن الثالث عشر كما يلي:

١- أن الكرسي الأول الذي هو رأس الكراسي و فيه يجلس البطريرك كان يحتوي قديماً على المدينتين سلوقية وقطيسفون، ثم أضيف إليه في مرور الزمان بغداد و الموصل. و ما عدا هذه فإن مقاطعة (هوفركيه) البطريركية كانت تشتمل على ثلثين كنيسة أسقفية. و كانت تدعى المقاطعة الكبرى، ومن هذه الأسقفيات كشكر و الزوابية و الحيرة و الكوفة و واسط والأنبار (و هي فيروز شابور) و طيرهان و سنا و البوازيج وداش و نهروان و النعمانية ورّقة و معلبتاى و حديثة و بلد وثمانون. أما المطرانيات فأولها كرسي عيلام وهي جنديساور و تدعى عند المؤرخين مطرنة لافاط أو بيلافاط و الأهوا أيضاً ومن أسقفياتها التابعة سوس و شستر و ليدن و مهادجرد.

---

* نفضل هذه التسمية لأن الحركة القومية في هذه الطائفة تتكنى بها

١- سمير عبده: المسيحيون السوريون خلال ألفي عام ص ٤٣ –٤٤ مرجع سابق

٢- و الكرسي الثاني رتبة نصيبين و من اسقفياتها أرزون و الجزيرة (جزيرة عمر) و تارة بلد (و هي من مقاطعة البطريرك) و سنجار و آمد و ماردين و باعربايا و ميافارقين و حران ومعرة (وتلكيف) وكانت تارة تزداد و أخرى تنقص.

٣- مطرنة فرات ميشان و هي البصرة ٤- الموصل و أثور ٥- أربيل و حزة ٦- باجرمي و هي بيت سلوخ وكركوك ٧- حلول أي حاح و هي اليوم سليمانية. و هؤلاء المطارين السبعة هم أصحاب سياميذ البطرك ٨- أورشليم القدس الشريف ٩- الرها و هي اليوم أورفا. ١٠- فارس أو رومية وسلمست ووان و هي اليوم خسراوا ١١- مرو و هي خراسان ١٢- هراة ١٣- الرازيقيين أي العرب و سُقطرة (و هي جزيرة في بحر عمان) ١٤- الصين ١٥- الهند ١٦- ارمينيا ١٧- سوريا أي دمشق الشام ١٨- بردع أي أذربيجان (و قد كانت هذه يوماً قاعدة بلاد ايران) ١٩- الري وطبرستان (الري مدينة في عراق العجم و طبرستان هي هرقالية القديمة) ٢٠- الديلم ٢١- سمرقند و ما وراء النهر ٢٢- قشغر و تركستان (وهي بلاد ما وراء نهر جيحون) ٢٣- بلخ وطرخرستان ٢٤- سجستان ٢٥- همدان ٢٦- خان بالق وآل بالق و هي الخطا في شمال الصين حيث هي اليوم ٢٧- تنكث في بلاد التتر ٢٨- النواكث و قشغر في التركستان. (١)

و تدل هذه البيانات على مدى انتشار النسطورية في بلاد شاسعة من العالم و تغلغلها في شعوب مختلفة الأجناس و الأعراق.

و قد شهد الرحالة (ماركو بولو) انتشار هذه الكنيسة إذ يذكر أنه التقى البطريرك النسطوري المغولي ياوالاها الثالث في بلاط الأمير ايلخان و تحقق من عمل كنيسته التبشيري وتنظيمها وانتشارها في شتى البلاد المشرقية. و يقدر الخبراء و المؤرخون ان عدد المؤمنين التابعين لكنيسة المشرق بلغ في الأجيال الوسطى قرابة ثمانين مليون نسمة * موزعين في مائتين و خمسين أبرشية وثلاثين أسقفية. إلا أنه في مطلع القرن الرابع عشر تغيرت الظروف السياسية و الدينية في مناطق وجود هذه الكنيسة وخاصة في عهد تيمورلنك المغولي (١٣٣٦- ١٤٠٥) فتقلص ظلها و قل عدد أبنائها بشكل لم يسبق له مثيل.

بلغ عدد الآشوريين بمن فيهم الكلدان حوالي المليون نسمة حينما حاولوا في عهد السلطان عبد الحميد التوقف عن دفع ضريبة الأراضي للسلطات العثمانية، فجرد العثمانيون حملة ضدهم استخدموا فيها الأكراد كأداة لقمعهم.

١-- مجلة المشرق – بيروت السنة الثانية العدد ٣ ١ شباط ١٨٩٩ ص ١٤٣

* لا شك أن هذا الرقم كبير جداً، لنتذكر أن عدد الكاثوليك في أوربا كان في بداية القرن التاسع عشر ١٣٥ مليون نسمة. كما لم يعرف عدد سكان الدنيا في أواخر القرن الثامن عشر إلا بالتقريب و لعله ١,٢ مليار نسمة.

أما كنسيا فقد قام أحد رجال الدين النسطوريين (ايشا داود أو مار شمعون) – نسبة إلى القديس شمعون أحد حواريي المسيح- بالتعاون مع العثمانيين بتنصيب نفسه حاكماً روحياً و زمنياً على الآشوريين. و تواصلت السلطة الشمعونية التي اعتمدت الإرث العائلي من عام ١٨٤٣ إلى عام ١٩١٥ حين حاول الحاكم الجديد روبيل بن بنيامين التمرد على الدولة العثمانية مستغلاً الهجوم الروسي على منطقة (جوله مريك) العثمانية. و قد وعد الروس بحماية الآشوريين إذا قاتلوا معهم القوات العثمانية. و لكن بعد انسحاب الروس إلى ما وراء الحدود- بعد ثورة ١٩١٧ – تركوا الآشوريين لقدرهم. فجرد الأتراك عليهم حملة عسكرية انتقامية اشترك فيها الأكراد، إلى جانب القوات التركية، مما اضطرهم إلى الانسحاب إلى منطقة الحدود التركية- الإيرانية. و في عام ١٩١٨ وقعت مذبحة كردية آشورية بعد فشل مؤتمر (كونه شهر) للمصالحة فاستغل الجيش البريطاني هذه الظروف و نقل الآشوريين إلى منطقة بغداد بقيادة زعيمهم بطرس، بعد مقتل مار شمعون الحاكم الروحي للآشوريين.

و ربما كان خطأ الآشوريين ربط مصيرهم بالقوات البريطانية، حيث شكلوا فرقة عسكرية (سمي جيش لافي) عملت إلى جانب القوات البريطانية تارة ضد الأكراد و تارة أخرى ضد الوطنيين العراقيين، و ذلك بالرغم من أن قبائل آشورية عديدة كانت تعارض مثل هذه السياسات. و في هذا الوقت كانت جموع الآشوريين تتدفق من تركيا و إيران خاصة في الأعوام ١٩٢٤- ١٩٢٥ مما حمل العراق في عام ١٩٢٦ على وضع خطة لإسكانهم في شمالي البلاد، الموصل و ما جاورها. لكن الآشوريين سرعان ما طالبوا بإدارة ذاتية مستقلة ضمن الدولة العراقية في عام ١٩٣١.

لقد حاول الآشوريون اعترافاً منهم بضعفهم الذاتي تحقيق هدفهم القومي تارة بالتعاون مع الأكراد ضد العرب، و تارة ثانية بالتعاون مع بريطانيا- ضد العثمانيين، و تارة ثالثة بالتعاون مع فرنسا- ضد البريطانيين. و لكن كل تلك المحاولات باءت بالفشل، و تسببت في تعريضهم إلى سلسلة من المجازر التي أدت إلى هلاك و تشريد الكثير منهم. (١)

و لم ينفك الآشوريون يطالبون بحقوقهم القومية، و كان أن اكتشفت الحكومة العراقية حركة انفصالية آشورية- كردية (على أن هذا الفشل لم يحل دون تأليب الآشوريين على الثورة، مطالبين بخلق وطن وهمي لهم في الموصل، و قد تطورت الأحداث فيما بعد إلى قيام الآشوريين بثورة دموية في أواسط عام ١٩٣٣).(٢)

١- محمد السماك: الأقليات بين العروبة و الإسلام دار العلم للملايين – بيروت ١٩٩٠ ص ١١٠

٢- محمود الدرة : القضية الكردية بيروت ص ١٦٢

و تعاون الآشوريون مع الفرنسيين في سوريا، ضد البريطانيين في العراق، على أمل أن تساعدهم فرنسا على تحقيق مطلبهم القومي في أقضية الموصل الثلاثة (العمادية و هوك وزاخو). و رغم معارضة قبائل تيارى السفلى و هي قبائل آشورية أيضاً، فإن مار شمعون (الجديد) توجه إلى عصبة الأمم في عام ١٩٣٢ للمطالبة بالحصول على وطن قومي للآشوريين في العراق. غير أن العصبة اتخذت في الخامس من كانون الأول ١٩٣٢ قراراً اعتبرت فيه (أن طلب الآشوريين المتعلق بحكم ذاتي إداري داخل العراق لا يمكن قبوله).

و عزز مار شمعون بعد عودته الفاشلة من عصبة الأمم تعاونه مع فرنسا، فردت بريطانيا بتعزيز علاقاتها مع الدروز في لبنان و سوريا نكاية بفرنسا، و كانت النتيجة أن الآشوريين خسروا الدعم البريطاني و لم يكسبوا التأييد الفرنسي، إذ اضطرت فرنسا إلى التراجع عن وعودها لهم، فمنعت عنهم السلاح و تركتهم يواجهون التصفية العسكرية في منتصف شهر آب ١٩٣٤ (١)

بعد فشل عصيان الآشوريين في العراق و حملة مطاردة ضدهم هرب قسم كبير منهم إلى سوريا (كما كان لهم في عام ١٩٣٧ شبه حركة عصيان في الجزيرة) (٢) و قامت عصبة الأمم المتحدة بشراء أراض على ضفاف الخابور، حيث أقامت لهم محميات خاصة. (٣)

على أثر هذه الاضطرابات بدأت هجرة كبيرة من قبل الآشوريين إلى لبنان، كما كان نزوح السريان من أعالي الجزيرة على أيام (سفربلك)، حيث ساعدتهم هويتهم المسيحية الدينية على اكتساب الجنسية اللبنانية، مثل الأرمن، كما أن آلافاً أخرى منهم هاجرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، و من تبقى منهم في العراق يقيم الآن في لواءي الموصل و أربيل.

يشعر الآشوريون أنهم ظلموا عبر التاريخ و أن أمجادهم اضمحلت بفعل عوامل دينية وسياسية شتى، و لهذا أنشأوا الجمعيات و الأحزاب السياسية القومية (حيث اصطدموا بالسلطات الحكومية أكثر من مرة و هو الذي تسبب في تشردهم و تغربهم). و كأحد الأمثلة على ذلك (حين تشكلت حكومة العراق بعد الاستقلال من أشخاص تعلموا في المدارس التركية و تأثروا بسياستها المريضة و المتمثلة في القمع المنظم للأقليات و ضرب كل ما هو مغاير لخططها و توجهاتها، جمع بكر صدقي الآشوريين في مدينة سميل، و أنزل فيهم المذبحة الشهيرة في ٧ آب ١٩٣٣

١- محمد السماك: الأقليات بين العروبة و الإسلام ص ١١١ مرجع سابق

٢- محمد جميل بيهم: العروبة و الشعوبيات الحديثة مطابع دار الكشاف- بيروت ١٩٧٥ ص ٣٠

٣- سمير عبده: السريان قديما و حديثا المعهد الملكي للدراسات الدينية - عمان ١٩٩٧ ص ١٠٦

وقتل أكثر من ٤ آلاف آشوري و هدم ٧٠ قرية آشورية و سبي و شرد الآلاف). (١) و اعتبر هذا التاريخ عيداً او يوماً قومياً مقدساً يحتفي به الآشوريون أينما وجدوا على أرض الأجداد في سوريا و إيران و تركيا و العراق بالعلن و السر، و في دول المهجر ، فهو يوم الشهيد الآشوري، و بداية بعث الوعي القومي. (٢)

و يرى احد الكتاب الآشوريين أن الآشورية قومية و الكلدانية مذهب و السريانية لغة (٣)، حيث اللغة الآشورية المعاصرة المستعملة حاليا هي خليط من الآرامية و البابلية و الآشورية القديمة و يطلق عليها أيضا اللغة السريانية بلهجتيها (السوارث) المستخدمة في العراق و سوريا وإيران، و لهجة (طورويو) المستخدمة في قرى طور عابدين و حواليها في تركيا و سوريا وهي اللغة الطقسية للموارنة في لبنان. (٤)

في نهاية القرن العشرين وجد بطريركان للطائفة الآشورية (النسطورية) بعد ان دبت الخلافات بين أفرادها، فهناك (الكنيسة الرسولية الجاثليقية القديمة) و مقرها بغداد، و التي زار بطريركها روما و صدر في ١٩٩٤/١١/١١ تصريح مشترك في الفاتيكان بين الكنيسة الكاثوليكية و الكنيسة الآشورية الشرقية حول شخص المسيح، و هو تصريح بالغ الأهمية يصدر عن رئيسي الكنيستين الكاثوليكية و الآشورية، و به يزال سوء تفاهم دام نحو ستة عشر قرناً. كما هناك (الكنيسة الشرقية الآشورية) عوضاً عن اسمها القديم (كنيسة المشرق القديمة).. (حيث اتبعت التقويم الغريغوري و مقر بطريركها شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية). (٥)

و علاوة على ذلك، و بالعودة إلى الوراء، نجد كرسي بطريركية هذه الكنيسة شاغراً أحياناً بسبب الظروف السياسية و الاضطهادات الدينية و لفترات زمنية تطول أو تقصر حسب الظروف المحيطة، و لكن، بعد مراجعة تاريخ هذه الكنيسة، و حتى أواسط القرن السادس عشر، نجد كرسي كنيسة المشرق، موحداً يرأسه بطريرك واحد.

و هذه الطائفة بفرعيها الآشوري و الكلداني من الطوائف المسيحية التي يزيد عدد مهاجريها عن مكان إقامتهم الأصلي و هو العراق، موطنهم القومي.

١- صحيفة الحياة – لندن ٢٠٠٠/٨/١٦ ص ٨

٢- = = = ٢٠٠٠/٨/١٨ ص ٨

٣- = = = ٢٠٠٠/٨/٣٠ ص ٨

٤- = = = ٢٠٠٠/٩/١٥ ص ٨

٥- سعد سعدي : معجم الشرق الأوسط دار الجيل- بيروت ١٩٩٨ ص ٣٥٢ مرجع سابق

و يرى أحد المصادر أن عدد الآشوريين بمختلف طوائفهم يبلغ في الولايات المتحدة نصف مليون نسمة (١) فيما كان عددهم في سوريا عام ١٩٥٦ (١١٧٦٠) نسمة (٢)

فيما يرى الحسن بن طلال أن عدد أفراد الطائفة الآشورية الأرثوذكسية في العراق و خارجه لا يتجاوز خمسين ألفاً (٣) علماً أن عددهم كان في لبنان عام ١٩٣٢ (١٩٠) (٤). و لا تورد المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٤٩ ذكر تعدادهم لأعوام ١٩٤٤ و ١٩٤٥ و ١٩٤٦ و ١٩٤٧ بل تضع عددهم عام ١٩٤٨ (٣) فقط، بل تضعهم تحت بند النسطوريون لأعوام ١٩٤٤-١٩٤٨ : ٩١١٥، ٩٣٢٣، ٩٥٤٤، ٩٦٣٠، ٩٦٩٠. (٥)

١- صحيفة الحياة- لندن ١٩٩٨/٤/٢٦ ص١٣

٢- المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٥٦ ص ١٩ مرجع سابق

٣- الحسن بن طلال: المسيحية في العالم العربي ص ١٣١ مرجع سابق

٤- مجلة المشرق – بيروت ٣٠ تشرين الأول ١٩٣٢ ص ٧٨٨ مرجع سابق

٥- المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٤٩ مرجع سابق


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

طائفة الإنجيليين

الكنيسة الإنجيلية هي التسمية الحديثة نوعاً ما للكنيسة البروتستانية، و هي لفظة مشتقة من فعل يراد به في اللاتينية إقامة الحجة Protesto دعي به أشياع (لوثر) لأنهم أقاموا الحجة سنة ١٥٢٩ على ما قررته جمعية سبير Spire فحتمت على أصحاب لوثر الا يحدثوا شيئاً في الدين قبل أن يلتئم مجمع شرعي. ثم أطلق اسم البروتستانت على كل من أبوا الخضوع للكنيسة الكاثوليكية و تعاليمها مع تباين معتقدهم.

و قد تميزت نهاية العصور الوسطى بنمو حركات تقوية، خصوصاً في أسبانيا، نموا سريعاً. و استفاد زعماء هذه الحركات من انتشار الجهل و الاضطرابات لينشروا رؤاهم الأخيرة Eschatogiques فأثاروا قلق السلطات الكنسية. و في مجمع لاتران Latran الذي عقد سنة ١٥١٦، أصدر الأساقفة الوثيقة التالية لتنظيم مراقبة الظهورات.

(نريد منذ الآن و بحسب القانون العادي، أن يحفظ حق البت في أمر الإلهامات للكرسي الرسولي، قبل نشرها أو إعلانها للمؤمنين. و إذا لم يكن الانتظار ممكنا، أو أملت الضرورة الملحة القيام بشيء مخالف، تحول المسألة إلى الأسقف المحلي.. فيجتمع هذا مع ثلاثة أو أربعة أشخاص ضليعين في شؤون العقيدة، و يدرس هذه المسألة دراسة دقيقة. فإذا رأوا أن ما بين أيديهم منا، و نحن نعتمد في هذا على ضميرهم، يستطيعون أن يمنحوا الموافقة).

و مع أن هذه الوثيقة هامة فقد جاءت متأخرة. فقد كان لوثر يدرس الكتاب المقدس في جامعة فيتنبرغ، و يحضر احتجاجاته الخمسة و التسعين التي ستولد الانشقاق في الكنيسة. فتحت شعار (الكتاب المقدس فقط Sole Scripture)، انتقد لوثر بشدة الرؤى و الظهورات المنتشرة في عصره، و أشار إلى انحراف الإيمان الذي حدث بسببها : (الآن و قد صارت الكتب المقدسة لدينا، لم يعد هناك شيء آخر يكشف لنا. فنحن لسنا بحاجة إلى إلهام يُضاف على ما كتبه الرسل.. فلنتمسك ببشارة الروح القدس وإلهامه، لأنه الوحيد الذي يقول لنا ما علينا أن نعرفه). (١)

١- مجلة المشرق- بيروت السنة ٦٧ /١٩٩٣ كانون الثاني – حزيران ص ٨٠ سامي حلاق

لم يكن لدعوة كهذه أن تمر مرور الكرام، فقد أحدثت هزة في الكنيسة الكاثوليكية و أدت حركة الإصلاح البروتستانتي إلى ظهور تيار كاثوليكي متعصب، بالغ في ذكر الظهورات. فكثرت الصور العجائبية، و أخبار المعجزات و الرسائل السماوية. و خافت السلطات الكنسية على الإيمان من الانحراف، و أعادت في المجمع التريدنيتي ما سنته من شرائع للظهورات في المجمع اللا تراني، و أضافت:

(لا تقبل أي معجزة جديدة بدون اعتراف الأسقف بها و موافقته عليها. فهو حين يعلم بحدوثها، يستشير اللاهوتيين و أشخاصاً آخرين من الأتقياء، و يقوم بما يراه موافقاً للحقيقة و التقوى. وإذا اضطر الأمر إلى استئصال ممارسة شاذة مشكوك في أمرها، أو إذا طُرحَت بعض المسائل الخطرة في القضية المدروسة، على الأسقف أن ينتظر رأي رئيس الأساقفة و باقي الأساقفة من أعضاء المجمع الإقليمي، قبل ان يعلن رده على المسألة، و لا يتم إقرار أي جديد دون العودة إلى الكرسي الرسولي). (١)

هذه البروتستانتية جاءت إلى سوريا في الوقت الذي كانت ترزح به هذه البلاد تحت وطأة الحكم العثماني من تعصب و جهل و تجهيل. حتى ان أحد الباحثين اللبنانيين يقول ((إن بعض الدارسين قالوا إن التقدم و الرأسمالية يعودان إلى سمات (البروتستانتية) في إطار الحضارة الغربية، وقال آخرون إن الأمر نفسه كان يمكن أن يقال عن سمات كاثوليكية ثقافية، في إطار تلك الحضارة. ومثلما يقول باحثون، و هذا هو الرأي الشائع، إن البروتستانتية (الطهرانية) هي في أساس الإنجازات التي أحرزتها أميركا الشمالية خاصة الولايات المتحدة: يقول باحثون جديون إن الأساس هو في انتشار الكاثوليكية قبل البروتستانتية)). (٢)

في بداية القرن التاسع عشر حمل مرسلون إنجيليون، معظمهم من الكنائس الإنجيلية (المُصلحة) في الولايات المتحدة و اسكتلندة ، و بعضهم من الكنيسة الإنكليكانية في بريطانيا، والمعروفة ايضاً بالأسقفية و البعض الآخر من الكنيسة اللوثرية في ألمانيا، رسالة الإصلاح إلى الشرق، و اسسوا لهم مراكز عدة في أراضي الدولة العثمانية.

و قد وصل المبشرون الأمريكيون إلى فلسطين سنة ١٨١٩، و في سنة ١٨٢١ و البعض يذكر عام ١٨٢٢ و الآخر ١٨٢٣ تمركزوا في بيروت. كان يشرف على نشاطاتهم و يديرها المجلس الأمريكي للإرساليات الأجنبية، المنظمة التي كانت تنفق أموالا طائلة لتحضير كوادر المبشرين الذين

١- مجلة المشرق- بيروت السنة ١٩٩٣/٦٧ كانون الثاني- حزيران ص ٨٠ سامي الحلاق

٢- مجلة الاجتهاد – بيروت العددان ٥٣-٥٤ السنة ١٣ خريف – شتاء العام ٢٠٠١-٢٠٠٢ ص ٢٦ الفضل الشلق

كانوا يتلقون اللغات الشرقية إلى حد الاتقان، و سنة ١٨٢٢ أسست الإرسالية البروتستانتية في جزيرة مالطا مطبعة عربية لطبع المنشورات التبشيرية- الدينية، و سنة ١٨٣٤ نقلت هذه المطبعة إلى بيروت، و عام ١٨٤٢ أسست الجمعية الاستشراقية الأميركية لمساعدة النشاط التبشيري حيث كان للإرسالية البروتستانتية فروعها في صيدا و حمص و طرابلس و دير القمر و عبيه و بيروت.

و يؤكد القس حبيب بدر أن هدف هذه الإرساليات لم يكن في بادئ الأمر، تأسيس كنائس إنجيلية في الشرق، فقد اتى المرسلون الأوائل بهدف نقل بشارة الخلاص، كما فهموها، إلى اليهود بالدرجة الأولى، و من ثم إلى المسلمين و المسيحيين الشرقيين. (١) فيما رأى الدبلوماسي الروسي في هذه المنطقة (١٨٣٩-١٨٥٣) بازيلي (٢) ان هؤلاء المرسلين بدل أن يبشروا بالمسيحية كما تفترض بالمرسلين مهماتهم، بذروا الخلاف بين الكنائس المسيحية لإضعاف تأثيرها فيتمكنوا بالتالي من اجتذاب الناشئة إلى مدارسهم. و لأن القومية تمتزج بالدين في المشرق، فقد تاه سكان المنطقة في التمييز بين الأميركيين و الإنكليز. و هذا استغله المرسلون الأميركيون ليكسبوا ثقلاً جديداً في عيون الشعب باعتبار مساهمة الإنكليز السابقة في الأحداث السياسية و العسكرية لسوريا. بعد رحيله عن شواطئ سوريا، ترك الأسطول الإنكليزي سرية من فرقة الإنزال اتخذت من بيروت مقراً لها. و من هذه الفرقة توجه ثلاثون ضابطاً في كل الاتجاهات، لإعداد دراسة وافية عن سوريا، و لكن كثيراً منهم بدل الاكتفاء بإتمام الخرائط و وضع الخطط، تدخلوا في مجمل شؤون الإدارة العثمانية مما خلق مضايقات شديدة لدى الأتراك أنفسهم. أما الباقون فلغيرتهم على ديانتهم و أملهم بالقضاء على نفوذ الفرنسيين، القائم على إخلاص الموارنة إخوانهم في الدين، فقد راحوا يجوبون الجبال مع المبشرين الأمريكيين، يؤازرون النشاطات التبشيرية لهم.

و قد كان أول مبشر إنجيلي وصل إلى سوريا اسمه بلني فسك، و قد نزل على شاطئ بيروت مرسلاً من مجلس الإرساليات الأجنبية في بوسطن مع رفيق له استقر في القدس و أنشأ إرسالية تولت أمرها فيما بعد جمعية الإرساليات الكنسية البريطانية، و جاء بعدهما عدد آخر من معلمين و عاملين اجتماعيين و ممرضات و أطباء.

و اختصر عمل الإرساليات الإنجيلية الأولى إلى سوريا على الوعظ و التبشير و الطباعة والنشر و التعريب و إصدار المجلات، و إنشاء المدارس و من ثم الكليات الجامعية، و بين هذه

١- صحيفة النهار – بيروت ٢٠٠٢/١/٥ القس حبيب بدر

٢- بازيلي: سوريا و لبنان و فلسطين تحت الحكم التركي ترجمة د. يسر جابر دار الحداثة – بيروت ١٩٨٨ ص ٣٦٢

الأعمال ترجمة الإنجيل حيث قام المذهب البروتستانتي على أساس تلاوة الإنجيل باللغات التي يفهمها الناس، و لذلك سعى- منذ نشأته- لترجمة الكتاب المقدس إلى مختلف لغات العالم و منها العربية، واستعان البروتستانت في هذا المضمار بأعاظم أدباء العرب في ذلك العصر، لكي يتوصلوا إلى ترجمة بليغة ذات قيمة أدبية و فنية. كما أنهم بذلوا جهوداً جبارة لتعلم اللغة العربية تعلم إتقان، لكي يستطيعوا أن يخطبوا بها بين الناس بطلاقة و بلاغة، لدعوتهم إلى المذهب الجديد إلى بلادهم.

و هكذا تكاثرت الطوائف البروتستانتية في سوريا الطبيعية خلال القرن التاسع عشر وبتأثير من الإرساليات الأنغليكانية الأميركية الناشطة، مجمعية و مشيخية. و هكذا فإن الجمعية الإرسالية التابعة للكنيسة الأنغليكانية، و المجلس الأمريكي للإرساليات، و المجلس المشيخي الأمريكي للإرساليات، كانت الجمعيات الإرسالية البارزة الأولى التي جاءت المشرق. و في العام ١٨٤١ أنشئت في القدس أسقفية أنغليكانية، و من ثم تعددت الإرساليات الأنغليكانية في فلسطين، قبل أن تنافسها في ما بعد الإرساليات اللوثرية.

عمل مجيء الإرساليات البروتستانتية ثورة في الكيان المعرفي- عدا عن الديني- في هذه البلاد، أولهما الكتاب المقدس و إنشاء المدارس مزاحمين بها المدارس الكاثوليكية، و كانت غايتهم من إنشاء المدارس تعليم الرعية قراءة الكتاب المقدس. فالتعليم و التثقيف هما أحد أهم الوسائل التي استعملها المرسلون الإنجيليون لانتشار كنيستهم. و من أبرز إنجازاتهم الريادية تأسيس مدرسة ابتدائية لتعليم الإناث، و هي الأولى في نوعها في منطقة الشرق الأوسط بأكملها و كانت في اسطنبول عام ١٨٣٣ تلتها في بيروت عام ١٨٣٥ ((و قبل الحرب الأهلية في لبنان(١٨٦٠) شهدت بيروت تأسيس كلية لإعداد المعلمات أنشأتها الإرسالية الإنكليزية السورية، كما شهدت صيدا تأسيس مستشفى وميتم تبنتهما الراهبات الألمانيات)). (١)

ذكرنا المطبعة (الأميركانية) التي جلبها البروتستانت من جزيرة مالطا إلى اسطنبول والقسم العربي إلى بيروت. و لا يمكن المرور على هذا العمل بعجالة، فقد ساهمت المطبعة في اسطنبول- حتى توقفها عن العمل- مساهمة كبرى في نهضة الآداب الأرمنية في تلك الحقبة. فقبل فترة وجيزة من وصول المرسلين إلى الشرق، كان هناك نهضة أدبية و ثقافية و روحية قائمة في الجالية الأرمنية الأرثوذكسية، و كان على رأسها المفكر بشتملجيان الذي تعاون مع المرسلين من دون أن ينضم إليهم. أما في بيروت، و لمدة قرن و نيف، فقد برزت المطبعة الأمريكية كإحدى اهم دور النشر العربية في

١- فيليب حتي: خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى مجلدان المجلد الثاني الدار المتحدة للنشر- بيروت ط ٢ ١٩٨٢ ص ١٩٤

هذه المنطقة من العالم و كان لها مساهمة فعالة في انتشار الأعمال الأدبية و الفكرية التي أنتجتها النهضة العربية في أواسط القرن التاسع عشر. و أحد اهم إنجازات المطبعتين، ترجمة الكتاب المقدس، بعهديه القديم و الجديد من اللغات الأصلية إلى الأرمنية و العربية، كما إلى لغات أخرى كالسريانية والتركية و الفارسية. في بيروت، كانت المسودة الأولى للترجمة تصدر عن يد المعلم بطرس البستاني، أحد أهم أعلام النهضة العربية في القرن التاسع عشر و الذي انضم إلى المرسلين في الثلاثينيات من ذلك القرن، ثم تتقح لاهوتيا على يد المرسل عالي سميث، و لغويا على يد الشيخ ناصيف اليازجي (حتى عام ١٨٥٦). و بعد وفاة سميث، انتقلت المسؤولية إلى الدكتور كورنيلوس فانديك والشيخ يوسف الأسير (حتى انتهاء العمل).

و تحقيقاً لرسالتهم بدأوا بإنشاء المدارس الابتدائية و الثانوية في قرى جبلية كسوق الغرب وعبيه لا في المدن الكبيرة نظير بيروت و طرابلس و صيدا و زحلة. و في الفترة الواقعة بين سنة ١٨٣٤ و ١٨٦٠ كان المرسلون الأمريكيون قد انشأوا أكثر من ٣٣ مدرسة ابتدائية و ثانوية في سوريا و لبنان. و على الرغم من أن الهدف الأخير لعملهم هذا لم يكنْ إيجاد طائفة إنجيلية جديدة، فإن عدداً من الناس- و جلهم- من نصارى الروم الأرثونكس- اعتنقوا المذهب الإنجيلي، و أسسوا سنة ١٨٤٨ كنيسة عرفت بالكنيسة الإنجيلية السورية، ذلك لأن سوريا في تلك الفترة كانت تضم لبنان و فلسطين. وبعد سنتين، و بتأثير من بريطانيا العظمى، اعترف السلطان المتفتح عبد المجيد بالطائفة الإنجيلية، طائفة مسيحية شرعية في السلطنة.

و وصل عدد المدارس التبشيرية الإنجيلية في الأمبراطورية العثمانية عام ١٨٨٥ إلى حوالي ٣٩٠ مدرسة تضم حوالي ١٣٨٠٠ طالباً.

و أسرع البروتستانت إلى تتشنة رجال دين من أبناء العرب أنفسهم ليستفيدوا من خبرتهم بنفسيات الناس و قوة تأثيرهم في الناس. و لذلك كله صارت الصلوات و التراتيل و المواعظ الدينية تقام باللغة العربية وحدها، في جميع الكنائس و المدارس البروتستانتية منذ بدء انتشار المذهب المذكور في العالم العربي.

و عمل البروتستانت بكل همة في ظل حياة روحية و تقوى، و الليتورجيا الإنجيلية تعتمد أساسا على نشر كلمة الله الحي المشهود له في الكتاب المقدس. و في ظل المدارس التي أوجدوها وبفضل مدارس اللاهوت و تشييد الكنائس و الجامعات و العمل الاجتماعي تمكنوا أن يستقطبوا الكثير من مسيحيي الطوائف الأخرى. و من أهم هؤلاء كان الأرمن الذين بدأ تبشيرهم في صيدا و تم إرسال أحدهم إلى اسطنبول ليبشر قومه هناك حيث أسست كنيسة جذبت لاحقا بعض الأرمن هناك. و ينتظم

الأرمن البروتستانت في (الاتحاد الإنجيلي الأرمني) و مركزه بيروت و لهم وجودهم البارز في اسطنبول، كما لهم تواجد حيث وجد الأرمن. و لا يأتي ذكرهم منفصلين في الأرقام الإحصائية بل يوضعون مع الفئات البروتستانتية و هم يتبعون الأنظمة القضائية للطوائف الإنجيلية. (١)

و الإنجيليون في سوريا هم أصلاً من الكنائس المشرقية، من الأرمن و الروم و السريان والنساطرة و الأقباط، انتقلوا من طائفة إلى أخرى في إطار كنيسة المسيح الواحدة في تمايز طوائفها وإيجابيات هذا التمايز. (٢)

هذا (القضم) للطوائف المسيحية الأخرى في سبيل إنشاء كنيسة جديدة أثار الطوائف القديمة و جعل الصحف الكاثوليكية تهاجم الموجة البروتستانتية، و دعا التبشير البروتستانتي في سوريا بعض رجال الدين الكاثوليك إلى كتابة الكتب في تفنيد الدعوة البروتستانتية، هكذا فعل الأب شمويل جميل رئيس الرهبان الكلدان في الموصل. و لقد رأى أن الجمعيات البروتستانتية حين جابهت مقاومة الطوائف الكاثوليكية في الشرق لها أفرغت كنانة الجهد في إغواء الكنائس (المنفصلة) عن الكنيسة الرومانية لعلها تنال منها ما لم تصبه من الطوائف المتحدة مع رومية الإيمان لعلمها بأن أولئك المنفصلين أشبه بقطعان لا راعي لها. و مما سعى البروتستانت في تضليلهم النساطرة فدخلوا جبالهم وبثوا بينهم تعاليمهم حتى اجتذوا عدداً وافراً بمدارسهم و دراهمهم. (٣)

و رغم المقاومة العنيفة التي قابلها البروتستانت وسط المحيط الشرقي في سوريا من قبل الموارنة و الملكيين و بطريركية الأرمن الغريغورية، فقد نجحت هذه الكنيسة في وضع لبنة معرفية كبيرة لأبناء المنطقة.((و قد ساهم الفكر البروتستانتي أو الإنجيلي بالإجمال في إزكاء شعلة (النهضة) وفي تكوين الفكر الإنساني المعاصر بحيث لا يتأمل اليوم لاهوتي، و لا يتعلم متعلم، و لا يتثقف مثقف دون أن يمر بالفكر البروتستانتي)) . (٤)

و لا حاجة إلى الإيضاح أن ذلك أوجد جواً مساعداً جداً لقيام نهضة أدبية و فكرية عربية. ولذلك، يجب ان لا نستغرب إذا ما لاحظنا أن أول دعاة فكرة القومية العربية بين المسيحيين قد نشأوا في البيئات البروتستانتية.

١- مجموعة مؤلفين: المسيحية و تطورها في المشرق ص ٧١٨ مرجع سابق القس حبيب بدر

٢- سمير عبده: المسيحيون في سوريا على عتبة الألف الثالث ص ٧٧ مرجع سابق

٣- الأب شمويل جميل: تفنيد الأضاليل البروتستانتية مطبعة الأبناء اليسوعيين- بيروت ١٩١٠- ١٩١٢ ص ٥١

٤- سمير عبده: المسيحيون في سوريا على عتبة الألف الثالث مرجع سابق ص ٧٦

و يرى ساطع الحصري أن البروتستان خدموا النهضة الأدبية العربية عن طريق غير مباشر أيضا، لأن الإرساليات الكاثوليكية كانت تقاومهم و تنافسهم بكل الوسائل الممكنة، إلا أنها عندما لاحظت نجاح دعايتهم بين الناس، على الرغم من هذه المقاومة، صارت تبحث عن عوامل هذا النجاح و عندما علمت أن السبب الأصلي في ذلك يعود إلى اهتمام البروتستان باللغة العربية، و إقدامهم على تكثير المدارس التي تعلم اللغة المذكورة.. أخذت تقتفي أثر هؤلاء في هذا المضمار لكي تستطيع أن تنافسهم منافسة جدية، و توقف انتشار مذهبهم بين الناس عند حده.

و يروي أن الدكتور فانديك رئيس مبشري الأمريكان، و أقدم أساتذة الجامعة الأمريكية ببيروت عند تأسيسها- كان يقول: أنا ذاهب لأفتح مدرستين في القرية الفلانية. و إذا قيل له أن هذه القرية صغيرة لا تتحمل مدرستين قال: أنا سأفتح مدرسة واحدة فقط، و لكنني متأكد من أن اليسوعيين سيأتون من ورائي ليفتحوا مدرسة ثانية. (١)

و في سنة ١٩٥٨ توقفت الإرساليات الأمريكية عن كونها إرسالية، و سلمت إدارة ممتلكاتها و مدارسها و مستشفياتها إلى السنودس الذي يمثل الكنائس الإنجيلية المسيحية في سوريا و لبنان. وكان عملهم هذا بمثابة اعتراف بالمد القومي الذي اخذ يتعاظم في الآونة الأخيرة. و قد تولى هذا المجلس الكنسي الوطني مسؤولية إدارة الكنائس الوطنية و الأعمال التي كان المرسلون يقومون بها. و منذ سنة ١٨٧١ حتى سنة ١٩٥٨ كان المجلس المشيخي للإرساليات الأجنبية يتولى إدارة جميع هذه الشؤون من مركزه في مدينة نيويورك.

و سعى الإنجيليون إلى إقامة مجلس الكنائس العالمي عام ١٩٤٨ و اتخذ فرعاً له لمنطقة الشرق الأوسط في قبرص و استطاع أن يدخل في عضويته بعض الكنائس الشرقية، و لكن إنشاء مجلس كنائس الشرق الأوسط وسع مشاركة الطوائف الأخرى، مما أعطى واقعا شرعيا لتواجد البروتستانت عبر كنائسهم في هذه المنطقة، حتى أن امين المجلس هو من الطائفة الإنجيلية حين كتابة هذا الكتاب و هو من أصول سريانية.

و تجتمع المؤسسات الدينية للكنيسة البروتستانتية بأكثريتها في إطار المجلس الأعلى للطائفة الإنجيلية في لبنان و سوريا الذي يضم الكنائس التالية: الكنيسة الأسقفية العربية، الاتحاد الإنجيلي الأرمني، السينودس الإنجيلي الوطني في سوريا و لبنان، الكنيسة الإنجيلية في بيروت، المجمع اللبناني المعمداني، كنيسة الله، كنيسة الناصري، جمعية الأصدقاء، الإدفنتست (السبتيين) و هم ممنوعون في سوريا، كنيسة الأخوة الإنجيلية، كنيسة الاتحاد المسيحي. و هناك كنائس أخرى، مثل كنيسة المسيح.

١- ساطع الحصري: نشوء الفكرة القومية دار العلم للملايين- بيروت ١٩٦٤ ط٥ ص ٢٠١ _ ٢٠٢

و الاتحاد الإنجيلي الوطني في لبنان، كما تضم هذه الطوائف بعض الرهبنيات النسائية السويسرية والألمانية التي تعنى بشؤون بعض المؤسسات التربوية و الاجتماعية. و هذا التنوع في الفرق الإنجيلية هو من صميم التراث الإنجيلي العالمي، خصوصاً في ما يتعلق بهيكلية الكنيسة المنظورة و تنظيمها.

و تعتبر المؤسسات التعليمية البروتستانتية من أهم الأنشطة في هذه المنطقة، ابتداء من عام ١٨٣٤ بدأ بتأسيس مدرسة للبنات في بيروت ثم سلسلة من المدارس للذكور و الإناث في بيروت والجبل. و في مطلع الخمسينات من القرن التاسع عشر جرى التوسع بالأجهزة التعليمية حيث انطلقت (المدارس اللبنانية) و هي مدارس أسسها سليمان الصليبي بدعم من الإرسالية الإسكتلندية، و قد نشطت في أواخر الستينات من القرن المذكور، حيث بلغ عددها ٢١ مدرسة في عشرين قرية و مدرسة تدريبية في سوق الغرب.

و منذ عام ١٨٣٤ إلى ١٨٣٥ عملت الإرسالية الأمريكية على فتح مدارس في بيروت وجبل لبنان ثم في بيروت عام ١٨٣٥، كذلك افتتحت في نفس العام مدرسة في بيروت و خمس مدارس في جبل لبنان. و بين أعوام ١٨٤٣ و ١٨٤٦ عادت هذه الإرسالية إلى فتح مدرسة في عبية و مدرستين في بيروت. ثم أتت موجة (المدارس اللبنانية التي اقترنت باسم (سليمان الصليبي) و ركزت على القرى و البلدات اللبنانية بين أعوام ١٨٥٣ و ١٨٥٥ فأنشأت مدارس في بحوارة و عرمون و بطلون وبتاتر و عاليه و سوق الغرب و بختينه و عام ١٨٥٨ افتتحت هذه المدارس ٣ مدارس منها واحدة في بتاتر و بين أعوام ١٨٦٠ و ١٨٦١ عاودت الإرسالية الأمريكية فتح مدارس في شملان و حاصبيا وفي بيروت اثنتين. و عدا عن هذه افتتحت مدرسة في طرابلس و افتتحت الإرسالية الإنكليزية مدرسة في برمانا عام ١٨٧٧ و عام ١٩٠٠ افتتحت الإرسالية الألمانية مدرسة في بيروت.

و من الملاحظ أنه في أعوام ١٩٢٥ / ١٩٢٦ وصلت المدارس التبشيرية البروتستانتية إلى أعلى رقم لها، فقد كان عدد المدارس الأمريكية ١١٥ و الإنكليزية ٣٤ و الدانماركية ٩ أي مجموعه ١٥٨ مدرسة فيما هبط هذا العدد بين أعوام ١٩٤١/ ١٩٤٢ إلى ٥٢ مدرسة، أي إلى الثلث تقريباً. فالمدارس الأمريكية غدت ٣٦ مدرسة و الإنكليزية ١٤ و الدانماركية واحدة و الألمانية واحدة أيضاً.(١)

استلمت هذه الأرقام من المراجع التالية:

1- william Beton- Superintendant: Archives of the American Board of commissioners " Lebanon Schools- monthy Statement" – September 1862- Bhambdum- Mount Lebanon.

٢- كمال صليبي: تاريخ لبنان الحديث دار النهار- بيروت ١٩٦٩ ص ١٥٩، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠

٣- اسماعيل حقي: = إدارة المعارف في (لبنان مباحث علمية و اجتماعية) منشورات الجامعة اللبنانية الجزء الأول بيروت ١٩٦٩ ص ٥٧١-٥٩٤

و تملك الطائفة الإنجيلية الآن الكلية السورية البروتستانتية التي أسست في العام ١٨٦٦ وتحولت سريعاً إلى جامعة حملت في العام ١٩١٩ اسم الجامعة الأمريكية في بيروت، و هناك كلية الشرق الأوسط (للسبتية) و كلية بيروت الجامعية للسينودس الإنجيلي الوطني في سوريا و لبنان، بالإضافة إلى كلية هايكازيان التي أسستها الكنيسة الأرمنية الإنجيلية سنة ١٩٥٥ لإيواء مهجريها من الطلاب الأرمن، و ما زالت إنجيلية الإدارة و السياسة و لها حرمها الأساسي في بيروت و أصبحت جامعة في الوقت الراهن. كما هناك كلية اللاهوت للشرق الأدنى في بيروت و الأكليركية المعمدانية العربية في بلدة المنصورية، و مراكز للتنشئة الدينية مثل كلية التدريب التوراتي للشرق الأوسط في صيدا، و معهد التوراة اللبناني في بيروت، و مركز التنشئة الروحية للفتاة في صبغين.. إلى غيرها من المؤسسات.

كما للطائفة مستشفى الجامعة الأمريكية في بيروت و مستشفى العصفورية للأمراض العقلية قرب بيروت و مستشفى هملن في بلدة حمانا و مركز القديس لوقا للمتخلفين عقلياً و مياتم متعددة منتشرة في كثير من المدن و البلدات.

لقد ذكرنا مطبعة الإرسالية الأمريكية و نقلها من مالطا إلى بيروت عام ١٨٣٤ (١) و تحديثها عام ١٨٥٣ و ما أحدثته في عالم الثقافة بعد طباعة الكتاب المقدس من خلالها. و غدا للطائفة منشوراتها الدينية التي لا زال الكثير منها يوزع مجاناً. كما لها نشرات متعددة نذكر منها (نشرة الكنيسة الإنجيلية في لبنان) و هي تصدر بالفرنسية، و مجلة (الإنجيلي) بالعربية و الإنكليزية والأرمنية، و مجلة (الكتاب المقدس في العالم) بالعربية، و مجلة (رسالة الكنيسة) و مجلة (النشرة) للسينودس الإنجيلي الوطني و (المجلة الفصلية لكلية اللاهوت للشرق الأوسط) بالإنكليزية، و مجلة (الرجاء) للادفنتستس بالعربية، و (مجلة الكتاب المقدس) و (البشارة) عن المركز اللوثري للخدمات، و (الغريب) عن الكنيسة المعمدانية، و(العيلة). (٢) كما هناك مجلة (المنتدى) و جمعية الشباب المسيحيين و هي تصدر مجلة (الرسالة)، و هناك (جمعية الشابات المسيحيات) و هي منتشرة في عدة بلدات و مدن لبنانية.

يقدر أحد المصادر ان هناك نحو مئة و ثلاثين ألفا من البروتستانت العرب في مصر، ولربما

١- خليل صابات : تاريخ الطباعة في الشرق الأوسط ص ٤٤ مرجع سابق.

٢- مجلة الواقع – بيروت العدد السابع و الثامن تشرين ثاني عام ١٩٨٤ بطرس لبكي ص ١٤٩

خمسة و عشرين ألفا في لبنان، و مجموعهم في البلاد العربية على اختلاف طوائفهم، مئة و ثمانون ألفا في الأقل و لربما بلغوا منتي ألف. (١)

و كان عددهم عام ١٩١١ في سوريا الطبيعية (٢٣١٠٠) نسمة (٢) و في لبنان عام ١٩٣٢ (١٨٦٩) نسمة فيما ورد عددهم عام ١٩٢١ (٣٧٣٠) (٣) فيما كان عددهم في سوريا عام ١٩٣٤ (٧٥٠٦) (٤) و في حلب عام ١٩٣٥ (١٩٨٦) (٥) و في سوريا على مدى خمس سنوات من عام ١٩٤٤ إلى ١٩٤٨ كان كالتالي (١١٣٧٩)، (١١٦٣٩)، (١١٨٠٦)، (١١٩٥٩)، (١٢٤٣٣) (٦) و عام ١٩٥٦ (١٢٥٣٥) (٧) و في منطقة الحكم الذاتي الفلسطيني و القدس (٢٤٤٣) نسمة في منتصف تسعينات العرن العشرين. (٨)

١- الحسن بن طلال: المسيحية في العالم العربي ص ١٣١ مرجع سابق

2- F.O. Correspondence Realating ibid.

٣- مجلة المشرق- بيروت السنة الثلاثون تشرين الأول ١٩٣٢ ص ٧٨٨ مرجع سابق

٤- عبد العزيز العظمة مرجع سابق

٥- مجلة المشرق – بيروت السنة الثامنة عشرة العدد ٣ آذار السنة ١٩٢٠ ص ٢٤٠ مرجع سابق

٦- المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٤٩ مرجع سابق

٧- = = ١٩٥٦ = = = =

٨- صحيفة النهار- بيروت ٢٠٠١/١٢/١٥ ص ١٣ مرجع سابق.

طائفة الروم الأرثوذكس

• طائفة الروم الأرثوذكس، أو الكنيسة الأرثوذكسية البيزنطية الخلقيدونية هي من أكبر الطوائف المسيحية في سوريا و ثاني طائفة بعد الموارنة في لبنان، عروبية الهوى، خرج منها قادة العروبة و العلم في هذه المنطقة حتى سميت كنيستها بكنيسة العرب.

و كانت الكنيسة في سوريا مع بدء المسيحية واحدة يديرها بطريرك أنطاكية. و كان المجمع النيقاوي أقر هذه السلطة العليا لأسقف أنطاكية كما أقر المركز الخاص لأسقف الإسكندرية و لأسقف روما. و أقر المجمع القسطنطيني الأول عام ٣٨١ المركز الخاص الذي حاز عليه أسقف القسطنطينية عاصمة الدولة.

و ربطت البطريرك الأنطاكي مع سائر البطاركة روابط الشركة و الاعتراف المتبادل والأخوة في الإيمان. و كان لأسقف روما مسؤولية خاصة تجاه سائر البطاركة لحفظ الوحدة الكنسية، إلا ان سلطته لم تحدد بوضوح في أجيال الكنيسة الأولى. و لما كان يحصل خلافات جوهرية كانت تحل بالتشاور بين البطاركة و الأساقفة المتنفذين أو يعقد مجمع مسكوني يضم أساقفة العالم، و المجمع المسكوني يلزم الجميع. و كانت الدولة البيزنطية تحسب نفسها مسؤولة عن تنفيذ قراراته.

و على مر الزمن تشعبت البطريركية في طقوسها، و مال الفرع الملكي شيئاً فشيئاً إلى الطقس البيزنطي مع الاحتفاظ ببعض الظواهر الخاصة و استعمل في صلواته اليونانية و السريانية والعربية، و تأثر الفرع الماروني بعوائد الكنيسة الرومانية و طقوسها، أما الفرع السرياني فقد بقي مع ما طرأ عليه من تغيير أكثر انسجاماً مع الطقس الانطاكي القديم إلا أنه تخلى عن استعمال اليونانية.

و قبل الانقسامات المسيحية لم يكن للكنيسة الأنطاكية معتقد خاص بها، و لكن في القرن الرابع بدأت تظهر معتقدات في حقيقة الثالوث الأقدس و عقدت مجمعات لأجل ذلك (كما تناولنا ذلك في فصل خاص).

و انقسمت الكنيسة الأنطاكية بين الملكيين أنصار قرارات مجمع خلقيدونية عام ٤٥١ القائلين بطبيعتين للمسيح و الرافضين لذلك و هم السريان الذين قالوا بطبيعة واحدة.

و هكذا غدت المسيحية في سوريا تتجاذبها كنيستان: الملكيين (الروم) و اليعاقبة (السريان) كما سمي الروم جماعة خلقيدونية أو الأرثوذكسية الخلقيدونية. و تسمية (الروم) محدثة و لم تكن دارجة في زمن الدولة العربية، كما انها توهم أن الملكيين هم من البيزنطيين المتوافدين على سوريا، بينما هم من السكان السوريين الأصليين و هم مع الفئة المعارضة للمجمع من نفس العنصر و اللغة والقومية، فيما ينفي البعض ذلك و يرجع أصولها إلى يونانية أو رومانية من الجاليات التي تواجدت في سوريا خلال الألفي عام ٣٠٠ ق. م –٧٠٠ م.

و حين الفتح العربي الإسلامي لسوريا اصبح الملكيين فجأة في حكم اللا مرغوب فيهم، عرضة لنقمة إخوانهم المونوفيزيين و انتقادهم و لاضطهاد الحكم الإسلامي نظراً لارتباطهم عقيدة و ولاء بالأمبراطورية الرومانية. (١) حتى ان بطريركهم اضطر أن يعيش خارج الديار الإسلامية. ولكن الشدة زالت، بل إن بعض البطاركة الملكيين لعبوا دوراً هاماً أحياناً كمندوبين من قبل الحكام العرب للاتصال بملوك الروم و حل مشاكل قائمة بين الطرفين.

لقد كان الملكيون في شركة مع كنيسة القسطنطينية و روما و إن كان طقسهم في الأصل مختلفاً عنهما. و بدأوا يتقربون إلى الطقس البيزنطي أثناء احتلال البيزنطيين لأنطاكية و شمال غربي سوريا مع نكفور. و دام هذا الاحتلال من عام ٩٦٩ إلى ١٠٨٥.

و نتيجة للاحتقان السياسي بين روما و القسطنطينية و انعكاسه دينيا حصل أكبر انقسام في المسيحية عام ١٠٥٤ حيث للمسيحية إتباع من الأرثوذكس و من الكاثوليك. و قد تجسمت الأرثوذكسية في سوريا بطائفة الروم الأرثوذكس.

و قد اخضع السلطان العثماني جميع المسيحيين التابعين للطقس البيزنطي، إلى سلطة بطريرك القسطنطينية فعرفوا بملة الروم، و أصبحت بطريركيتا الإسكندرية و القدس تحت سيطرة العناصر اليونانية المطلقة و تسرب النفوذ اليوناني إلى البطريركية نفسها إذ دخل العديد من العناصر اليونانية في إكليروسها و تبوأ اثنان منها السدة البطريركية في القرن السابع عشر.

و عمل المبشرون الكاثوليك بعد الانقسام الذي حصل عام ١٠٥٤ بقليل على التبشير بالكاثوليكية بواسطة البعثات التبشيرية و ترسخت الأفكار الكاثوليكية في نخبة من أبناء الكرسي الأنطاكي، لا سيما في النصف الأخير من القرن السابع عشر بعد أن بدأ نشاط المرسلين يعطي ثماره.

١- مجلة المسرة- حريصا تشرين الثاني –ك١ السنة ١٩٨٥/٧١ ص ٦٩٥ المطران بطرس الراعي.

و تجاذب الطائفة الملكية تياران: القديم و الجديد الذي يريد الانفتاح على الغرب و بقيا يصليان معاً، إلى أن حدثت الوقيعة بسبب تشدد القسطنطينية التي فرضت في سينودسها، عام ١٧٢٢، على جميع الأنطاكيين رذل الأفكار الكاثوليكية في النقاط الخمس المختلف عليها بين الكنيستين تحت طائلة النفي و التشرد و الحرم، و بسبب تشدد روما، عام ١٧٢٩ التي حظرت مشاركة الأرثوذكس في القدسيات. و كان قد تم انتخاب بطريركين للكرسي الأنطاكي على أثر وفاة البطريرك أثناسيوس دباس عام ١٧٢٤ فاختص كيرلس طاناس بالفئة الكاثوليكية المرتبطة بروما و سلفستروس القبرصي بالفئة الأرثوذكسية المرتبطة بالكرسي القسطنطيني.

لم يكن من السهل شطر الطائفة الخلقيدونية بهذه السهولة فقامت مجابهات بين الاثنين واضطر الكاثوليك أن يتخفوا في مناطق معينة في سوريا و لكنهم استمروا إلى أن نالوا موافقة الحكومة العثمانية على قيامهم. و أخذت كنيسة الروم الأرثوذكس (تُقضم) من قبل الكنيسة الأخرى الروم الكاثوليك فأصبح للأخيرة رعايا في الأردن و فلسطين، و تكاثر عددها على حساب اصلها. كما (قضمت) البروتستانتية الكثير من الروم الأرثوذكس في مرحلة انتشارها في سوريا، و من أهم هؤلاء الشخصية السياسية السورية المعروفة فارس الخوري.

و عانت طائفة الروم الأرثوذكس من انقسامات داخلية، فلقد بدت هذه الكنيسة محافظة بشدة، و لو أن نهضة اللغة اليونانية في البلقان، في بداية القرن التاسع عشر، كانت مؤشراً للنهضة الثقافية. وبعد استقلال اليونان، و من ثم سائر الشعوب البلقانية، تكونت كنائس أرثوذكسية مستقلة عدة في البلقان، و أصبحت منذ ذاك الوقت مستقلة عن بطريركية القسطنطينية. و راحت الاعتبارات الإثنية واللغوية تتقدم على سيادة البطريرك الروحية. لكن الروم الأرثوذكس في الأمبراطورية العثمانية أطلقوا أيضاً نهضة ملتهم على مثال الأرمن، إلا أن هذه النهضة جاءت محدودة. فالقوانين التي أقرت ما بين عامي ١٨٦٠ و ١٨٦٢ أعطت العلمانيين مكانة محدودة في القرارات المتعلقة بالطائفة. من جهة أخرى بقي الإكليروس ضعيف الثقافة، الأمر الذي وضع الطائفة تحت وطأة منافسة الكاثوليك لها، و لم تنهض من كبوتها على صعيد النشاط المدرسي إلا بدخول الإرساليات الروسية. [١]

و قد ثارت في نهاية القرن التاسع عشر، طوائف الروم الارثوذكس غير الهلينية و الموجودة في العالم العربي ضد هيمنة الإكليروس اليوناني عليها. ففي سوريا و فلسطين احتج الروم الأرثوذكس العرب في بطريركية أنطاكية ضد تسلط الإكليروس اليوناني على الطائفة الأرثوذكسية سيطرة تامة في

١- مجموعة مؤلفين: المسيحية عبر تاريخها في المشرق ص ٧٦٧ كاترين مايور- جلوين مرجع سابق

البلاد العربية. و قد كانت الطقوس الدينية تقام باللغة اليونانية، و كانت المقامات الرئيسة في البطريركيات الثلاث في الأقطار العربية باقية تحت إحكام اليونانيين منذ قرون و قرون، و جميع البطاركة و معظم المطارنة كانوا يونانيين و كانوا يتمسكون بيونانيتهم و لا يلتفتون إلى اللغة العربية، ولا يهتمون بمصالح العرب. و لكن.. عندما بدأت اليقظة الفكرية عند العرب، كان من الطبيعي أن يشعر الأرثوذكس منهم بما في هذه الأوضاع من الغبن في الحقوق الطبيعية، و من المنافاة لكرامة القومية.. و فعلاً اخذ القوم يتذمرون من هذه الأحوال و التقاليد و صاروا يتساؤلون لماذا لا نصلي بلغتنا العربية؟ لماذا لا يكون لنا رؤساء روحيون من أبناء جلدتنا؟ لماذ يبقى قساوستنا في المراتب الدنيا من الخدمات الدينية و لا يستطيعون الوصول إلى مراتبها العليا؟

هذه الملاحظات و النزعات أخذت تنتشر بين أبناء الطائفة بسرعة و قوة، و وجدت تشجيعاً من الروس الذين كانوا هم أرثوذكسي المذهب.

و في أواخر القرن التاسع عشر، كان هذا التيار قد اكتسب قوة كبيرة مع بروز تيار القومية العربية بين الروم الأرثوذكس، و بوجه خاص بين رعايا بطريركية أنطاكية التي كان مقرها في دمشق. حتى إذا حانت الفرصة لانتخاب بطريرك جديد- عقب وفاة البطريرك اليوناني ١٨٩٩ – اكتسح التيار المذكور الميدان اكتساحاً و تم الاتفاق على انتخاب المطران ملاتيوس الثاني دوماني- الذي كان عربياً سورياً – لكرسي البطريركية، و بالمساعدة الكبيرة التي قدمتها (جمعية فلسطين) – التي سيأتي الحديث عنها في حينه- و انتهى بذلك عهد سيطرة اليونان على أرثوذكسيي العرب في سوريا.

في الواقع إن هذا الانتخاب أثار ثائرة بطاركة القدس و القسطنطينية الأرثوذكس كذلك واحتجوا عليه، مدعين انه غير شرعي، و طلبوا من الباب العالي عدم التصديق على بطريركية المطران المذكور. و فضلاً عن ذلك، أرادوا ان يقووا احتجاجهم بإضراب عام يقوم به المطارنة. وفعلاً انسحب جميع المطارنة اليونانيين من أبرشياتهم و التجأوا إلى مناطق البطريركيات الأخرى، بغية دعم احتجاجاتهم بإحداث ضجة كبيرة.

و لكن كل هذه الاحتجاجات و الإجراءات لم تجدهم نفعا، لأن العرب التابعين إلى بطريركية أنطاكية، لم يعبأوا بالأحكام التي أصدرها البطاركة اليونانيون، و ظلوا ملتفين حول بطريركهم العربي الجديد.

و هذا كان أول انتصار فعلي للقومية العربية. (١)

١- ساطع الحصري: نشوء الفكرة القومية ص ٢٠٥-٢٠٦ مرجع سابق

في الواقع، إن هذه الحركة بقيت منحصرة ببطريركية أنطاكية فلم تشمل البطركيات الأخرى. و مع هذا، فإنها لم تخل من التأثير فيهم أيضاً، لأنها أعطتهم درساً مؤثراً، و حملتهم على تعديل الشيء الكثير من الخطط التي كانوا يسيرون عليها.. يكفي أن نذكر هنا أن عرب القدس للروم الأرثوذكس حصلوا بصعوبة عام ١٩١١ على أن ينشأ مجلس مختلط يوجب المشاركة إلى جانب الإكليروس اليوناني في إدارة الكنيسة و لكن البطريرك يبقى يونانياً.

أما علاقة الروس بالعرب الأرثوذكس فقد كانت كالتالي:

من المعلوم ان روسيا القيصرية- في ذلك العهد- كانت تعتبر نفسها حامية الأرثوذكس، لكونها أكبر دولة أرثوذكسية. و فعلاً إنها أظهرت حمايتها هذه بصورة عملية بوسائل عديدة، وبصور شتى إنها اهتمت بوجه خاص بالقدس و بالأراضي المقدسة في سائر أنحاء فلسطين، و فتحت فيها كثيراً من المدارس، و لكنها لم تجعل هذه المدارس آلة (للترويس) – من روسيا- بل جعلتها عربية، بلغتها وباتجاهاتها. حتى إنها أسست مدرسة لتخريج المعلمين و المعلمات في الناصرة و بيت جالا، و بذل رجال التربية الذين تولوا شؤون إدارة هذين المعهدين، جهوداً كبيرة لتطبيق أحدث أساليب التربية في تعليم اللغة العربية. و يشار هنا إلى أن الأديب اللبناني الكبير ميخائيل نعيمة تعلم في هذه المدارس.

و لا حاجة إلى القول إن انهيار روسيا القيصرية في أواخر الحرب العالمية الأولى و قيام البلشفة- مع ما تبع ذلك من أحداث عظيمة- أبعد عن الأرثوذكس، تأثير الروس المعنوي ايضاً.

لكن دخول روسيا على خط التزاحم مع اليونان على الكنيسة الأرثوذكسية السورية أخذ وقتاً في ذلك و لا يمكن المرور عليه بهذه العجالة.

و قد اعتاد الباحثون، إذا تناولوا تدخل روسيا بشؤون الشرق الأدنى الدينية، أن يرتقوا بمظاهر هذا التدخل إلى معاهدة قايزجي المعقودة سنة ١٧٧٤، و الواضعة في نظرهم، مبدأ اهتمام روسيا بشؤون الطائفة الأرثوذكسية في سوريا. على أن هذا الاهتمام يرقى، في الحقيقة، إلى ما قبل القرن الثامن عشر، فيبدأ في أواخر القرن السادس عشر، حين أخذت موسكو تظهر بمظهر الدولة الكبيرة مستقلة بطريركيتها بشؤونها الدينية. منذ ذاك العهد، بدأ بطاركة العالم الأرثوذكسي يتجهون بأنظارهم نحوها، فيسألونها المعونة المادية خاصة. و لنا في رحلة البطريرك مكاريوس (١٦٥٢- ١٦٥٩) دليل على ما كانت تتحف به روسيا أحبار الأرثوذكس من هدايا و إعانات. و كان يقابل هذه الرحلات إلى روسيا رحلات أخرى يقوم بها عدد من الروسيين، فيزورون البلاد المقدسة و يقيمون مدة في سوريا. و قد يدفع بعضهم إلى درس الطقوس الشرقية الأرثوذكسية و المقارنة بينها و بين طقوسهم.

و قد اتسمت معاهدة قايزجي بالغموض و لم تأت هذه المعاهدة بشيء جديد إلى أن كان القرن

التاسع عشر، حيث أخذت الحكومة تهتم الاهتمام المجدي بأولئك الزوار الروس الذين لم ينقطعوا عن رحلاتهم إلى الشرق الأدنى، فتعمل على تسهيل إقامتهم و تحسين أحوالهم و لا سيما من الوجهة المادية، كما أنها بدأت تهتم كذلك بحالة أرثوذكس الشرق و قيادتهم الروحية ((الأرثوذكس العرب كانوا فلاحين، حرفيين، تجار أو مرابين. لهذا و من أجل استمالتهم، اضطرت الدبلوماسية الروسية إلى الدفاع عن مصالح هذه (الفئة الثالثة)، و هذا ما ينعكس في البرامج الإصلاحية لبناء لبنان التي وقعها بازيلي سنوات ١٨٤١-١٨٤٤)). (١)

و نظمت الحكومة الروسية إرساليات دينية كانت تتكفل بنفقاتها، و لكن نتائج هذه الأعمال كانت ضئيلة، لم يرض عنها ولاة الأمر أنفسهم في روسيا. و تعود أسباب هذا الفشل إلى معاكسة الأكليروس الأرثوذكسي نفسه، و كل بطاركته من اليونان، كما يعود من جهة اخرى إلى مقاومة الحكومة التركية. (٢)

إلى أنه في العام ١٨٨٢ تأسست جمعية روسية دعت نفسها (جمعية فلسطين) كان على راسها باسيل خيتروفو استوعب مقاصد الحكومة الروسية و عمل بها واضعاً نصب عينيه تحقيق فكرة أولية هي مقاومة الأكليروس اليوناني. و لهذه الغاية عمل إلى ترقية أرثوذكس سوريا علماً و أخلاقا، واضعاً أهداف السياسة الوطنية الروسية بالسياسة الدينية، رامياً إلى نزع بطريركية أورشليم من الأكليروس اليوناني و هو ما فشلت به الجمعية فاتجهت أنظارها إلى بطريركية أنطاكية، و العنصر اليوناني فيها أضعف، و أرثوذكس سوريا أرقى ثقافة، و أوفر غنى و أقرب إلى المشاغبة من أرثوذكس فلسطين.

و قد بدأت هذه الجمعية مشاريعها عام ١٨٩٥ و بعد خمس سنوات كانت قد انشأت ٤٢ مدرسة روسية في مختلف الأبرشيات من بطريركية أنطاكية و في السنة ١٩١٣ كان لها ٨٢ مدرسة فيها ١٢٠٠٠ تلميذ من الجنسين. أما في فلسطين فلم يكن لها إلا ٢٥ مدرسة. و كل هذه المدارس مجانية ابتدائية و يعلم فيها أساتذة سوريون يديرهم على الغالب مديرون من الروس.

و وصل نفوذ هذه الجمعية إلى معاقل الأشوريين حيث أتى الروس إلى أورمي من أعمال إيران الآن، و قد انحاز إليهم الأسقف يونان و ايليا ناطور كرسي أرمودانج مع كثيرين. و هؤلاء بعثوا بايليا إلى بطرسبورج و رسم ثم أسقفا على يد الروس ثم عاد إلى أورمي. و في عام ١٨٩٥ ذهب جبرائيل أسقف أرديشي صحبة اثني عشر أكليركيا لزيارة حنا ينشوع اسحق مطران شمسدين فقتلهم

١- بازيلي: سوريا و لبنان و فلسطين تحت الحكم التركي مرجع سابق ص ١٩

٢- مجلة المشرق- بيروت السنة ٣٣ تشرين١ – ك ١ السنة ١٩٣٥ ص ٥٧٥ الكسيس بوكوليوبسكي و الأب جبرائيل لوفنك اليسوعي

جميعاً الشيخ نيرى. و كان هذا الأسقف الثاني عشر بين الذين قاموا في الأسقفية من هذه العائلة الواحد بعد الآخر. و بعد موت جبرانيل هذا تقوى نفوذ الروس و اخضعوا لطاعتهم كل كنائس النساطرة حتى مُحي اسمهم تقريباً من بلاد أورمي. ثم عاد منهم نفراً إلى النسطرة ينيف عددهم على ٨٠٠ بيت فأقام مار شمعون كرسياً جديداً اسقفياً في قرية اسبورغان. (١)

و حققت هذه الجمعية أهم انجازاتها سنة ١٨٩٩ حين عملت على نزع البطريركية في سوريا من يد الأكليروس اليوناني و في سبيل هذه الهمة عملت على توزيع الأوسمة على الكثير من مطارنة المنطقة. و حتى ناظم باشا، والي دمشق أعطي وسام النسر الأبيض و هو ما أدى إلى اعتراف الحكومة التركية بالمدارس الروسية في بلادها عام ١٩٠٢.

و تعرضت هذه الجمعية إلى النقد من بعض أعضاء الجمعية، فمع أنها كانت أداة لنشر النفوذ الروسي في تركيا لكنها لم تهتم بتعليم اللغة الروسية، فيما الأهالي كانوا يطالبون بتعليم اللغات الأجنبية لحاجتهم المعيشية لها و لكن الجمعية كانت ترفض تعليم الفرنسية و الإنكليزية.

و قد أتى الفشل على هذه الجمعية حين توفي عام ١٩٠٦ اول بطريرك وطني و هو البطريرك ملاتيوس، فرشحت روسيا المطران اثاسيوس عطاالله ، متروبوليت حمص و لكنها لم تنجح، إذ فاز بالبطريركية المطران غريغوريوس حداد، من طرابلس، الذي لم يكن من محبي روسيا ولا من الراضين عن سياستها. و منذ ذلك التاريخ توترت العلاقات بين الطائفة الأرثوذكسية المحلية والجمعية.

و أخذت الجمعية تقفل مدارسها منذ العام ١٩٠٩، و حين نشبت الحرب العالمية الأولى جمع القنصل الروسي في بيروت جميع المعلمين الروس و اصطحبهم إلى بلادهم، على أن تواصل المدارس عملها بواسطة المعلمين الوطنيين، و لكن هذا القرار لم يصادفه النجاح، و تلاشت مشاريع الجمعية بقيام الثورة البلشفية.

و بقي البعض يقول بجريرة الماضي أن الأرثوذكسي ميوله روسية- حتى تفكك الاتحاد السوفيتي.

إن الروم الأرثوذكس بثقلهم العددي و وزنهم العلمي و السياسي لعبوا دوراً بارزاً لا يمكن إنكاره و لا ينبغي الإقلال منه خصوصاً إذا سلمنا أن الفكر القومي الحديث هو جهد شامي في إطار العروبة بالدرجة الأولى، لأن الشوام الذين كانوا يواجهون القهر العثماني لم يكن امامهم إلا الاعتصام في مواجهة الحاميات العثمانية التي تشترك معهم في الدين و تخاصمهم بالقومية.

١- مجلة المشرق- بيروت السنة السادسة عشرة العدد ٧ تموز ١٩١٣ القس بطرس نصري الكلداني ص ٤٩٧

و باعتبار أن الروم أكثرية في سوريا فقد استطاعوا أن يمثلوا في كل درجات الهرم الإنتاجي، و لم يعيشوا محميين و معزولين داخل غيتو مقصور عليهم و إنما عاشوا مع أعضاء الأغلبية محتكين بهم في كل المجالات و عاشوا معهم في السراء و الضراء و بالقدر الإنساني المعقول من الحب و الكره.

و تبوأ أفراد من الطائفة مناصب هامة، منهم الوزير و السفير و عميد الجامعة، فمنصب نائب رئيس الوزراء في لبنان وقف على فرد من أفراد الطائفة مع وزير أو وزيرين آخرين، و لهم عدد محدد من النواب. و في سوريا استلم أربعة من أبناء الطائفة دفعة واحدة مناصب وزارية في الوزارة السورية المشكلة عام ٢٠٠١، و هو حدث لم يسبق في تاريخ الطائفة، كما استلم قسطنطين زريق رئاسة الجامعة السورية في الخمسينات من القرن الماضي. و معظم مؤسسي الأحزاب القومية العربية و السورية المعروفة في سوريا و لبنان و قادة المنظمات الفدائية الفلسطينية هم من أبناء طائفة الروم الأرثوذكس.

و يتبع للطائفة العديد من الأديرة و الكنائس، منها دير السيدة في بلدة صيدنايا و دير رؤية القديس بولس على بعد ١٨ كم من دمشق و دير القديسة تقلا البطريركي في معلولا و دير مار جاورجيوس في وادي النصارى، مع العديد من الكنائس الأثرية و التاريخية المنتشرة أينما وجد أبناء الطائفة.

و يبدو التجديد في مؤسسات الطائفة واضحاً من خلال مرحلتين: الأولى انطلقت منذ القرن الثامن عشر من مقاومة النفوذ الكاثوليكي الذي تمثّل بإنشاء طائفة الروم الكاثوليك في مطلع القرن الثامن عشر، و من خلال الاستعانة بالعناصر اليونانية لتأطير المؤسسات الكنسية و دحض محاولات الكثلكة. (١) أما المرحلة الثانية فانطلقت في مطلع الثلث الثاني من القرن التاسع عشر من مقاومة الإرساليات البروتستانتية، و كان للكنيسة الروسية الدور الأساسي في هذه الفترة، فساعدت في إنشاء المدارس و المستشفيات و تجديد الإدارة و الكنائس و طبع الكتب و تنشئة الكوادر الكنسية و الثقافية في روسيا (٢). و المرحلة التجديدية الأخرى انطلقت في منتصف القرن العشرين، و من أبرز رموزها (حركة الشبيبة الأرثوذكسية) التي صدرت عنها مجلة (النور) في طرابلس عام ١٩٤٥.

١- اسد رستم: كنيسة مدنية انطاكية العظمى الجزء الثالث مطبعة دار الفنون- بيروت ١٩٥٨ ص ١٦٦ و ٢٢٥-٢٣١-٢٤٢

٢- = = : = = = = مرجع سابق ص ١٦٣ –١٨٨-١٩١-٢٠٣-٢٢٤-٢٣٢-٢٦١

أما على الصعيد التربوي فإن انطلاق المؤسسات التربوية للطائفة لم يتم إلا في مطلع الربع الثاني من القرن التاسع عشر. ففي عام ١٨٢٥ تأسست مدرسة الثلاثة أقمار في بيروت، و حتى عام ١٨٢٧ تأسست ثلاثة عشر مدرسة (١) ثم تأسست المدرسة الإكليركية في البلمند عام ١٨٣٣ (٢). وانطلق إنشاء (المدارس الروسية) منذ أواخر الثمانينات: في بيروت (١٨٨٧) و الشويفات و دوما وعاليه و راشيا (١٨٩٥) و اميون (١٨٩٧) و كوسبا و زحلة و منيارة و بسكنتا و حاصبيا حتى عام ١٩٠٠، كما انشئت مدرستين في طرابلس و مدرستين في الميناء في نفس الفترة(٣). و كان قد سبق إنشاء هذه المدارس إنشاء مدرسة زهرة الإحسان للبنات في بيروت عام ١٨٨٢. و إلى جانب هذه المدارس أنشأ الإكليروس مدارس وطنية أخرى كمدرسة بكفتين و مدرسة السلام في بيروت. و شهدت فترة الانتداب الفرنسي ركودا في إنشاء المدارس و لكنها ما لبثت أن تطورت بعد الاستقلال.

و بلغ مجموع المؤسسات التعليمية للروم الأرثونكس في لبنان ١٩٧٧ /١٩٧٨ (٢٤) مؤسسة، انضمت إليها الآن جامعة البلمند، فيما كانت في السابق مدرسة أكليركية في الستينات من القرن الماضي، أصبحت بعدئذ كلية جامعية (المعهد الأرثوذكسي للاهوت)، و يعود تاريخ تأسيسها إلى عام ١٨٣٣.

و يتبع للطائفة مستشفى القديس جيورجيوس في بيروت و عدة مستوصفات ثابتة لجمعيات علمانية أرثوذكسية. كما أسس أبناء الطائفة العديد من الجمعيات الخيرية و الثقافية و النوادي وحركات الشبيبة، أهمها (حركة الشبيبة الأرثوذكسية) المؤسسة من مجموعة صغيرة من الطلاب عام ١٩٤٢ ولها نشاطات متعددة: تدريس الدين و الحلقات الكتابية و إصدار مجلة النور و منشورات عديدة، والقيام بالأعمال الاجتماعية كمحاربة الفقر و تقديم المعونة الطبية و الحث على الوعظ. و لهذه الحركة مراكز عديدة في بيروت و ضواحيها و بعض قرى جبل لبنان و في طرابلس و بعض قرى الشمال (٤). ولهذه الحركة دوراً متناميا في حياة الطائفة على الأصعدة المختلفة الدينية و التربوية و الاجتماعية، و هي من أهم حركات التجديد في الطائفة.

١- اسد رستم: كنيسة مدينة انطاكية العظمى مرجع سابق ص ١٨٨

٢- = = = = = = = ص ١٩٠- ١٩١

٣- = = = = = = = ص ٢٦١

٤- ثيموني وير: الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي و الحاضر منشورات النور- بيروت ١٩٨٢ ص ١٧٦- ١٧٧

أنشأت الطائفة في بيروت عام ١٧٥١ مطبعة القديس جيورجيوس، و كان لها دور كبير في طباعة الكتب الدينية و الأدبية، ثم في أواخر القرن التاسع عشر صدرت الصحف التالية: المحبة والمنار في بيروت ١٨٩٧- ١٨٩٩ و مجلة النعمة التي صدرت باسم البطريركية في دمشق عام ١٩٠٨، و مجلة النور التي سبق ذكرها، و أنشئت دور نشر: دار النور في بيروت، دار نشر تخص مطرانية طرابلس. كما صدرت عن دير ما جرجس الحرف مجلة (دفاتر دير مار جرجس) و عن رعيتي بحمدون و طرابلس صدرت مجلتي القيامة و الميلاد. و في دمشق تصدر في الوقت الراهن مجلة غير منتظمة الصدور و ذلك عن دار البطريركية. كما علينا أن نذكر صحيفة (حمص) المؤسسة في بداية القرن العشرين و لا زالت تصدر.

و يعود إنشاء المؤسسات التمثيلية للطائفة في سياق التنظيمات العثمانية عامة و الخط الهميوني الصادر عام ١٨٥٦ خاصة، فأنشئت المجالس الملية التي لها صفة تمثيل الطائفة و المساهمة في إدارة شؤونها في مجالات مختلفة: قضائية، مالية، كنسية (١). و تاريخ المؤسسات القضائية للطائفة يعود إلى العصر العباسي حين بدأ الأساقفة يترأسون المحاكم الكنسية الناظرة بالمسائل المتعلقة بالزواج و الوراثة و التبني. و قد توسع دورها في مطلع العهد العثماني، إذ أعطى السلاطين براءة تخول البطاركة بأن يحكموا بين أبناء طوائفهم بمقتضى شرائعهم في قضايا واسعة جداً كالقضايا الجزائية والمدنية و التجارية بالإضافة إلى الأحوال الشخصية (٢). و تقلصت هذه الصلاحيات من بعد. و قد تطورت هذه المؤسسات في عهدي الانتداب و الاستقلال ضمن الأطر القانونية. و توجد الآن محكمة بدائية في كل أبرشية و محكمة استئناف واحدة.

إن عدد أفراد طائفة الروم الأرثوذكس في سوريا هم في طليعة عدد المسيحيين، و في لبنان يأتون بعد الموارنة. صحيح تقلص عددهم بفعل تحول البعض منهم إلى طائفة الروم الكاثوليك والبروتستانت و لكنهم بقوا في المقدمة.

و يرى الحسن بن طلال أن عدد أفراد طائفة الروم الأرثوذكس لا يكاد يتعدى المليون، أو يزيد عليه، في مختلف الأقطار (٣) فيما يرى الأشمندريت اغناطيوس ديك أن عددهم عام (١٩٩٤) يربو على سبعة ملايين و هم موزعون على ثلاثة بطريركيات مستقلة: الاسكندرية ٢٥٠٠٠ نسمة،

١- المطران جورج خضر: الأرثوذكسية في الكراسي الشرقية (١٨٦٠-١٩٦٠) منشورات النور- بيروت ١٩٨٢ ص ١٥-١٧

٢- أنور الخطيب: خصائص الشخص الطبيعي دار مكتبة الحياة- بيروت ١٩٦٢ ص ٨٠

٣- الحسن بن طلال: المسيحية في العالم العربي مرجع سابق ص ١٣٠

أصل معظمهم من بلاد الشام. أنطاكية و تضم زهاء ١٢٠٠٠٠ نسمة في الشرق الأدنى. و أورشليم التي تضم المؤمنين العرب في فلسطين و الأردن ١٠٠٠٠٠ نسمة، و في المهجر يقدر بستة ملايين. (١)

فيما كان عددهم في لبنان عام ١٩٥٢ (١٣٠٨٥٨) نسمة (٢) و في عام ١٩٧٨ (٣٧٠) الف نسمة (٣) . و في فلسطين كان عددهم عام ١٩٥٢ (١٣٠٠٠) نسمة. (٤)

و في عام ١٩٣٤ كان عددهم في سوريا (٨٩٩١٨). (٥) أما في عام ١٩٤٤ فكان (١٣٩٢٦٥) و عام ١٩٤٨ (١٤٩٧٠٦) نسمة (٦) و عام ١٩٥٦ (١٨١٧٥٠) نسمة. (٧)

١- مجلة المسرة- حريصا ك٢ – شباط السنة ١٩٩٦/٨٢ ص ١٢٧ مرجع سابق

٢- = = = شباط السنة الثانية و الأربعون/ ١٩٥٤ ص ١٢٦

3- R.D Laurin: the Political Role of Minority group in middle east New York 1979 P 93

٤- مجلة المسرة: حريصا نيسان السنة ٣٦ /١٩٥٠ ص ٢٨٤

٥- عبد العزيز العظمة: مرجع سابق ص ٢٧

٦- المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٤٩ مرجع سابق

٧- = = = لعام ١٩٥٦ مرجع سابق



طائفة الروم الكاثوليك

يعود تاريخ الكنيسة الكاثوليكية الملكية،و التي تعرف جماهيرياً باسم كنيسة الروم الكاثوليك إلى أرومة واحدة مع الكنيسة الأرثوذكسية البيزنطية الخلقيدونية المعروفة باسم كنيسة الروم الأرثوذكس. و هذه الكنيسة الواحدة هي التي كانت وراء قرارات مجمع خلقيدونية عام ٤٥١ والتي لم يقبل بها المونوفيزيون.

و لم تكد هذه الطائفة الموحدة لتواجه هذا الانقسام في الكنيسة الواحدة حتى جاء الفتح العربي مضعضعاً وضعها لمدة قرن كامل. فقد هجر البلاد العربية قسم كبير من أبنائها و انتقلوا إلى أراضي الدولة البيزنطية أو إلى إيطاليا كما غادرها عدد كبير من الأساقفة. و لما توفي البطاركة الذين فاوضوا العرب الفاتحين في أمر تسليم مدنهم لم يقم لهم من يخلفهم في مناصبهم مدة طويلة. فبقي المنصب البطريركي في القدس شاغراً حتى السنة ٧٠٦ و في الإسكندرية حتى سنة ٧٢٧، و في أنطاكية حتى سنة ٧٤٢، إلا أن سلسلة البطاركة الأنطاكيين بقيت متواصلة، و كان القسطنطينية مكان إقامتهم.

و كان توزيعهم في فلسطين و سوريا الغربية و الجنوبية أوفر للنصارى عدداً، أما في مصر فهم أقلية ضئيلة.

أما حركتهم الفكرية فكانت منتعشة، و اشتهر بينهم في القرن الثامن القديس يوحنا الدمشقي الذي فاوض جده المنصور العرب و سلم إليهم مفاتيح دمشق. و ترهب يوحنا في دير القديس سابا قرب القدس، و له تآليف كثيرة قيمة، و هو آخر الآباء اليونان، و توفي في أواسط القرن الثامن. واشتهر بعده ثاودوروس أبو قره أسقف حران، و قد وضع تآليف كثيرة بالعربية و ناقش السريان وعلماء المسلمين و توفي حول ٨٢٦، و اشتهر أيضاً سعيد بن البطريق بطريرك الأسكندرية ٩٣٣-٩٤٤ و له تآليف لاهوتية كثيرة. و كانت أنطاكية آنذاك مركزاً ثقافياً هاماً، فاشتهر عبد الله بن الفضل الذي نقل الكتاب المقدس إلى العربية، كما ترجم عدداً كبيراً من تآليف الآباء المسيحيين، و وضع مصنفات جليلة في الفلسفة و الدين باللغة العربية.

و حين سقطت أنطاكية و ما جاورها من القرى و الأرياف في شمالي غربي سوريا في أيدي البيزنطيين و ذلك عام ٩٦٩ نصب أباطرة الروم عليها عدة بطاركة من الإكليروس القسطنطيني، فازداد تأثير الطقس البيزنطي و طغى على الطقس الأنطاكي لدى الملكيين، فاتخذوا الطقس البيزنطي و قضي على الأنطاكي قضاءً تاماً.

و حافظ الملكيون على معظم ديورتهم، و أهمها القديس سابا بالقرب من القدس و دير القديس سمعان العجائبي بجوار أنطاكية، كما أنهم ساهموا ، قدر المستطاع في معالجة الشؤون الكنسية العامة، فأرسلوا موفديهم إلى المجامع المسكونية، و ظلوا متمسكين مع البابا بروابط الشراكة الدينية، وإن كانت قليلة شاقة. و بقي الملكيون وحدهم في البلاد العربية على اتصال ديني بروما والقسطنطينية. و قد أوفد الخلفاء بعض بطاركتهم إلى البلاط البيزنطي في مهام سياسية. و كان للبطريرك الأنطاكي السلطة العليا على بلاد الكرج و الجاليات الملكية في الأراضي الفارسية. (١)

و يعد الكتاب العرب أن الملكيين العرب و مسيحيي بلاد الروم و الغرب على مذهب واحد وأن بابا روما هو الرئيس الأعلى للملكية، و إن كان درج حصر لقب ملكيين بقاطني البلاد العربية لتمييزهم عن الروم و الفرنجة.

و لما احتدم الخلاف بين القسطنطينية و روما لأسباب معظمها إدارية و سياسية و ثقافية ظل الملكيون الأنطاكيون في معزل عن هذا الخلاف، و إن كانوا بطبيعة الحال أقرب إلى موقف القسطنطينية. و قد حاول عبثاً البطريرك الأنطاكي بطرس الثالث التدخل بين كارولاريوس البطريرك القسطنطيني ولاون التاسع بابا روما لمنع وقوع القطيعة بينهما. و هلل الملكيون للمصالحة التي تمت بين الفريقين في المجمع الفلورنتيني عام ١٤٣٩. و لما عاد الاتصال الفعلي بين بلاد المشرق و الغرب ابتداء من القرن السادس عشر و السابع عشر، أرغم الملكيون على تحديد موقفهم. و انحازت فئة من الملكيين في هذا النزاع إلى جانب روما بينما لزم فريق آخر جانب القسطنطينية، و بعد فترة حاولوا فيها الجمع بين الطرفين انشطر الأنطاكيون الملكيون إلى شطرين في مطلع القرن الثامن عشر.

كانت الكاثوليكية قد بدأت تتسرب إلى الشرق، فالبابا غريغوريوس الثالث عشر انفتح على هذه المنطقة فأسس في روما مدارس لليونان (١٥٧٧) و الموارنة (١٥٨٤) و الأرمن، و أوفد

١- الأب ميشيل يتيم: الأب اغناطيوس ديك: تاريخ الكنيسة الشرقية مرجع سابق ص ١٥٦

إلى الشرق المطران ليونار هابيل تمهيداً لإعادة الوحدة، كما أقامت الدول الغربية قناصل لها في أهم المدن و منها حلب و دمشق و صيدا، كما أنه في بدايات القرن السابع عشر وفد إلى حلب اليسوعيون و الكبوشيون و الكرمليون، و قام مجمع انتشار الإيمان بتأسيس مدرسة لاهوتية أمها العديد من الأكليركيين الشرقيين، و خصص للملكيين مقعدان كل سنة.

هذا النشاط الكاثوليكي أعطى ثماره.. إننا نجد مطران حلب ملاتيوس كرمه يرحب بالرهبان اليسوعيين و يطلب إليهم فتح مدرسة في حلب و يوكل إليهم تنشئة المرشحين إلى الكهنوت، و بعد أن رقي إلى الكرسي البطريركي أوفد إلى روما سراً وفداً ليقر الوحدة بين كنيسته و الكرسي الروماني على أساس المجمع الفلورنتيني، و لكنه توفي قبل أن ينهي وفده مهمته. و لعب التنافس الذي قام به البطريركين كرليس الحلبي و أثناسيوس دباس دوراً مهماً في التقارب مع الكاثوليكية. فقد اعلن دباس اعتناقه العقيدة الكاثوليكية و ناشد ملك فرنسا أن يمده بالمساعدة. و استمر النزاع حتى عام ١٦٩٤، حين تنازل اثناسيوس عن المنصب مقابل الاحتفاظ بمطرانية حلب و وعده بخلافة منافسه و خصمه. و في العام ١٧١٦ تحول كيرلس بدوره إلى الكثلكة. و عند وفاته عام ١٧٢٠، خلفه أثناسيوس كما كان مرتقباً، إلا أنه كان قد تباعد عن روما في هذه الأثناء. و لم يكن موقف هذين البطريركين الملكيين استثنائياً، بل إنه يتمثل بشكل واضح في موقف افتيموس صيفي مطران صيدا. فالصيفي يقدم نفسه كبطل قضية الكثلكة في بطريركية أنطاكية. فقد أفادت المدارس التي أنشأها المرسلون في إيجاد تلاميذ ينشطون للدفاع عن صحة الإيمان الكاثوليكي و كان من أبرز هؤلاء المطران أفتيموس صيفي الذي أسس رهبنة دير المخلص لتساعده في رسالته الوحدوية و كان له دعم من قبل البطريرك الحلبي.

و سادت الكنيسة الملكية بلبلة مما كان يجري بها، فاليونانيون رأوا تقارب بعض رجال الدين مع روما فأثاروا زوبعة على أنصار الوحدة معها مما جعل الكثير يتراجع عن مواقفه. ولكن ما حدث لكيرلس طاناس * يبقى هو باب القصد. فقد اجتمع حول هذا الرجل ثلاثمئة اسم و رسموه بطريركاً على الروم و نصب في الكنيسة المريمية و ذلك يوم الأحد ٢٠ ايلول ١٧٢٤ . أما سلفستروس القبرصي فانتخبه السينودس القسطنطيني بعد أسبوع، و قبل به كاثوليك حلب الأقوياء الذين لم يخطر على بالهم إمكانية قيام بطريرك كاثوليكي صريح مثل طاناس، يقبل به البطاركة اليونان المتنفذون في القسطنطينية، و لم يفكروا بالقطيعة مع الكنيسة الشرقية مع قبولهم الإيمان

---

* ابن أخت المطران افتيموس صيفي مطران صيدا

الكاثوليكي. و اعترفت السلطة العثمانية بسلفستروس دون كيرلس الذي اضطر إلى الهرب إلى دير المخلص لما جاء مبعوث البطريرك سلفستروس ليقبض عليه. أما الحلبيون حين لمسوا تعصب سلفستروس انقلبوا عليه و سعوا إلى عزله. فأقنعوهم ، للتخلص من سلطته، بالارتباط في الكرسي القسطنطيني ثم حصلوا على إذن رسمي في الدولة لقيام أسقف مستقل لهم هو مكسيموس حكيم، الراهب الحلبي الحناوي، الذي ساس عدة سنوات أبرشية حلب راسماً عدداً كبيراً من الكهنة الكاثوليك. و تكبد الحلبيون أموالاً باهظة للتمكن من الحفاظ على حرية ممارستهم الدينية ككاثوليك، إلى أن اضطر مكسيموس إلى التخلي عن حلب، عام ١٧٥٧، و اللجوء إلى أديرة لبنان. إلا أن الطائفة الكاثوليكية بحلب ظلت متماسكة بإدارة الكهنة الذين رسمهم النائب الأسقفي و ظل الملكيون بأغلبيتهم الساحقة كاثوليكياً.

و منذ إنشاء طائفة الروم الكاثوليك في دمشق عام ١٧٢٤ و الوضع فيها غير مستقر. فقد كان من شأن الشكوك التي حامت حول شرعية انتخاب كيرلس طاناس و ما رافقها من عدم ثقة السفراء الفرنسيين و بعض المرسلين به، أن تجعل روما تتردد مدة قبل منحه الاعتراف به. و قد ثبت عام ١٧٣٣ لكنه لم يتسلم كتاب التعيين حتى عام ١٧٤٤.

و بعد أن توفي آخر الكهنة الكاثوليك المرسومين قبلاً، لم يتمكن الملكيون من إقامة شعائرهم الدينية في طقسهم إلا عندما يمر أحد الكهنة المخلصين متنكراً و يقدس سراً في أحد البيوت. فتراجع العديد من الكاثوليك المحبين لطقسهم و انضموا إلى الكنيسة الأرثوذكسية المعترف بها رسمياً. و انحسرت الكثلكة عن طرابلس و حمص حيث كانت ضعيفة، و انقسمت أبرشية بيروت إلى فئتين متوازيتين. و ظل الكاثوليك قائمين في أبرشية بعلبك و قراها و قرى القلمون و منطقة صيدا و الشوف و أبرشية الجليل حيث ازدهروا في عهد الشيخ طاهر العمر الزيداني. و هرب العديد من الكاثوليك من دمشق و حلب و حمص و طرابلس إلى مناطق الشوف أو الجليل ثم مصر. و لم يكسب الكاثوليك أي مغنم مادي من تمسكهم بعقيدتهم بل بذلوا الكثير في سبيلها. و لم تساندهم الديبلوماسية الغربية، إذ إن السفير الفرنسي كان مع سلفستروس و لم يعترف بكيرلس، في بادئ الأمر. (١)

و استهدفت الكنيسة الكاثوليكية في المرحلة الأولى (١٧٢٤-١٨٣٣) لشتى الاضطهادات من قبل السلطتين الأرثوذكسية و العثمانية، و اضطر البطريرك الكاثوليكي أن يحمي حياته في أديرة

١- مجلة المسرة- حريصا تشرين الثاني السنة ١٩٩١/٧٧ ص ٩٢٥ الاشمندريت اغناطيوس ديك

لبنان، فلم تكن له مناسبات لفرض مفهومه لوحدة الكنيسة و جامعيتها، كما لم يكن مجهزا في ضعفه و مضايقته، لأن يحدد هذا المفهوم، باستثناء النشاط الذي قام به المطران جرمانوس آدم في مجمع القرقفة في لبنان الملتئم سنة ١٨٠٦ ، مدافعاً عن استقلالية كنيسته الملكية الكاثوليكية ضمن جامعية الكنيسة جمعاء. و حضر هذا المجمع بصفته كاتم سر البطريرك العتيد مكسيموس الثالث مظلوم، و كان متتلمذاً للمطران جرمانوس ادام. و نظراً لعلمه الواسع و مرونته السياسية وسائر صفاته المميزة انتخب عام ١٨٣٣ بطريركاً. و للحال سعى إلى جمع صفوف كنيسته وتنظيمها و تنميتها، و قد توصل إلى مضاعفة عدد أعضائها، كما توصل إلى انتزاع الاعتراف باستقلالية الفرع الملكي الكاثوليكي من السلطان العثماني.

و للتذكير حين انتخب الأسقف مظلوم بطريركاً على طائفته، هب غريغوريوس السادس بطريرك الفنار لمطاردته، و استمنح السلطان فرماناً يحرّم على الأكليروس الملكي تحت عقوبات قاسية إن يقبل الأرثوذكس في شركته، و يأمره أن يغير زيه المشترك بينه و بين الأكليروس الأرثوذكسي. فاحدث هذا الطلب مجادلات طويلة سموها (دعوة الطرابيش)* ثم أرسل الفرمان إلى الكاهن- البطريرك كرابد لينفذه إلى مظلوم. فأنفذه هذا و نصحه أن يستعين بـ(البخشيش) لأنه وسيلة فعالة في القسطنطينية، ليحول دون تنفيذه. و فضلاً عن ذلك، فقد كان من الممكن إلغاؤه بفرمان آخر على شريطة أن يتدارك الأمر سريعاً في القسطنطينية. (١)

و كانت بشرى سارة للبطريرك مظلوم حين حمل إليه بريد القسطنطينية أواخر عام ١٨٣٧ من الكاهن- البطريرك الأرمني مرسلاً يخبره أنه عمل ليس فقط للحصول على فرمان يناقض فرمان بطريرك الفنار بل إن الباب العالي أصدر براءة باسمه تجعله (مرّخصاً) أو رئيساً مدنياً على الملكيين. ذلك لأن الباب العالي لم يكن اعترف بعد بمظلوم، و ما كان يعرف شرعاً إلا الكاهن- البطريرك الأرمني. أما الآن فقد أضحى مظلوم شخصاً رسمياً، و رئيساً على طائفة مستقلة، إلا أنه بقي متعلقاً بالكاهن- البطريرك الأرمني و ما كان يعتبر إلا وكيله في قضاء أمور الملكيين فكان لهذا الفرمان شأن عظيم لأنه الخطوة الأولى في سبيل تحرير الملكيين النهائي. أما تاريخ الفرمان فهو ٣١ من تشرين الأول سنة ١٨٣٧، و قد حوى ٣٧ بنداً عددت فيها التفويضات

---

* سميت كذلك حرب القلنسوة التي ترمز إلى التأصل الشرقي و عدم الانحياز إلى الفرنج

١- مجلة المشرق- بيروت كانون الثاني سنة ١٩٣٠ ص ٤٦ الخوري بطرس روفائيل مرجع سابق

و الأنعامات المختلفة الممنوحة لمظلوم و لخلفائه أيضاً و لا فرق بينها و بين النعم المعطاة للبطاركة الأرثوذكسيين. و توصل عام ١٨٤٩ إلى انتزاع الاعتراف باستقلالية الفرع الملكي الكاثوليكي من السلطان العثماني.

و في عهد البطريرك مظلوم نعم الكاثوليك بالحرية الدينية و صادف دخول القوات المصرية إلى سوريا، و كانت أكثر انفتاحاً من العثمانيين فتمكنت الطائفة من بناء كاتدرائيات لها في حلب ودمشق و حمص، علاوة على القاهرة و القدس. و زار الأبرشيات و أعاد تنظيمها فتضاعف عدد الكاثوليك في عصره. و تصدى لتدخلات المرسلين و القصاد الرسوليين في شؤون الطائفة. وسعى إلى إقامة تشريع واضح في مجمعي عين تراز و القدس. و جاهد للحفاظ على الطابع الشرقي لكنيسته، و رفض طلب القاصد الرسولي بإدخال الحساب الغريغوري كي لا يبتعد عن الأخوة الأرثوذكس. و لما أدخله البطريرك اكليمنضوس بحوث (١٨٥٥-١٨٦٤) حدثت اضطرابات خطيرة في الطائفة و انضم فريق من الكهنة و العلمانيين إلى الكنيسة الأرثوذكسية . (١) و حملت هذه الاضطرابات البطريرك بحوث على الاستقالة فخلفه غريغوريوس يوسف ١٨٦٤-١٨٩٧ الذي أعاد الهدوء إلى داخل طائفته و عمل على النهوض بمستواها الثقافي والروحي، فأسس المدرسة البطريركية في بيروت (١٨٦٥) و أعاد فتح أكليركية عين تراز والقديسة حنة في القدس. و تابع جهوده في الدفاع عن حقوق الشرق و تقاليده و عن المفهوم الشرقي المرن لوحدة الكنيسة و جامعيتها، و على الأخص في المجمع الفاتيكاني الأول سنة ١٨٧٠، إلى أن فرض وجهة نظره على الكرسي الرسولي و حمله على التحمس للشرق المسيحي و حقوقه و تقاليده بإصدار المنشور العام المعروف بـ (الكرامة الشرقية) سنة ١٨٩٣ أو ١٨٩٤ نتيجة الانفتاح الذي أجراه البابا لاون الثالث عشر.

و أتت الظروف مناسبة للروم الكاثوليك في السعي لتحويل إخوانهم الروم الأرثوذكس إلى الكثلكة. ففي شرقي الأردن و فلسطين حدثت أول حركة انتقال إلى الكثلكة عام ١٨٨٥ في نابلس و الرملة حيث انضمت ثلاث عائلات إلى الروم الكاثوليك في نابلس. و ما إن أشرف شهر كانون الثاني على نهايته حتى أصبح عدد العائلات المنضمة ست عشرة. و قد ظلت حركة الانتقال إلى الكثلكة تسير ببطء و تعثر لقلة الكهنة القادرين على رعايتها حتى عام ١٩٠٦ عندما عادت لتنفجر في مدينة السلط، التي كان يعيش فيها زهاء ١٤ ألف نفس بينهم ٤٠٠٠ من الروم

١- مجلة المسرة- حريصا الاشمندريت اغناطيوس ديك ص ٩٢٦ مرجع سابق

الأرثوذكس مع أفراد من طائفتي اللاتين بحدود الألف. (١) و في عام ١٩٠٧ انضمت إلى الكثلكة في منطقة السلط ثماني قبائل كان مجموعهم حول ألف شخص و حصن عجلون عام ١٩٠٩.

و خلال الحرب العالمية الأولى و بعدها كثرت الكثلكة بين أبناء الروم الأرثوذكس و هكذا منذ عام ١٩٢٧ أخذت طلبات الانضمام إلى الكنيسة الملكية الكاثوليكية تتوالى من قرى عمان ومأدبا و الكرك و السلط وأدر و الفحيص و الناعور و حمود. و في أوائل عام ١٩٢٩ طلبت جماعة من عشيرة البقاعين الأرثوذكسية في مدينة الكرك الانضمام إلى الكثلكة. (٢) و هكذا توالى (قضم) رعايا الروم الأرثوذكس إلى الكثلكة في الأردن و سوريا و لبنان.

و يعتبر البطريرك مكسيموس الرابع الصائغ أحد العمالقة في الكنيسة الملكية الكاثوليكية.. انبرى للحركة المسكونية في آخر حياته، و كانت كنيسته بعد استعادة حرياتها و ارتفاع مستوى اكليروسها ثقافياً و روحياً قد استقطبت عدداً كبيراً من مؤمني الفرع الأرثوذكسي، و قد نظمت رسالات خاصة في مناطق لم يكن فيها للكثلكة من جذور، فقرر مكسيموس الرابع وقف محاولات استدراج الأفراد إلى الانتماء إلى الكثلكة و العمل على توحيد الشطرين الشقيقين بالأساليب المسكونية، و صرح عن استعداده للتنازل عن كرسيه للبطريرك الأرثوذكسي في حال عودة الشركة بين كرسي روما و الأرثوذكسية.

كما عمل البطريرك مكسيموس الخامس حكيم على تنظيم الكنيسة في بلاد الاغتراب حيث نشأت في عهده عدة أبرشيات و أسس (الاتحاد الملكي العالمي) و دافع عن حقوق كنيسته تجاه الدوائر الرومانية، و عمل على خلق جو من السلام و التعايش بين أبناء كنيسته و سائر المواطنين في مختلف البلاد العربية حيث هم منتشرون، و اعتبر كنيسته (كنيسة عربية) منتشرة في عدة بلدان عربية و لا تقتصر على لبنان.

و نشأت في عهده علاقات ودية مع الكنيسة الأرثوذكسية الأنطاكية الشقيقة تجلت في السبعينات من القرن العشرين بتبادل الزيارات بين أعضاء سينودس الكنيستين و الندوة المشتركة حول الليتورجيا البيزنطية التي أقيمت في دير يسوع الملك و ما تبعها من لقاءات في دمشق.

و هكذا أخذت كنيسة الروم الملكيين الكاثوليكية تبدو أكثر عروبية و حرصاً على شرقيتها مما لم تظهره في السابق، حتى إن المطران بطرس المعلم كتب يقول (إن أعدادنا ستتقلص

١- مجلة المسرة- حريصا السنة ٧/ ١٩٢١ ص ٣٦١- ٣٦٣ الأشمندريت ميشيل عساف

٢- = = = = ١٩٨٤/٧٠ أيلول – تشرين الأول الدكتور وسام كبكب

تدريجاً مع الزمن، و لكني على يقين أيضاً أن أهمية مستقبلنا ليست بالتباهي و المزايدة في عدد المتحدرين من أصل رومي ملكي، بل هي في نوعية الرسالة و الشهادة التي تقدم. و قد تكون كنيستنا من أكثر الكنائس الشرقية -إن لم نقل أكثرها على الإطلاق- اهلية لحمل هذه الرسالة والشهادة، إذ ليس عليها ما على بعض غيرها من عقدة الارتهان القومي أو اللغوي أو الإقليمي أو غيره، فيحد من إشعاعها و يطويها على نفسها انعزال منغلق و نرجسية مكتفية). (١)

و قصد السوريون الكاثوليك مصر منذ القرن السادس عشر و كانوا يصلون عند الفرنسيسكان، و من أرشيف هذه الرهبانية يتضح أنه (في سنة ١٦٩٨ تم دفن حنه بنت الياس وسكره الروميين من حلب لكونهما كاثوليكيان رومانيان). (٢) و هذا أول ذكر لسوري من طائفة الروم الكاثوليك. و في عام ١٨٥٠ أشادوا لهم مقبرة خاصة أصبحت فيما بعد مدفناً عمومياً للكاثوليك حيث كانوا إلى عهد محمد علي الكبير الذي كان أول من رفع عنهم الضغط الديني وقربهم من الوظائف الإدارية و خصوصاً المالية، حيث عين المعلم ميخائيل فرحات السوري مدير الجمرك القديم، للإدارة المالية بدلاً من يوسف بن لاوى الإسرائيلي الذي قتله جزاء خيانته. و قد سمحت هذه الوظيفة للسوريين الذين جاؤوا إلى مصر قليلين ضعفاً أن يتمكنوا فيها في وقت قصير و يتخذوا لهم فيها مركزاً محترماً عالياً و يتكاثروا حتى أنهم كانوا في أواخر عهد محمد علي يبلغون نحو ثلاثة آلاف نسمة في القاهرة.

و حل المعلم ميخائيل الجمل محل المعلم ميخائيل فرحات، و لما غضب محمد علي الكبير عليه أقام مكانه يوسف البيطار الحلبي من طائفة الروم الكاثوليك، فاستجار ميخائيل بالمعلم ابراهيم الصباغ مستشار ضاهر العمر والي عكا صديق محمد علي فتوسط له و أعاده إلى منصبه بالاشتراك مع يوسف البيطار المذكور. و بعد وفاتهما في سنة ١٧٧٤ حل مكانهما انطون فرعون.

و حين خرج نابليون من مصر ذهب معه خمسمائة سوري من طائفة الملكيين الكاثوليكيين ومعهم كاهنهم الخوري جبرائيل طويل فاستوطنوا مرسليا. و في سنة ١٨٢٢ بنى لهم مكسيموس مظلوم، إذ كان حينئذ مطراناً، كنيسة القديس نقولاوس المعروفة هناك.

١- مجلة المسرة- حريصا السنة ٨٤ /١٩٩٨ أيار – حزيران المطران بطرس المعلم

٢- الخوري بولس قرألي: السوريون في مصر المطبعة السورية- القاهرة ١٩٢٨ ص ٩٨

و كان من جملة الذين أتوا من العلماء في عهد الحملة الفرنسية مخايل نقولا إبراهيم الصباغ حفيد إبراهيم الصباغ وزير ظاهر عمر و قد اصطحبه العالم دساسي معه إلى باريس. و منهم أيضاً الشاعر نقولا الترك صاحب سيرة نابليون. (١)

و في عام ١٧٥٠ أصبح الروم الكاثوليك الأكثرية الغالبة بين الطوائف الكاثوليكية في مصر. و لما كانت دمشق الشام المصدر الأكبر لهذا السيل اطلق المصريون اسم (الشوام) على سائر السوريين و خصص السوريون طائفة الروم الكاثوليك بهذا اللقب.

و تصاعدت هجرة الروم الكاثوليك إلى مصر و برز منهم أعلام كبار في الصناعة و التجارة و الثقافة و الفن، سبق ذكر بعضهم في كتابين سابقين لنا عن المسيحية السورية. و لعل العصر الذهبي لهم وصل إلى اوجه في نهاية الأربعينات من القرن العشرين و كان هؤلاء من سوريا ولبنان و فلسطين مواطنهم الأصلية.

و في عهد إبراهيم باشا المصري على بلاد الشام بلغ التجار المسيحيون شأوا كبيراً حتى بلغ عدد بيوتهم التجارية البارزة ٢٩ بيتاً، و كان رأسمال هؤلاء التجار(٤,٥ –٥,٥) مليون قرش. وكان أغناهم على الإطلاق حنا عنحوري حيث بلغ رأسماله الشخصي ما بين (١,٥-٢) مليون قرش. و قد دخل في تجارته مع انكلترا و فرنسا و إيطاليا، و عمل أفراد أسرته بدورهم في تجارة دمشق الداخلية و كانوا أغنى تجار النصارى فيها على الإطلاق. (٢) و هذه العائلة كانت من بين عائلات كاثوليكية ملكية عديدة أخذت مكانها المالي على مدى القرن التاسع عشر، كعائلة كحيل. حتى أننا نجد إلى الستينات من القرن العشرين أشهر الوكالات العالمية كان وكلاؤها من طائفة الروم الكاثوليك، هذا على الأقل في سوريا.

و تتكون مؤسسات هذه الطائفة في لبنان من مقر بطريركي و سبع أبرشيات، و من أربع رهبنيات للرجال: الشويرية، المخلصية، الحلبية و البوليسية. و خمسة رهبنات للنساء: الحلبيات، الشويريات، المخلصيات، راهبات المعونة الدائمة و الكرمليات. (٣)

١- الخوري بولس قرالي: السوريون في مصر مصدر سابق ص ٩٢

٢- مؤلف مجهول: مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا في سوريه تحقيق أحمد غسان سبانو دار قتيبة – دمشق ص ١٧ -١٨-٢٠

٣- قسطنطين الباشا: تاريخ طائفة الروم الملكية و الرهبانية المخلصية الجزء الأول صيدا- مطبعة دير المخلص ١٩٣٨، الجزء الثاني صيدا مطبعة المخلص ٩٩٤٥ ص ٧٢

و قد لعبت هذه الرهبنات و لا تزال دوراً أساسياً في إطلاق الطائفة و بنيتها ساهمت في تقويتها و مدها بالآباء و القيادات الروحية.

و جنباً إلى جنب، تطورت المؤسسات القضائية للطائفة بنمو المؤسسات الدينية، و تتكون هذه المؤسسات من محكمة بدائية و استئنافية واحدة في بيروت. و تطبق هذه المؤسسات نفس الأسس القانونية التي لدى مثيلاتها لدى سائر الطوائف الكاثوليكية و التي تطورت إلى حيث قانون التنظيم القضائي اللبناني رقم ٧٨٥٥ تاريخ ١٩٦١/١٠/١٦ و تعديلاته.

و في سبيل تفعيل دور الطائفة أنشئت أول مؤسسة تمثيلية لها عام ١٩٦٩ و هي المجلس الأعلى لطائفة الروم الكاثوليك، و أنشئت بعض روابط للطائفة بعد ١٩٧٥ .

و للطائفة العديد من المؤسسات الإعلامية أقدمها المطابع، حيث أنشأ أول مطبعة عبدالله الزاخر في دير مار يوحنا الشوير عام ١٧٣٣ و تلتها المطبعة المخلصية في بيروت عام ١٨٦٥ والمطبعة البولسية في حريصا عام ١٩١٠. (١)

و كان لطائفة الروم الكاثوليك صروح تعليمية هامة في سوريا خرجت الأجيال من القادة والمفكرين، منها (المدرسة البطريركية) في دمشق. و قد أصيبت المؤسسات التعليمية للطائفة بنكسة يوم أممت في الستينات من القرن الماضي.

و في لبنان كان انطلاق المؤسسات التربوية للطائفة مع تأسيس مدرسة الإكليركية في عين تراز سنة ١٨١١، ثم مع إنشاء مدرسة دير المخلص سنة ١٨٢٨، كما أنشئت المدرسة البطريركية في بيروت سنة ١٨٦٥، و الكلية الشرقية في زحلة سنة ١٨٩٨ و مدرسة القديسة حنه في رياق سنة ١٩٤٥، نقلت إلى الربوة فيما بعد. و كان إنشاء هذه المدارس خاصة في القرن التاسع عشر بدافع من تربية الإكليروس، كمعهد القديس بولس للفلسفة و اللاهوت التابع للرهبنة البولسية (و محاربة النفوذ البروتستانتي و اللاتيني على علمانيي الطائفة). (٢) و هناك عدد من المدارس الأخرى لا مجال لذكرها، و لكننا نبين أنه كان للطائفة في لبنان لأعوام ١٩٧٨/١٩٧٧ المؤسسات التعليمية التالية: ٣٢ مؤسسة تعليمية مجانية و ٢٩ مؤسسة تعليمية غير مجانية ومؤسسة جامعية واحدة، أي كان هناك ٦٢ مؤسسة تعليمية منتشرة في كافة الأراضي اللبنانية.

١- خليل صابات: تاريخ الطباعة في الشرق العربي مرجع سابق ص ٣٩-٥٥-٧١

٢- يوسف الشماس: خلاصة تاريخ الكنيسة الملكية الجزء الثالث المطبعة المخلصية- دير المخلص- صيدا ١٩٥٢ ص ١٥٤ –١٥٦

و للطائفة عدة مجلات و نشرات أهمها مجلة (المسرة) الصادرة عن دير الآباء البولسيين في حريصا منذ بدايات القرن العشرين و لا زالت تصدر، و هي من المراجع الهامة في البحث عن مسيحيي الشرق، كذلك هناك (الرسالة المخلصية) و مجلة (لي ليان) الصادرة عن البطريركية في بيروت، و مجلة (مع الرعية) و (الرسول) الصادرة عن مطرانيتي طرابلس وزحلة، و (كلمة الحياة) عن مطرانية بيروت و(النشرة الثقافية) عن مؤتمر الإكليروس و(دار العناية) و (الوحدة في الإيمان) عن دير المخلص. (١)

كما للطائفة عدد من الجمعيات و النوادي في سوريا و لبنان ذات أهداف دينية و اجتماعية وخيرية. و هناك مستشفى وقف سيدة النجاة في زحلة التي تعتبر معقل الطائفة في لبنان، كذلك لدى الطائفة مجموعة من المستوصفات و العيادات المجانية.

كان عدد أفراد طائفة الروم الكاثوليك عام ١٨٨٤ (١٠٩٩٦١) منهم ١٥٢٩٦ نسمة يسكنون دمشق و ٧٩٦٥ يسكنون الإسكندرية و ٩٠٠ في أورشليم. (٢) أما عددهم عام ١٩٤٤ فكان في دمشق ١٠٩٠٠ وفي مصر ٢٥٠٠٠ أما مجموعهم العام في البلدان العربية ١٧٦٦٠٠ يضاف إليهم ٧٠٥٧٠ مغتربين، أي المجموع ٢٤٧١٧٠ في العالم، ٩٥ في المئة منهم متعلمين في المدينة و ٤٠ في المئة في الأرياف. (٣)

و يقدر الأشمندريت أغناطيوس ديك عدد الملكيين في الشرق الأدنى بـ ٦٣٥٠٠٠ نسمة، بينما عددهم في المهجر قد يربو على ١٥٠٠٠٠ نسمة (٤) فيما كان عددهم في لبنان عام ١٩٥٢ (٨١٧٦٣) نسمة (٥) كما كان عام ١٩٧٨ (٢٠٠) ألف نسمة(٦) و في فلسطين عام ١٩٥٢ (١٧٥٠٠) نسمة. (٧)

و في عام ١٩٣٤ كان عددهم في سوريا (٣٣٣٨٩) نسمة (٨) أما عام ١٩٤٤ فكان عددهم ٤٧٥٢٢ و عام ١٩٤٨ (٥٠٤٢٣) (٩) و عام ١٩٥٦ (٦٠١٢٤) نسمة. (١٠)

١- خليل صابات: تاريخ الطباعة في الشرق العربي مرجع سابق ص ٧١

٢- مجلة المسرة: حريصا السنة ١٩٩٨/٨٤ ك٢- شباط ص ٧٩ د. وسام كبكب

٣- = = = = = آذار – نيسان = = =

٤- = = : = = ١٩٩٦/٨٢ ك ٢- شباط ص ١٢٨ الأرشمندريت أغناطيوس ديك

٥- = = : = = الثانية و الأربعون /١٩٥٤ شباط ص ١٢٦ مرجع سابق

6- R.D Me Laurin: Ibid P 93

٧- مجلة المسرة- حريصا السنة ٣٦/ ١٩٥٠ نيسان ص ٢٨٤ مرجع سابق

٨- عبد العزيز العظمة مرجع سابق

٩- المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٤٩ مصدر سابق

١٠- = = = = ١٩٥٦ = =



طائفة السريان الأرثوذكس

تعتبر الكنيسة السريانية الأرثوذكسية رمز الكنيسة السورية حيث حافظت أكثر من سواها على التقاليد و الطقوس الأنطاكية القديمة و على الأدب السرياني، على تراب سوريا نشأت وترعرعت و انتشرت إلى الهند و بقيت جذورها سورية.

و من علية صهيون بأورشليم أنشئت أول كنيسة و أول طقس أقيم فيها باللغة السريانية. وإن هذا الطقس السرياني الأبوي الرسولي هو مرجع لجميع الطقوس البيعية على الإطلاق. و ينقل عن الأب سلافيل في كتابه (الليترجيات الشرقية) الذي نشره عام ١٩٣٢ قوله (إن اللغة الآرامية المعروفة باسم السريانية هي أقدم اللغات الطقسية الشرقية). (١) ففيها لفظ السيد المسيح الكلام الجوهري في العشاء السري. و هكذا صنع الرسل بعده و هم مجتمعون في أورشليم قبل انطلاقهم إلى أنحاء العالم للتبشير بالإنجيل.

و هذا يجعلنا نقول بأن اللغة السريانية هي لغة الطقس الأصلية تأسيسا متينا على حجج جميع المؤرخين الذين قالوا بان كنيستي أورشليم و أنطاكية و ملحقاتهما ظلتا تستعملان اللغة السريانية وحدها دون اللغة اليونانية. و قد كان أساقفة أورشليم الخمسة عشر الأولين الذين خلفوا مار يعقوب الرسول، منشئ القداس السرياني الأصلي، كانوا بأجمعهم من اليهود، و كانت السريانية لغتهم الوطنية و الكتابية.

و يرى الخوري أرملة أن السريان الملكيين* في البطريركية الأنطاكية أهملوا القداس الأصلي القديم و استأثروا بقداس باسيليوس (٣٧٩) و قداس يوحنا فم الذهب (٤٠٧) و قداس غريغوريوس النزنيزي (٣٨٩) المعروف بقداس (البروجياسمانا) فنقلوا أصلها إلى لغتهم السريانية واستعملوها بالسريانية في كنائسهم بأجمعها من أقصاها إلى أقصاها منذ زمان لم يقرره الكتبة الثقات. و رجح البطريرك أغناطيوس أفرام رحماني في كتابه الليترجيات الشرقية و الغربية أن نقل تلك

١- مجلة المشرق- بيروت السنة الثامنة و الثلاثون ك٢ – آذار ١٩٤٠ الخوري اسحق أرملة

* يقصد بالسريان الملكيين الذين تفرعت عنهم بقية الكنائس المسيحية بتسميات متعددة

القداديس إلى السريانية حدث في القرن السابع. و من ثم فالسريان الملكيون قبل هذا العهد ما كانوا يقدسون إلا قداس مار يعقوب الأصلي. (١)

و يضيف الخوري أرملة: و لم يكن طقس البيعة الأنطاكية برمتها بصورة رسمية قطعاً والبرهان على ذلك أن السريان من سريان أرثوذكس و كاثوليك و أشوريين و كلدان كانوا من قبل القرن الخامس و السادس طائفة واحدة مع السريان الملكيين (الروم) و السريان الموارنة. و كان لهم بأجمعهم طقس واحد و لغة واحدة و بطريرك واحد و عقيدة واحدة. و قد صارت اللغة السريانية منذ القرن العاشر حتى القرن السابع عشر لغة الطقس البيزنطي و الذي اتخذه الملكيون في البطريركية الأنطاكية، و قد استعمل هؤلاء اللغة السريانية في القرون الثمانية المتأخرة. و هي (مدة كافية لتمحو أثر اللغة اليونانية من طقسهم إن كان هناك أثر). (٢)

و مما يؤيد القول إن السريان الملكيين حين بدأوا بنقل قداسهم و صلواتهم القانونية إلى العربية لم ينقلوها عن اليونانية بل عن السريانية، و الدليل وجود بعض ألفاظ سريانية معربة مثل اليشع، أوشعنا، شعانين، زخريا، القديس الطوباني، الملكوت العتيد، روح القدس تأتي عليك، و كثير من الكلمات الأخرى التي لا مجال لتعدادها هي ألفاظ سريانية بحتة.

إن الملة السريانية الملكية في البطريركية الأنطاكية عموما لم تستعمل في كنائس مدنها وقراها وأديارها و صوامعها منذ نشأتها حتى القرن السابع عشر إلا اللغة السريانية وحدها فقط. ثم نقلت السرياني نقلاً مشوشاً مشحوناً بالغلط، و ابقت في قداسها العبارات الجوهرية بأصلها السرياني، ثم سمحت للكاهن ان يستعملها في السريانية أو في العربية في الأزمنة الأخيرة.(٣) حتى إن أحد كهنة الملكيين الأرثوذكس في قرية معلولا بقي يقدس في السريانية حتى أواسط القرن التاسع عشر.

و علينا الملاحظة أن السريان الملكيين في نقلهم الليترجيات اليونانية إلى السريانية أبقوا بعض عبارات و ألفاظ بأصلها اليوناني يتلوها الشماس أثناء القداس، و لكنهم كتبوا تلك العبارات بحروف سريانية لا بحروف يونانية، مما يبرهن على جهلهم الخط اليوناني، و هم الذين لم يدرسوا اليونانية كما يجب لأنهم لم يضعوا كتاباً يونانياً، و أقدم مخطوط يوناني تضمن قداسي باسيليوس وفم الذهب منسوخ في القرن التاسع.

١- المصدر أعلاه الخوري اسحق أرملة ص ٤٣
٢- = = = = = ص ٤٤
٣- = = = = = ص ٤٥

و كيفما كان الأمر فإن الصحف السريانية الطقسية المصونة في خزائن عواصم أوربا وغيرها اقدم و أكثر من الكتب الطقسية اليونانية، لأن المخطوطات الطقسية الملكية، سريانية أم يونانية، لا يمكن ان يسبق عهدها القرن الحادي عشر، ذلك يوم أخذ الطقس اليوناني قراراً في البيعة الملكية الأنطاكية. و ناهيك أن الملكيين في سوريا يتعذر عليهم أن يدلونا على كتاب طقسي نسخ باليونانية، حال كون دور الكتب تحوي إلى هذا اليوم مئات من كتبهم الطقسية في السريانية، كمخطوطات دير طورسينا، و دير مار بنطاليمون بأنطاكية، و مخطوطات دير القديسة تقلا، و دير الشاغورة بصيدنايا. (١)

إن اتفاق الكنيسة الأنطاكية مع أختها الكنيسة القسطنطينية بالطقوس لا تثبت وحدة اللغة الدارجة. فطقس فرنسا هو الطقس اللاتيني مع أن الشعب لا يتكلم باللاتينية.

و قد كانت كنيسة أنطاكية تستعمل في قداسها ليتورجية القديس يعقوب إلى القرن الثاني عشر فبدل البطريرك ثاودورس بلمسون و كان أصله من القسطنطينية هذه الليتورجية القديمة بليتورجية القديسين يوحنا فم الذهب و باسيليوس الكبير محتجاً بأنه يقتضي على كل الكنائس أن تتبع الكنيسة القسطنطينية في طقسها. و كان إبدال الطقس في كنيسة أنطاكية من أقوى عوامل انحطاطها وتسلط البطاركة القسطنطينين عليها، و لم تزل إلى اليوم. (٢)

أما الكرسي الأنطاكي للسريان الأرثونكس فيبدأ مع بقية الطوائف التي وجدت آنذاك. وحين عُين ساويرا (٥١٢-٥٣٨) عد هذا العمل عصيان على المجمع الخلقيدوني، و فصله الحبر الروماني وسمي بدلا منه فولا أو بولس الثاني و خلفه أفراسيوس و تراس بعده أفرام الأول الأمدى (٥٤٦).

و كان الخلاف قد بدأ في مجمع أفسس، العام ٤٣١ و تطور العام ٤٥١ في مجمع خلقيدونية. فثمة من اعتبر أن للمسيح طبيعتين: إلهية و إنسانية، و ثمة من اعتبر أنه ذو طبيعة واحدة، و كون هؤلاء الكنيسة السريانية و القبطية و الأرمنية و تبدو هذه الخلافات فلسفية أمكن من حوار جرى على مدى ثلاثين عاماً إلى تفاهم بين الكنيسة الأرثوذكسية و الكنيسة السريانية على أن هذا الاختلاف اللفظي يخفي وحدة عقائدية، لأن كل كنيسة اقتنعت أن الأخرى مستقيمة الرأي. و كان هذا الحوار قد جرى بعد ألف و خمسمائة سنة منذ ظهوره.

١- مجلة المشرق- بيروت السنة الثلاثون آذار ١٩٣٢ ص ١٦٥ الخوري اسحق أرملة

٢- = = = السنة الثالثة العدد ١٢ ١٥ حزيران ١٩٠٠ الأب لويس شيخو

و أبى السريان الطاعة لأفرام البطريرك و نصبوا لهم بطريركاً قائماً بذاته و هو سرجيس التلي حيث تمت رسامته في بيزنطية سنة ٥٣٨ بوضع يد يعقوب البرادعي (٥٧٨) أسقف الرها الذي بذل كل وسعه في تثبيت السريانية.

و قد رسم يعقوب البرادعي مطرانا مسكونيا أي عموميا بعد وفاة البطريرك فأخذ يجوب بلاد المشرق و يطوف الأديار يرسم الأساقفة و قسانا، حتى إن الروم دعوا الكنيسة السريانية باسمه.

و نرى حجم انتشار الطائفة السريانية من خلال عدد المطارنة الذين رسموا في عهد البطريرك يوحنا السادس الذي ارتقى البطريركية يوم ٢١ نيسان ٩١٠ و توفي في تشرين الثاني ٩٢٢ حيث رسم ٤١ مطرانا.

و تعتبر الحقبة الممتدة من القرن السادس حتى القرن التاسع إحدى الحقب الذهبية في تاريخ الإنتاج الفكري و الروحي للكنيسة السريانية. و قد لعبت الحركة الرهبانية الدور الكبير في هذه النهضة الروحية التي انتعشت في ظل الحكم الإسلامي لبلاد المشرق. (١)

و من الأحداث التي مرت بها الكنيسة السريانية ارتقاء اثناسيوس الخامس سدة البطريركية يوم ٢١ تشرين الأول ٩٨٧ و وفاته عام ١٠٠٣ و هو الذي رسم سنة ٩٩١ اغناطيوس بن قيقي مفريانا فأسلم في بغداد ثم ارعوى و ألف ميمرا مؤثرا في توبته. و سنة ٩٨٨ جدد الكتابة السطرنجيلية في طور عبدين يوحنا مطران قرتمين. و اشتهر إذ ذاك يحيى بن عدي التكريتي المنطقي السرياني النحلة و أبو علي عيسى ابن زرعه السرياني ببغداد (١٠٠٧) و له تصانيف في المنطق و الفلسفة.

و من بطاركة السريان أيضاً ميخائيل الأول (الكبير) الذي تولى الرئاسة البطريركية يوم ٨ تشرين الأول ١١٦٧ بحضور ٢٨ اسقفا و المفريان يوحنا السروجي. و بعد رسامته كتب صورة إيمانه و أوفدها إلى بطريرك الإسكندرية ثم رحل إلى دير الزعفران و سن ٢٩ قانوناً وقرر أن تكون ماردين كرسياً للبطريركية. ثم سافر إلى الرها فالقدس عام ١١٦٨ و كرس الميرون في دير السريان المعروف بدير مريم المجدلية ثم ذهب إلى أنطاكية فادخله الفرنج على كنيسة مار بطرس بأبهة و رونق، و راسله نرسيس جاثليق الأرمن في مسألة الاتجاه فأجابه البطريرك (لا بأس من التسليم بالطبيعتين اما حذف الزيادة من التريصاحبون و حُرم قديسينا فيتعذر علينا قبوله. و مع هذا فما تصنع أنت نصنعه نحن أيضا).(٢)

١- مجموعة مؤلفين: المسيحية عبر تاريخها في المشرق مرجع سابق ص ٣٩٨ الأب شفيق او زيد

٢- مجلة المشرق- بيروت السنة الحادية و العشرون العدد ٧ تموز ١٩٢٣ ص ٥٩٢ الخوري اسحق أرملة

و تمرد ثاودرس ابن وهبون عام ١١٨٠ على ميخائيل الكبير (١) و حالف أربعة أساقفة فرسموه بطريركاً دخيلاً في ديار بكر، فاستحضر ميخائيل قسراً إلى دير برصوما و خلع عنه الحلة الحبرية و حلق لحيته و ألبسه طربوشا و ثوباً بسيطاً و سرّحه فازداد ابن وهبون مكابرة و قصد جاثليق الأرمن فنادى باسمه بطريركاً حتى وفاته عام ١١٩٣ و كان متضلعاً من السريانية و العربية و نظم شعراً عربياً هجا به ميخائيل الكبير. و توفي البطريرك ميخائيل في ٧ تشرين الثاني سنة ١٢٠٠ ورسم ستين أسقفاً و ألف كتباً شتى أشهرها تاريخه الكبير، و هو من المراجع التاريخية المهمة و قد ترجمه إلى اللغة الفرنسية الأب يوحنا شابو. و في عهده ضبط المسلمون سنة ١١٧٠ الدار البطريركية السريانية بماردين و جعلوها جامعاً و استحلوا سنة ١١٧٢ كنيستها الكبرى التي شادها برصوما الماردينى على اسم توما الرسول. و هذا البطريرك نصب يوحنا موديانا الرهاوي مطراناً لماردين فسار إلى القسطنطينية و تبع الملكيين فنصبوه مطراناً لميافارقين (٢) أو بميفرقط التي كانت مدينة عامرة بالسكان، و للسريان فيها كرسي أسقفي. أما الخلقيدونيون فكانوا قليلين. فلما قدم إليها موديانا أخذ يهتم بشؤون الملكيين بنشاط بعد خمولهم، و لعل بقايا الروم في بلاد ديار بكر إلى يومنا كان سببها الأسقف موديانا المذكور و بعض الذين أتبعوه. (٣)

وقد كانت الفرق النصرانية التي تقتسم بلاد الشرق منذ القرن الخامس ثلاثاً: الملكية وهم أتباع المجمع الخلقيدوني المحافظون على قوانين الكنيسة الكاثوليكية و عرفوا بالملكيين في جهات سوريا و مصر و ما بين النهرين لقول خصومهم بأنهم أتبعُ للملوك منهم للمسيح، ثم النساطرة أشياع نسطور الذين جعلوا للمسيح أقنومين كما له طبيعتان: أقنوم إلهي و أقنوم إنساني اتحد اتحاداً أدبياً مستقلاً، ثم اليعاقبة أو السريان الذين تصدوا للنساطرة في أقوالهم و قالوا إن في المسيح طبيعة واحدة إلهية كما هو أقنوم واحد.

و هذه الفرق بقيت مدة طويلة في خصام و معاداة تسعى الواحدة في تنكيس الأخرى فضلاً عن كونها تعددت أقسامها فصار لكل فرقة شيعة متباينة و ليس تاريخ كنائس الشرق مدة عشرة قرون و أكثر سوى خبر هذه المشاحنات و الانقسامات.

و قد سعت الكنيسة الكاثوليكية إلى النسطوريين و السريان، فكان في وقت متأخر أن نشأت

١- مجلة المشرق- بيروت السنة العاشرة العدد ١١/ ١ حزيران سنة ١٩٠٧ ص ٩٩٧

٢- = = = = = = = = ص ٩٩٦ مرجع سابق

٣- = = = العدد ٢١ ١ تشرين الثاني ١٩٠٧ ص ١٠٠٠ الخوري اسحق أرملة

كنيسة كاثوليكية لكل واحدة من هاتين الكنيستين، و من بعدها انتقل قسم آخر من الأصل و الفرع إلى الكنيسة البروتستانتية.

و جرت محاولات حثيثة و قديمة لضم السريان و الأرمن و الروم إلى الكثلكة، و من هذه المحاولات زيارة الكاهن دون لاونردوابيلا عام ١٥٨٢ لرؤساء هذه الطوائف و حثهم على الكثلكة ولكن مساعيه لم تنجح. (١)

و في عهد البطريرك عبد المسيح الأول (١٦٦٢- ١٧٨٢) بدأ تحول رجال دين سريان إلى الكثلكة، ها هو مطران دير مار يوليان بشارة دبك الصدي يقر بالمعتقد الكاثوليكي و قد توفي عام ١٦٨٥ و بإيعاز من البطريرك كوركيس نفي السيد أغناطيوس بطرس شاهبدين بطريرك السريان الكاثوليك (١٦٧٨-١٧٠٢) إلى قلعة أطنة مع رفاقه المطران رزق الله و القس نعمة أرسان والربان عبد النور و غيرهم.

و قد اشتد ساعد كثلكة السريان في هذه الفترة نتيجة الخلافات الحاصلة بين رجال الدين أنفسهم و انعكاس ذلك على قوتهم، و التبشير الكاثوليكي المدعوم الذي ساح في تلك الفترة بحرية كبيرة من قبل المرسلين اللاتين و الكرمليين و الكبوشين و اليسوعيين و الدومنكيين.

لقد انحسر المد السرياني بعد أن دبت الكثلكة في الكنيسة السريانية.. فقد كان لها مائة مطران في تاريخ بطريركها ديونوسيوس الأول (٨١٨-٨٤٥) و في بداية القرن العشرين لم يبق لها عشرة كراسي مطرانية.

و أصاب الكنيسة السريانية الكثير من الأهوال و المجازر، فلم يبق من السريان إلا قسم من طور عبدين و ماردين و الموصل و ديار بكر و الرها و آزخ، و في حمص و حماه و توابعهما وفي دمشق و حلب. و قد نزح القسم الأكبر من أهالي الرها و نواحيها إلى سوريا و الخارج.

و حسب تقديرات نشرت عام ١٩٠٧ (٢) فإن سكان سنجق ماردين الذي كان يضم بالإضافة إلى ماردين، نصيبين ثم الجزيرة ثم مديات ثم أونية كان يضم ٢٠٠ ألف نسمة منهم المسلمون نحو ٤٠ ألف و الأكراد ٧٠ ألف و السريان الأرثونكس ٦٠ ألف يسكنون في ماردين و القرى المجاورة لها وأغلبيتهم في أطراف مديات و خاصة جبل الطور حيث يتكلمون بالسريانية المعروفة بالطورانية. وكان للسريان الأرثونكس في سنجق ماردين ثلاث مطرانيات، و لهم كرسي بطريركي

١- مجلة المشرق- بيروت السنة التاسعة العدد ٨ ١٥ نيسان ١٩٠٦ ص ٣٥٨

٢- = = = السنة العاشرة العدد ١١ ١ حزيران ١٩٠٧ المونسنيور الكسندريان مرجع سابق

على مسافة ساعة من ماردين شرقيها في دير قديم هو دير الزعفران. و هناك أقام بطاركة السريان لأجيال متواصلة.

و رغم عظمة التاريخ الثقافي و الحضاري للسريان فإنهم أضحوا في نهايات القرن التاسع عشر من أضعف الطوائف المسيحية ثقافة و علما مع الآشوريين.

و لعل حيازتهم لمطبعة في ذاك الوقت كان معجزة لها قصة سنرويها.

في عهد البطريرك بطرس الثالث سعى الإنكليز بأن يتقربوا من الكنائس الشرقية غير الكاثوليكية لا سيما السريانية في الهند، و ما بين النهرين. و رحل البطريرك إلى لندن فرحب به أعيان الدولة الإنكليزية و دعاة دينها، و دخل على الملكة فيكتوريا فأكرمت مثواه و تبرعت عليه بمنتي جنيه سنوياً لفتح مدارس و مطبعة. و لما قفل راجعاً إلى ما بين النهرين دارت مراسلات بينه و بين الإنكليز. ثم أرسل المطران غريغوريوس عبدالله الصدي المتكثلك بعدئذ إلى لندن فأصاب حظوة لدى أعيانها فأهدوه مطبعة بكل أدواتها و ذلك نحو سنة ١٨٨٧. فلما عاد إلى الجزيرة صحبه سيدان إنكليزيان وهما الدكتور تراملت و المعلم سر مينر وليم وزار طور عبدين و مقامات السريان ثم توليا أمر المطبعة فنشرا فيها بعض الكتب بالسريانية و الكرشونية.

و من أهم الكتب التي طبعت آنذاك كتاب المزامير عام ١٨٨٨ ، ٢- كتاب الشحيم أي الصلوات القانونية الأسبوعية عام ١٩٠٠ ورد في آخره ما حرفهُ دون تعديل:

(طبع بمطبعة الشهيرة بدير الزعفران أي الكرسي الأنطاكي لطائفة السريان بنفقة الشعب المؤمن الأخوة المسيحيين بإنجلترا و اشتراك أبناء الطائفة السريانية و كان ذلك في سنة ١٨٩٠... أولاً بأمر مولانا الأعظم و ملكنا الأفخم سلطان البرين و خاقان البحرين السلطان عبد الحميد خان أيد الله ملكه إلى آخر الدوران آمين. ثم بمساعدة الملكة المعظمة أمبراطورية إنجليترة الفخيمة و بنظارة رئيس الأساقفة و مطران لوندرة و الدكتور تراملت و المعلم الفيلسوف سرمينر ويليم والست حرمته المؤمنة و بمجاهدة الست فص و باشتراك الشعب المؤمن أخوتنا شعب الإنجليز الذين اجتهدوا بتنظيم جمعية خيرية لأجل فتح مدارس لأبناء طائفتنا السريانية و كان ذلك بهمة و غيرة الحبر الأعظم مار أيغناطيوس بطرس الثالث الباطريرك الكرسي الأنطاكي الذي اشتهر عن سلفه بالمحبة الجنسية.... وأرسل الأب المشهور بالغيرة الروحية غريغوريوس المطران عبدالله إلى الأوندرة (لندرة) و حصل على مطبعة شهيرة قد أهديت من المستر ميلار رشد و ابنه و شركة المستر وميس هدون مع باقي المشتركين بهذه الهدية لدير الزعفران و هذه طبعة الثانية قد طبعت بالمطبعة المشار إليها و ذلك باعتناء مديرها اياوننيس المطران الياس و المعاونين له الراهب منصور و راهب الياس و صفافين

الأحرف رزق الله و اسكندر و جبرائيل و داود و جرجس ... و إذا صارت الهمة من الجميع إنشاء الله تتطبع جميع كتب طائفتنا السريانية..). (١)

و لم تمض سنوات قلائل حتى توقفت هذه المطبعة عن العمل و توقف ما كان يرجى أن تقوم به من عملية تعليم و تثقيف للشعب السرياني. و بقي الحنين إلى الماضي قائماً بصوره الزاهية حيث كان السريان أهل الثقافة في استيعاب الثقافة اليونانية حين ترجم القسط الاكبر من اعمال ارسطو وشروح أعماله إلى اللغة السريانية بدءاً من القرن السادس، و استمرت حركة النقل هذه حتى أوائل العصر العباسي.

بدأت طلائع الترجمة إلى العربية في مستهل القرن التاسع، فانكب المسيحيون السريان على نقل هذه الآثار إلى العربية من السريانية، إلا أنهم ما لبثوا أن نقحوا هذه الترجمات مستندين إلى الأصول الإغريقية. و في الحقبة عينها، أطلعت المراكز الرهبانية و الكنسية التي كانت تضع الشروح لكتب أرسطو على اللغة العربية و آدابها و بدأت تتكون مدرسة فكرية حديثة، كان المسيحيون أساتذتها.(٢)

و قد كانت الكنائس السريانية تتمتع بنظام تعليم مهد الطريق لجامعاتنا حيث كانت مدرسة الرها و نصيبين، و ما قام به القديس أفرام من تعليم و الارتقاء بمستواه.

لقد قطعت سوريا عن الأمبراطورية الشرقية بسبب الفتح العربي (٦٣٣-٦٤١) لكن منذ أن بدأ اعتناق سكان المشرق التدريجي للمسيحية، كانت المدنية السريانية تؤثر في المدنية اليونانية. و لم يحس المسيحيون الناطقون باليونانية أنهم أكثر ثقافة من المسيحيين الناطقين بالسريانية. و الواقع أن أولئك كانوا قد أفادوا نفحات حضارية دائمة من هؤلاء قبل أن يبدأ الخلاف بين اليونان و السريان لاهوتيا و سياسياً. (٣)

و يبقى التاريخ السرياني ماثلاً في مخيلة المسلمين و العرب للتداخل الذي حصل بينهم وللعلاقة القبلية التي جمعت القبائل العربية السريانية المذهب و ما نجم عن ذلك حين دخول الإسلام لسوريا.

١- مجلة المشرق- بيروت السنة الخامسة العدد ١٨ ١ أيلول سنة ١٩٠٢ ص ٨٤٢

٢- مجموعة مؤلفين: المسيحية عبر تاريخها في المشرق مرجع سابق ص ٥٠٤ الأب سمير خليل سمير

٣- ارنولد توبيني: تاريخ البشرية جزأن الجزء الثاني الأهلية للنشر و التوزيع- بيروت ١٩٨٨ ص ٩٥

و ضعفت اللغة السريانية قوة و امتداداً حيث وصلت إلى الصين في يوم من الأيام و كانت سلف اللغة العربية في بلاد الهلال الخصيب. و بدت الآن منحسرة من خلال الكنائس السريانية وثلاث قرى قريبة لدمشق معظم أهاليها من المسلمين و في مناطق الجزيرة السورية.

و في الوقت الذي أخذت العربية تحل محل لغات أخرى كانت في الأمبراطورية الإسلامية لتصبح لغة التخاطب، لم تنجح العربية في هذا المجال من أن تحل محل الفارسية، فالفرس احتفظوا بلغتهم لكنهم كتبوها بالألفباء العربية، و أثروها بكلمات أخرى من العربية. و هذه اللغة الجديدة أصبحت فيما بعد أداة للتعبير عن أدب عظيم. و قد كان أيسر على اللغة العربية أن تحل مع الزمن محل أختها السامية اللغة السريانية التي كانت لغة التخاطب في الريف في سوريا الطبيعية و العراق أيام الفتح العربي. (١)

كما ضعف السريان نفوذاً و عدداً و انحسر وجودهم في سوريا و بعض العراق و تركيا وفي السويد وفي بلاد الاغتراب، و بقي عددهم على سبيل المثال في لبنان ١٥٥٠٠ نسمة (٢) بعد أن كان في زمن الحروب الصليبية ستين ألفاً على ما يقول ريمون أوف أيجلز، فيما كان عددهم ٢٧٢٣ نسمة عام ١٩٣٢، و في الأردن و فلسطين لم يتجاوز عددهم إلا بضعة آلاف.

و أصبح عدد السريان في العالم (عدا الهند التي دبت بها الانقسامات) يساوي بين ٢٥٠-٣٠٠ ألف عام ١٩٩٦ (٣) حسب دراسة علمية قمنا بها، فيما قدر أحد المصادر عددهم (٤) بين مائة ومائتي ألف نسمة، و قدرهم الحسن بن طلال (٥) ١٢٠ ألفاً. بينما وضع لهم بطريرك السريان رقم ٢٠٠ ألف في سوريا. (٦)

و من أهم منشورات كنيسة السريان الأرثوذكس مجلة (الحكمة) في القدس و (مجلة البطريركية) في دمشق، كما لهم دير كهنوتي مهم في معرة صيدنايا بالقرب من دمشق.

و الهجرة بين السريان كبيرة و قد تعاظمت منذ سبعينات القرن الماضي، خاصة إلى

١- أرلوند توبيني: تاريخ البشرية مرجع سابق ص ١٠٨

٢- مجلة المشرق- بيروت السنة الثلاثون تشرين الأول ١٩٣٢ ص ٧٨٨ مرجع سابق

٣- سمير عبده: السريان قديماً و حديثاً مرجع سابق فصل السريان المعاصرون

٤- الأب ميشيل يتيم، الأب اغناطيوس الديك: تاريخ الكنيسة الشرقية مرجع سابق ص ٢٧٩

٥- الحسن بن طلال: المسيحية في العالم العربي مرجع سابق ص ١٣١

٦- صحيفة الأنوار- بيروت ٢٠٠١/٤/٢٩ من تصريح البطريرك زكا عيواص بطريرك السريان الأرثوذكس مرجع سابق

السويد و المانيا و هولندا و كندا و الولايات المتحدة، حتى أن بلدات في منطقة الجزيرة السورية خلت من السريان مثل عاموده أو كادت أن تخلى مثل الدرباسية.

أخيرا، لم يتمكن السريان إلا في عامي ١٩١٣-١٩١٤ من إنشاء مجلس وطني يشارك في إدارة الكنيسة، إلا أن هذا التدبير الإصلاحي، و في عشية الحرب و مذابح العام ١٩١٥ لم يوضع قط موضع التنفيذ.

طائفة السريان الكاثوليك

لا يمكن التقليل من الدور الذي لعبه السريان الكاثوليك في الحفاظ على التراث السرياني وعدم اضمحلاله، و في نشر العلم بين قومهم في ظروف صعبة مرت على سوريا، و استطاع هؤلاء بفضل انفتاحهم على الغرب أن يتعلموا و يتثقفوا و يأخذوا مكانهم من المجتمع.

أما تاريخهم فهو واحد سواء للسريان الكاثوليك أو الأرثوذكس قبل انقسامهم، كما أن تدرج بطاركهم و قديسيهم هو واحد كذلك في نفس السياق.

و كانت (كثلكة) السريان قد بدأت من حلب حيث عدد السريان بها عشرة آلاف نسمة (١) في القرن السابع عشر. و قد عملت الرهبانية اليسوعية التي دخلت إلى حلب سنة ١٦٢٥ في عهد البابا أوربانوس الثامن بعهدة الأبوين الفرنسيين حنا ستيلا و غسبار منيليار على جمع كلمة الكاثوليك وإنشاء أخويات.

و تجمع المصادر على أن المطران السرياني ديونوسيوس قسطنطين و هو أسقف حلب اعتنق سنة ١٦٤٩ المذهب الكاثوليكي و هو على فراش الموت فخلفه المطران ديونوسيوس توما وكان يؤيد الكثلكة، ففتح كنيسته لوعظ الرهبان المرسلين و تبشيرهم، و كان القنصل الفرنسي فرنسوا بيكه خير مساعد لهم في مهمتهم التبشيرية.

و لكن الكثلكة في حلب استطاعت أن تجمع عدداً من الأتباع من بين السريان الغربيين، وتمكنت من الانتظام انتظاماً جيداً تحت قيادة اندراوس اخيجان، المولود في حلب عام ١٦٢٢ من والدين سريانيين أرثوذكسيين. و لما شب أضحى شماساً إنجيلياً ثم اتصل بأحد المرسلين، و هو الأب برونو

١- مجلة المشرق- بيروت السنة الثالثة ١٩٠٠ العدد ١٩ ١ تشرين الأول ص ٩١٤ الأب لويس شيخو

رئيس الكرمليين بحلب فاهتدى إلى الكثلكة، و يمم لبنان و حل في دير قنوبين عند البطريرك الماروني يوسف العاقوري. ثم انتقل إلى القاهرة فقضى فيها مدة من الزمن. ثم سافر إلى روما و درس في المدرسة المارونية سنتين، عاد بعدهما إلى القاهرة حيث بقي ثلاث سنوات و نصف. ثم ارتد إلى لبنان و أقام عند البطريرك الماروني يوحنا بواب الصفراوي. فمنحه السيامة الكهنوتية و عينه نائباً عنه في قبرص و عكار و فشغل هذه الوظيفة مدة خمس سنوات.

و كانت هناك صداقة متينة بين البطريرك شمعون و القنصل الفرنسي بيكه، فلما توفي المطران توما سنة ١٦٥٦ تمكن بيكه من حمل البطريرك على اختيار كاهن سرياني كاثوليكي ليكون مطراناً على أبرشية حلب. و وقع اختيارهما على اخيجان، فقبل الرسامة الأسقفية من البطريرك الماروني يوحنا الصفراوي في ٢٩ حزيران ١٦٥٦، و نال في ٧ تشرين الثاني ١٦٥٦ من السلطان محمد الرابع فرماناً يعترف به رئيس أساقفة أبرشية حلب السريانية. و دخل المدينة مع زميله في الدراسة المطران اسطفان الدويهي، و تسلم زمام الأبرشية في ٩ آب ١٦٥٦، و كان البطريرك شمعون قد غادر حلب قبل مجيء المطران أندراوس اخيجان بمدة قصيرة.

لم تكن لمثل هذه الأحداث أن تمر مرور الكرام دون مقاومة عنيفة، و شاهدنا على ذلك الحروب التي قامت بين البروتستانتية و الكاثوليكية حين تنشق الطائفة الواحدة. و قد آثر اخيجان الانسحاب و الهدوء على البقاء و الاضطراب فترك المدينة في ١٥ أيار ١٦٥٧ و التجأ إلى لبنان. وبعد أن هدأت الأمور بعض الشيء أقبل إليه بعد مدة وفد من كهنته ليقنعوه بالعودة إليهم فلم يقتنع، كما صعد إليه جماعة من المرسلين الكبوشيين، و ألحوا عليه في العودة إلى حلب، فغادر لبنان و رجع إلى أبرشيته و دخل كنيسته في ١٢ آذار ١٦٥٨.

و قد ثبت البابا الكسندروس السابع في ٢٨ كانون الثاني ١٦٥٩ انتخابه أسقفاً على حلب، فعقد في ربيع سنة ١٦٦٠ اجتماعاً اشترك فيه الروم و الأرمن و السريان الأرثوذكس و اعترفوا بصحة المذهب الكاثوليكي. (١)

و حين توفي البطريرك شمعون، أعلن سريان حلب الكاثوليك اندراوس بطريركاً على الكنيسة السريانية في ١٩ نيسان ١٦٦٢ فاعترف به السلطان محمد الرابع بالبراءة و بأمرهما يوني وشاهاني في ١٣آب ١٦٦٢ و منحه البابا الكسندروس السابع درع التثبيت في ٢٢ تموز ١٦٦٣، كما أسس سنة ١٦٧٠ في حلب جمعية رهبانية نسانية أثارت الكثير من الإعجاب، و توفي في ٢٨ تموز

١- الأب ميشيل يتيم، الأب اغناطيوس ديك: تاريخ الكنيسة الشرقية مرجع سابق ص ٢٧٢

١٦٧٧ بعد أن كسب البعض من طائفته في ماردين و ديار بكر من أهم معاقل السريان.

أما البطريرك الجديد فقد كان اغناطيوس بطرس شاهبدين (١٦٧٧-١٧٠٢) و هو الذي عمل رئيساً لأساقفة القدس، و كانت أبرشيته مثقلة بالديون، فقام و جاء إلى العراق ليطلب حسنات المؤمنين، و مر في طريقه بمدينة حلب، و اتصل بالبطريرك اندراوس اخيجان. و أعجب هذا به. فلما توفي اخيجان أجمع الكل على انتخابه بطريركاً، و دعوه إلى حلب، فأقبل إليها، و اشترك في حفلة تنصيبه ثمانية من الأحبار الكاثوليك من مختلف الطوائف. و رسم البطريرك ثلاثة أساقفة لأبرشيات القدس و حلب و نينوى، كما كتب رسالة ضمنها صورة معتقده و أرسلها إلى البابا في روميه.

لاقى هذا البطريرك الكثير من الاضطهادات من ضرب و نفي و سجن إلى أن توفي عام ١٧٠٢.

و بوفاته حدثت نزاعات مريرة في حلب و عجز خلفه عن ربح رضى الآخرين و انتهى في روما (١٧٠٦) حيث توفي عام ١٧٢١ و في السنوات التالية عجزت سلطات روما عن تنظيم هذه الطائفة الكاثوليكية الصغيرة أو إعطائها زعيماً مقبولاً من الجميع (١). و أقام الحبر الأعظم خلفاً للبطريرك نائباً بطريركاً. و كان النواب البطريركيون يقيمون بلبنان، و يأتون إلى حلب و دمشق من وقت إلى آخر مدة فترات قصيرة، يتفقدون فيها شؤون طائفتهم ثم يعودون إلى مقر إقامتهم. و دامت الأمور على هذه الحال حتى سنة ١٧٨٣، و فيها أقيم للسريان بطريرك كاثوليكي حمل لقب (بطريرك أنطاكية) و هو البطريرك ميخائيل جروه، المولود عام ١٧٣٦ في مدينة حلب حيث بقي في هذا المنصب من عام ١٧٨٣ إلى ١٨٠١.

و في ترجمة لحياته بعد أن رقي إلى درجة الكهنوت عام ١٧٥٧ يذكر كيف اهتدى إلى الكثلكة قائلاً:

(بعد ارتسامي قسيساً بأشهر قليلة أقامني البطريرك اليعقوبي كيوركيس (جرجس) الثاني رئيساً على كنيسة حلب لأنني كنت و قتئذ أراتيكياً محامياً عن أرطقة يدوسقوروس و محباً خصوصاً للبطريرك المذكور. غير أن إلهنا الرحوم المحب أن يُقبل الجميع إلى طريق الخلاص أنار عقلي وصيّرني أن أفهم و أذعن للحق فابتدأت حينئذ أسعى في أن يقبل الحق معي جميع شعبي و بني جنسي.. و قد تعبت جداً و غرمت أموالاً جزيلة و حصلت لي اضطهادات صعبة جداً ثماني سنوات حتى رفعت من كنيستي العوائد الأراتيكية و أدخلت بدلاً منها عوائد الكنيسة الكاثوليكية). (١)

١- مجلة المشرق- بيروت السنة الثالثة العدد ١٩ ص ٩١١ الأب لويس شيخو مرجع سابق

و في هذا الوقت كان القس ميخائيل مرتاباً في أمره يضمر في نفسه الكثلكة و هو مع ذلك لا يذعن لها تماماً و إنما يجتزى باتخاذ بعض العبادات الكاثوليكية و الاقتداء بالمرسلين اللاتين.

أولى بطاركة الروم الكاثوليك شؤون السريان الكاثوليك اهتماماً كبيراً، فالبطريرك كيرلس طاناس رسم للطائفة السريانية أربعة أساقفة، منهم نائبان بطريركيان.

و قد نشط شأن الكثلكة في حلب في أواخر القرن الثامن عشر، و ازداد عمل البعثات التبشيرية، و أخذت تجارة حلب تزدهر مع الغرب، و أخذ العلم يتسلل إلى المسيحيين. كل ذلك جعل البعض من السريان يعتنق الكثلكة في مدن حلب و ماردين و الموصل، و بينهم عدة أساقفة، و هذا ما أدى إلى إحياء البطريركية السريانية بلقب .. البطريركية الأنطاكية.

و تم عقد مجمع مقدس عام ١٧٨٢ برئاسة البطريرك السرياني الأرثوذكسي جرجس الرابع، و كان من بين المجتمعين المطران ميخائيل جروه السرياني رئيس أساقفة حلب. و كان ميالاً إلى الكثلكة يؤيدها و يدافع عنها، فأخذ يزرع في قلوب الأساقفة الملتئمين فكرة الاتحاد بالكنيسة الرومانية، و جعل يدعو الناس إليها بحماس، و نجح لدى أبناء رعيته نجاحاً كبيراً فاعتنق الكثير من سريان حلب المذهب الكاثوليكي. أما في الموصل فلم يقبل الكثلكة إلا كاهنان.

و مرض البطريرك جرجس الرابع سنة ١٧٨٢ مرضاً ثقيلاً و أشرف على الموت، فعاده بعض الأساقفة و الكهنة و الوجهاء و رجوه أن يعين من يخلفه لئلا تنقسم الطائفة على نفسها بعد وفاته. فعين المطران ميخائيل جروه خلفاً له. فانطلق ميخائيل إلى ماردين و أخذ يبشر بالمذهب الكاثوليكي فانضم إليه كهنة هذه المدينة و كثير من المؤمنين و خمسة من الأساقفة، ثم انتخب بطريركاً فأقام بماردين. (١)

أحدثت هذه الحوادث بلبلة في الكنيسة السريانية فنصب السريان الأرثوذكس آنذاك بطريركاً عليهم هو المطران متى أسقف الموصل، فحصل من السلطان بواسطة الكاهن- البطريرك الأرمني على البراءة الشاهانية. و ازدادت الاضطرابات في بلده فهرب ميخائيل جروه من ماردين إلى بغداد ومنها إلى لبنان بعد أن تسمى باغناطيوس، و استقر في هذا البلد في دير الشرفة الذي أسسه.

و بعد وفاته عام ١٨٠١ عين ميخائيل ضاهر، و هو كاهن من حلب خلفاً له (١٨٠٢-١٨١٠)، غير أن ضاهر عجز عن كسب تأييد الطائفة كلها، و استقال عام ١٨١٠، كما أن سمعان هندي زورا الذي خلفه (١٨١٠-١٨١٨) عانى من المصير نفسه، إذ لم تهدأ الصراعات الحزبية داخل

١- الأب ميشيل يتيم، الأب اغناطيوس ديك: تاريخ الكنيسة الشرقية مرجع سابق ص ٢٧٤

الكنيسة. غير أن الكنيسة انقسمت انقساماً خطيراً عندما عينت السلطات في روما نائباً بطريركياً، وتزامن ذلك مع إعلان بطرس جروه نفسه بطريركاً. و لكن مع مرور الوقت، توصل هذا الأخير على اعتراف الكرادلة.

صادف هذا البطريرك الكثير من المتاعب في الفترة التي مكث بها بطريركاً (١٨٢٩-١٨٥١)، و من الأعمال التي قام بها نقل البطريركية من دير الشرفة إلى حلب. و في عام ١٨٤٨ أقرت الحكومة العثمانية استقلالية هذه الطائفة.

و لهذا الموضوع قصة. فالباب العالي لم يكن يمنح كل طائفة حقها من الاستقلال الذاتي، بل كان يعتبر الكاهن- البطريرك الأرمني رئيساً وحيداً على كل الطوائف الكاثوليكية الشرقية، مستمراً في معالجة كل أمورها.

و كان قد اتفق في الاجتماع الذي عقده في القسطنطينية سنة ١٨٤٣ بطاركة الملكيين والسريان و الكلدان أن يستسمحوا من الباب العالي فرمانات يعترف بهم فيها بطاركة على طوائفهم. ولكن قد تضاربت الآراء في عاصمة بني عثمان فأرتأى رأى البطاركة النائب الرسولي و سفير النمسا، و لم يرقهما أن تتعلق الطوائف الكاثوليكية الشرقية كلها في أمورها المدنية بالكاهن البطريرك. أما الباب العالي و سفير فرنسا فلم يوافقا على فكرتهم بل رأيا أن إدارة الطوائف الكاثوليكية المدنية بتوسط واحد هي أسهل و اعجل من أن يتولى عليها عدة رؤساء مدنيين. و لأجل هذه الغاية عُقد في ١٢ آب سنة ١٨٤٤ اجتماع في دار البطريركية الأرمنية حضره، ما عدا الثلاثة البطاركة الأنفي الذكر، الكاهن – البطريرك، و رئيس أساقفة أرمن القسطنطينية، و سبع من وجهاء الأرمن، فحمي وطيس الجدال و دامت الجلسة أربع ساعات، ثم أجمعوا كلمتهم على النقط التالية:

أولاً- على الباب العالي أن يعترف رسمياً (من الآن فصاعداً) بالثلاثة البطاركة الكاثوليكيين المذكورين و يسلم كلاً منهم بهذا فرماناً خاصاً به، و على الكاهن- البطريرك أن يسعى لينااله لهم بالطرق التي يستخدمها بطريرك الفنار ليستحصل على فرمانات لأخوته بطاركة الإسكندرية و أنطاكية و أورشليم.

ثانياً- يمنح كل من الثلاثة البطاركة وساماً لا يختلف رتبة عن أوسمة البطاركة المنفصلين اليونانيين والأرمن المقيمين في مدينة القسطنطينية.

ثالثاً- إذا ما طلب أسقف كاثوليكي فرماناً له شخصياً يجب أن يُذكر فيه أنه أعطي له إجابة لرغبة بطريركه و عملاً بتوسط الكاهن- البطريرك الأرمني. و لا ينسب بعدُ التدخل إلى الكاهن البطريرك وحده كما كانت العادة حتى الآن.

رابعاً- على كل بطريرك من الثلاثة أن يقيم له ممثلاً عند الكاهن- البطريرك و يكون له ما لسائر أعضاء مجلسه من الانعامات.

خامسا: على كل بطريرك أن يدفع كل ما يلحق ممثله من النفقات.

سادساً- إذا ما حدث مشكل يهم كل الكاثوليكيين فلا يدفع الممثل إلا ما يلحق طائفته من النفقات.

ثم سجلوا هذه البنود في القنصلية الفرنسية في ١٥ آب سنة ١٨٤٤، و منها يبدو جلياً ما عسى أن يفضي إليه هذا الترتيب. (١)

هذا و لم تستقر الحال على ما كانت عليه بل إن البطريرك مكسيموس مظلوم بطريرك الروم الكاثوليك توصل قبل الجميع إلى أن يسمى رئيساً مدنياً مستقلاً تمام الاستقلال عن الكاهن البطريرك. وقد ساعدته الظروف على ذلك لأن الدول الأوربية، و خصوصاً روسيا، كانت تقبل بسهولة كل من يطلب اعتناق جنسيتها، فكثر الطلاب و المتجنسون بالجنسيات الغربية حتى اضطر الباب العالي في حوادث لبنان سنة ٨٤٠ أو ١٨٤٥ أن يوقف هذا التيار فأمر أن يُحصى عدد المتجنسين، ثم جزم، لأشهر قليلة خلت، أن لا يقر بعد بتلك الجنسيات و لا يعتبرها. فاغتنم الفرصة البطريرك مظلوم وأقنع الحكومة التركية بضرورة تعلق الكاثوليك الوطنيين بها توا ، و قضاء أمورهم رأساً، فنجح بعد جهود كثيرة و نال فرماناً خصيصاً به يخوله تمام الاستقلال عن الكاهن- البطريرك الأرمني. و استلم الفرمان في ٧ كانون الثاني من سنة ١٨٤٨، و كان نصه يحاكي براءة سنة ١٨٣٧ إلا أنه يعترف باستقلال الملكيين المدني النهائي. و في الوقت نفسه صدرت براءتان للبطريركين الآخرين: بطريرك السريان بطرس جروه و بطريرك الكلدان تقر أنهما رئيسين مدنيين على طائفتهما المتميزين، و تشترطان عليهما دوام تعلقهما بالكاهن البطريرك و تمثيله لهما في قضاء أمور ملتيهما. و لم يمض وقت طويل، و قبل أن يصدر الخط الهمايوني لسنة ١٨٥٦ تمتع السريان و الكلدان الكاثوليكيون بالرعاية التي منحت أولاً لمظلوم، و أصبح كيانهم مستقلاً دون تبعية لأحد.

و في ظل هذه المعركة القائمة لاستقلال طائفة السريان الكاثوليك عن شقيقتها السريان الأرثونكس كان عدد السريان الكاثوليك يزداد. و جدد البطريرك جروه و قد تمتع باستقلاله دير الشرفة و اشترى في حلب خمس بنايات. و نقل إلى هذه المدينة كل ما في الدير من أوانٍ مقدسة و ملابس كهنوتية و مخطوطات ثمينة. و انقض الأتراك عليها سنة ١٨٥٠ و أحرقوها و ضربوا البطريرك ضرباً فادحاً، فمات بعد هذه الأحداث الأليمة بمدة وجيزة، تاركاً في نفوس عارفيه الأثر الكبير، حيث

١- مجلة المشرق- بيروت ك٢ سنة ١٩٣٠ ص ٤٧ الخوري بطرس روفائيل مرجع سابق

كان عالماً كبيراً، و خطيباً مفوهاً، و كاتب بارعاً، و قد طبع عدة مقالات دينية نقل بعضها عن الإيطالية. و أدخل في الطقس الكنسي عادة التقديس مواجهة الشعب يوم خميس الأسرار، و استبدل الحساب اليولى بالغريغوري في ٢ حزيران ١٨٣٦ . (١)

بعد أن توفي البطريرك جروه لم يتم تعيين بطريرك جديداً فوراً، حيث أنه بين ١٨٥١- ١٨٥٤ بقي هذا المنصب شاغراً إلى أن تم انتخاب أنطون سمحيري (١٨٥٤- ١٨٦٤) بطريركاً بعد أن كان أسقفاً سريانياً أرثونكسياً ثم مفرياناً شديد التمسك بمعتقدات كنيسته، و لكنه في ١٧ نيسان ١٨٢٧ طلب من مطران الأرمن الكاثوليك في ماردين يواكيم طازبازيان أن يتحد بالكنيسة الكاثوليكية فتم له ذلك. و أثناء وجوده في فرنسا أضحى عراباً للأمير لويس بن نابليون الثالث. و في عهده تم نقل البطريركية مرة ثانية إلى ماردين من حلب.

و خلفه البطريك فيليبس عرقوس (١٨٦٤- ١٨٧٤) و تبعه البطريرك الشهير جرجس شلحت (١٨٧٤-١٨٩٢) و كان الذي ترك آثاراً كبيراً من أعماله حين كان أسقفاً، و في عهد بطريركيته انضم إلى طائفته ثلاثة أساقفة و ثمانية آلاف نسمة. و أسس سنة ١٨٨٤ بقرب ماردين جمعية رهبانية غايتها التبشير في القرن السريانية المجاورة.

و في عهده اشتهر المطران اقليمس يوسف داود أسقف دمشق (١٨٧٩- ١٨٩٠) و هو من اعمق من تناول اللغة السريانية من زمانه و إلى الآن و المدافع الأول عنها، و توضح بحوثه القيمة كم عظيمة هذه اللغة التي كان بارعاً في تبيان نفائسها، و قد عهد إليه بضبط كتب الصلوات القانونية في ستة مجلدات.

و تعاقب على بطريركية السريان الكاثوليك البطريرك تلو الآخر و ازداد عدد أفرادها بحيث أضحى عددهم حسب تقديرات نشرت عام ١٩٠٧ لسنجق ماردين عشرة آلاف (٢) حين كان كرسيهم البطريركي هناك ثم عاد إلى حلب فبيروت.

قلنا في البداية إن دخول السريان إلى الكثلكة حافظ بعض الشيء على اندثار التراث السرياني ((و لعل دخول بعض السريان إلى الكثلكة أعطى للسريانية قدر أكبر من الاهتمام لدى المستشرقين، فقد تعرضت السريانية أم المسيحية لنكسات أدت إلى انحسارها على ما هي عليه اليوم. وكانت أولى هذه النكسات و بعد استمرار السريانية كـ (لغة) البشارة مع العذراء و الرسل تلامذة

١- الأب ميشيل يتيم، الأب اغناطيوس ديك: تاريخ الكنيسة الشرقية مرجع سابق ص ٢٧٥

٢-مجلة المشرق- بيروت العدد ١١ ١حزيران ١٩٠٧ المونسنيور الكسندريان مرجع سابق

المسيح، ما أدى إلى دخول الثقافتين اليونانية ثم الرومانية إلى انتشار هاتين اللغتين على حساب السريانية التي كانت لغة فلسطين و سوريا و بلاد ما بين النهرين قبل المسيح بألفي عام. و بعد اجتياح اللغتين اليونانية و اللاتينية للغة السريانية و انقسام السريان ما بين معتنق للمسيحية، أي سرياني، وما بين آرامي وثني، جاء المجمع الخلقيدوني المسكوني عام ٤٥١ بعد الميلاد ليشكل الضربة الثانية، حيث جرى البحث في طبيعة المسيح، و بذلك أصر جزء من السريان و تمسكوا بأقوال قوريلوس الإسكندري القائل بكيان واحد و طبيعة واحدة للمسيح، و هؤلاء عرفوا بالسريان المونوفيزين أو اليعاقبة، بينما قال الجزء الثاني بطبيعتين للمسيح، و هؤلاء عرفوا بالسريان الملكيين الذين انشق عنهم الموارنة في القرن الثامن بعد الميلاد)). (١)

و الطقس الكنسي في الشرق جزء من التراث القومي و الثقافي لكل أمة. و هذا ما يفسر تعلق الشرقيين بطقوسهم، فهي ليست مجرد مراسيم عبادة محصورة في رجال الإكليروس، كما فهمها الغرب لفترة طويلة.. إنها تعبير جماعي للإيمان و التقوى بأسلوب إيماني و فني ينسجم مع عبقرية الأمة.

في ظل عبيق سوريا (نشأ الطقس السرياني من عوائد أنطاكية الطقسية كما طورها الفرع المونوفيزي في البطريركية الأنطاكية مع أجلاب من القدس و القسطنطينية. و بنتيجة التطور الخاص الذي طرأ على هذا الطقس عند الموارنة نشأ الطقس الموراني و كلاهما يكونان الفرع السرياني الغربي) (٢) بما فيه السريان الكاثوليك الذي يتابع ليتورجية أنطاكية اليونانية القديمة.

و يعتبر دير الشرفة من أولى المؤسسات الدينية لهذه الطائفة في لبنان منذ القرن الثامن عشر. و انتقل الكرسي البطريركي لهذه الطائفة إلى بيروت عام ١٩٣٢، كما لهذه الطائفة ثلاثة اساقفة في لبنان. و مؤسساتها القضائية شبيهة بالمؤسسات المماثلة للطوائف الكاثوليكية الأخرى. و على الصعيد التربوي لهذه الطائفة مدرسة أكليركية في دير الشرفة (كسروان) و مدرسة ثانوية في بيروت (مدرسة المتحف)، بالإضافة إلى مدرستين ابتدائية واحدة مجانية و الأخرى غير مجانية، و كل هذه المدارس تابعة للبطريركية في بيروت. و للطائفة مجلس تمثيلي و عدد من الجمعيات. كما لهذه الطائفة رهبانيتان نسائيتان: الراهبات الأفراميات و الراهبا الدومينيكيات للقديسة كاترينا.

و للسريان الكاثوليك في دمشق مأويان اثنان، و مأوى في باب شرقي تديره راهبات

١- صحيفة السفير- بيروت من مقابلة سعدى علوه مع بطريرك السريان الكاثوليك داود ٩٨/١٠/١٢

٢- الأب أغناطيوس ديك: الشرق المسيحي المكتبة البولسية – بيروت ١٩٧٥ ص ٤٧

الأخت تريزا و مأوى آخر في منطقة القصور تحت اسم (سيدة فاطمة) إلى مأوى في الدويلعة، وكنيسة يسوع العامل و كنيسة القديس يوسف البتول في جرمانا و كنيسة سيدة النجاة في قطنا، و للطائفة أبرشيات في كل من الموصل و حلب و دمشق و بغداد و حمص و حماه و الجزيرة و الفرات، وثلاث نيابات بطريركية في القدس و لبنان و مصر.

و عدد أفراد كنيسة السريان الكاثوليك ليس بموثوق، بل تقريبي. هناك من قدرهم عام ١٩٦٣ بـ ١٠٠ ألف نسمة يسكنون في العراق و سورية و لبنان و مصر، و في المهجر ما يقارب ١٥ ألف نسمة، و لها أكثر من ٥٠ مدرسة فيها حوالي تسعة آلاف طالب و طالبة. (١)

و قدر عددهم في لبنان بـ٤٠ ألف نسمة (٢) فيما ورد تعدادهم عام ١٩٣٢ بـ ٢٨٠٣ نسمة (٣)

و في سوريا كان عددهم عام ١٩٣٤ (١٢٢١١) نسمة (٤) و في حلب عام ١٩٣٥ (٥١٢٠) نسمة و عام ١٩٤٧ (٦٢٨٤) نسمة (٥). و في سوريا كذلك كان عددهم عام ١٩٤٤ (١٦٥٦٢) و عام ١٩٤٥(١٦٩١٦) و عام ١٩٤٦ (١٧٣٨٩) و عام ١٩٤٧ (١٧٦١٣) وعام (١٧٨٣٠) (٦) و ٢٠٧١٦ نسمة عام ١٩٥٦ (٧) و ٣٠ ألف نسمة عام ٢٠٠٠ بينهم ٧٠٠٠ نسمة في دمشق. (٨)

١- الأب ميشيل يتيم، الأب أغناطيوس ديك مرجع سابق ص ٢٩٧

٢- صحيفة السفير- بيروت مرجع سابق ١٩٩٨/١٠/١٢

٣- مجلة المشرق- بيروت تشرين الأول ١٩٣٢ السنة الثلاثون ص ٧٨٨ مرجع سابق

٤- عبد العزيز العظمة مرجع سابق ص ٢٤

٥- مجلة المشرق- بيروت السنة الثامنة عشرة العدد ٣ آذار ١٩٢ ص ٢٤٠ مرجع سابق

٦- المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٤٩ مرجع سابق

٧- = = ١٩٥٦ = = = =

٨- صحيفة الأنوار- بيروت ٢٠٠١/٤/٢٩ مرجع سابق من تصريح المطران عبده منير مطران السريان الكاثوليك في دمشق.



طائفة الكلدان

تعد الأمة الكلدانية من أقدم أمم الأرض، تدل على ذلك العاديات التي وجدت فيها منذ أمد قريب. و كذلك دعاها أرميا النبي (٥ : ١٥) (امة قوية قديمة). أما اشتقاق اسم الكلدان فقد اختلف فيه العلماء، و قال البعض عن سبب التسمية هو من أجل أصلهم و أرضهم و هي العراق المعروف بديار الكلدان لدى القدماء.

و الكلدانيون أمة قديمة الرئاسة نبيهة الملوك، كان منهم النماردة الجبابرة الذين كان أولهم نمرود بن كوش من بني حام باني المجدل (البرج).. و كان من ولد نمرود بختنصر الذي غزا بني اسرائيل و قتل منهم خلقاً عظيماً و سبى بقيتهم و غزا مصر و افتتحها و دوخ كثيراً من البلاد و لم يزل ملك الكلدانيين ببابل إلى أن ظهر عليهم الفرس و غلبوهم على مملكتهم و أبادوا كثيراً منهم فدرست أخبارهم و طمست أثارهم. و كانت من الكلدانيين حكماء متوسعون في فنون المعارف من المهن التعليمية و العلوم الرياضية و الإلهية. و كانت لهم عناية بأرصاد الكواكب و تحقيق تعلم أسرار الفلك ومعرفة مشهورة بطبائع النجوم و أحكامها.. و لم يصل إلينا من مذاهب الكلدانيين في حركات الكواكب و لا من أرصادهم غير الأرصاد التي نقلها عنها بطليموس القلوذي في كتاب المجسطي فإنه اضطر إليها في تصحيح حركات الكواكب المتحيرة إذ لم يجد لأصحاب اليونانيين أرصاداً يثق بها. (١)

و يعود التاريخ المسيحي للكلدان إلى نفس التاريخ و التطور للطائفة الأشورية، و لكن منذ عام ١٢٤٧ بدأت المحاولات لكثلكة الطائفة النسطورية، و يذكر بطريركهم بر يشوع بن المسيحي (١٢٢٦-١٢٥٦). و اصطدمت هذه المحاولات بكثير من المعارضة، إلى أن اتحد طيثماوس أسقف جزيرة قبرص سنة ١٤٤٥ مع الكرسي الرسولي فقبله البابا أوجانيوس الرابع مع شعبه في حظيرة الكنيسة الكاثوليكية. و بأمر هذا البابا دُعي المرتدون من النسطورية كلداناً و عرفت كنيستهم بالكلدانية. ثم إنه بعد وفاة هذا الأسقف تتبع شعبه الطقس اللاتيني مع أن الكرسي الرسولي كان قد أذن لهم أن يبقوا على طقسهم.

١- مجلة المشرق- بيروت السنة الثانية العدد ٣ ١ شباط ١٨٩٩ ص ٩٨ القس قرياقوس مخنوق

و قد ساعد انضواء الطائفة الكلدانية إلى الكنيسة الكاثوليكية دخول الرهبان الدومينيكيين والفرنسيين في أرض الأشوريين.

كان الربان سولاقا (الصعود) راهباً في دير هرمز بقرب القوش و جرى إرساله بتوصية إلى روما عند يوليوس الثالث ليرسمه بطريركاً على أفراد طائفته و رافقه سبعون رجلاً من مقدمي الملة حتى القدس. و حين دخل سولاقا مدينة روما في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٥٥٢ تلقاه يوليوس الثالث و كرادلته بما لا مزيد عليه من الحفاة و السرور. و بقي سولاقا في عاصمة الكثلكة نحو ستة أشهر يزور أماكنها المقدسة، و في ٢٠ نيسان عام ١٥٥٣ أمر البابا فقلده الكرادلة درجة المطرنة، وفي ٢٨ منه رقاه الأب الأقدس إلى الدرجة البطريركية في كنيسة مار بطرس، و سماه يوحنا و سلمه بيده درع الرئاسة (الباليوم) المقدس و سلطة على كل الطائفة الكلدانية الخاضعة يومئذ لجاثليق النساطرة وأرسله إلى الشرق. (١) و من هذا التاريخ أصبح هناك (الكنيسة الكلدانية) أو (كنيسة المشرق).

أبقى أثر ذلك من تطورات على هذه الكنيسة لدى الفئات الأخرى، و وصل الأمر إلى إلقاء القبض على هذا البطريرك بعد عودته من قبل حاكم العمادية، و بقي فيه مدة أربعة أشهر إلى أن شنقه الحراس بحبل بأمر مولاهم و القوا بجثته بالنهر و أشاعوا أنه فر هارباً ليلاً و هم نيام، و كان ذلك عام ١٥٥٥.

و انتخب الكلدان الكاثوليك مار عبد يشوع مطران الجزيرة بطريركاً عليهم و هو يلقب بعبد يشوع الجزري لتمييزه من عبد يشوع مطران نصيبين و حظي بمقابلة البابا بيوس الرابع عام ١٥٦٢.

و ما انفكت المحاولات قائمة بين النساطرة فيمن يجتذبهم إلى الكلدانية الكاثوليكية، و بقيت هذه المحاولات قائمة حتى بين رجال الدين النساطرة مثل البطريرك إيليا الخامس و إيليا السادس وإيليا العاشر.

و لا يعتبر أحد رجال الدين (٢) انقسام رئاسة كنيسة المشرق الأعلى عهد البطريرك يوحنا سولاقا سنة ١٥٥١ عندما انتخب و اعترفت به كنيسة روما كبطريرك شرعي للعائدين من الكنيسة النسطورية إلى الكنيسة الكاثوليكية، فصار أول بطريرك للكنيسة الكلدانية الكاثوليكية، يقابله بطريرك آخر للكنيسة النسطورية (الأشورية).

و بناء عليه يمكن تحديد عدد بطاركة كنيسة المشرق (إذا أخذنا برأي مؤرخي الكلدان)

١- مجلة المسرة- حريصا أب- ك١ السنة ٧٥ /١٩٨٩ ص ٢٩٤ المونسنيور لويس الديراني

٢- = = = المونسنيور لويس الديراني مرجع سابق ص ٢٩٥

منذ تأسيسها و حتى نهاية القرن العشرين بمائة و عشرة بطاركة إذا استثنينا بطرس الرسول، فيكون توما الرسول المؤسس و البطريرك الأول و مار روفائيل الأول بيداود البطريرك العاشر بعد المئة. فيما يذكر مؤرخون من غير هذه الطائفة أن أول بطريرك لها عين عام ٤٢٨ م.

و من الملاحظ أن هذا الكلام يقودنا إلى أن بداية البطاركة كانت تجمع بين السريان والأشوريون – الكلدان ثم انقسمت بفعل (النسطورية) و (اليعقوبية).

في عام ١٨٩٥ أوفد بطريرك الكلدان الخور أسقف يوسف طويل إلى لبنان و عينه نائباً بطريركيا، فألف أول رعية كلدانية في لبنان من الناجين من المذابح العثمانية و غيرهم قبل الحرب العالمية الأولى و بعدها. و في سنة ١٩٣٠ شيدت أول كنيسة كلدانية في بيروت، و في عام ١٩٥٧ شكلت أول أبرشية كلدانية، حيث هناك (رابطة الشبيبة الكلدانية) التي تصدر مجلة بابل.

و التواجد الأصلي للكلدان هو العراق حيث برز الكثير من نوابغهم و تشكل كنيستهم مركز الثقل الأول بين الطوائف المسيحية في هذه البلاد بدليل أن لها (١٨ أبرشية و ٦ نيابات بطريركية: تسع أبرشيات في العراق، و ثلاث في إيران، و أبرشية حلب و الجزيرة في سوريا،و أبرشية بيروت في لبنان، و أبرشية القاهرة في مصر، و أبرشية ديترويت في الولايات المتحدة. أما الست نيابات فهي في أوربا و استراليا و كندا. كما أن لها معهداً أكليركيا مشتركاً مع السريان الكاثوليك في بغداد، ولها الرهبانية الأنطونية للرجال و رهبانيتان نسائيتان). (١)

و إذا كان الأشوريون هم فقراء (كنيسة المشرق) القديمة الموحدة قبل الانشقاقات، فإن ذلك دفعهم إلى التمسك بقوميتهم أكثر من كنيستهم على خلاف الكلدان الذين رأوا في كنيستهم نهاية المطاف. (و من خلال رجال الكنيسة الكلدانية الذين لا يترددون في إنكار انتمائهم القومي الأشوري، كما يتمثل عامل آخر في الكنيسة الكلدانية نفسها و خلافاتها التاريخية مع كنيسة المشرق المعروفة بالنسطورية والتي سميت لاحقاً في السبعينات بكنيسة المشرق الأشورية. فبعد إضافة الصفة الأشورية إلى هذه الكنيسة غير الكاثوليكية، أخذت الكنيسة الكاثوليكية في العراق تتمسك بالصفة الكلدانية و تزيد عليها أبعاداً تاريخية تتجاوز حدودها الطائفية و تبعدها أكثر فأكثر عن جذورها الأشورية. (٢)

و التضارب في عدد الكلدان يبدو مضطرباً منذ أمد بعيد، فحسب أحد المصادر (٣) بلغ

١- سعد سعدى: معجم الشرق الأوسط ص ٣٤٩ مرجع سابق

٢- صحيفة الحياة- لندن ٢٠٠٠/٨/٣٠ مرجع سابق

٣- مجلة المشرق- بيروت السنة الثالثة العدد ١٨، ١٥ أيلول ١٩٠٠ ص ٨٩٠ القس أدى صليبا و القس بطرس نصري مرجع سابق

عدد الكلدان الكاثوليك الخاضعين لبطاركة بابل ثمانين ألفاً في نهاية القرن التاسع عشر، منهم خمسين ألفا دخلوا حظيرة هذه الكنيسة عام ١٨٩٨.

فيما يذكر مصدر آخر (١) أن أبناء الكنيسة الكلدانية وصلوا عام ١٩٨٩ إلى قرابة المليون نسمة (باستثناء الهند) موزعين على ثماني عشرة أبرشية، و ست نيابات بطريركية، و ست نيابات بطريركية. و يقيم نصفهم في العراق، و الباقون منتشرون في ايران و سوريا و لبنان و مصر و تركيا و الولايات المتحدة الأمريكية، و أوربا و استراليا و كندا و روسيا.

أما عدد الكلدان في سوريا الطبيعية عام ١٩١١ حسب تقرير وزارة الخارجية البريطانية فقد كان ١٧٨٠٠ نسمة (٢) و في عام ١٩٣٢ كان في لبنان (٥٤٨) كلداني (٣) و عام ١٩٣٤ بحدود سوريا الحالية كان ٣٠٤٩ نسمة (٤) و بين أعوام ١٩٤٤-١٩٤٨ كان (٤٧٦٥)، (٤٩٣٨)، (٤٩٩١)، (٥٠٢٢) (٥). و في حلب عام ١٩٣٥ (١٨٥٢) (٦) و عام ١٩٥٦ كان عددهم في سوريا (٥٧٢٣) نسمة (٧). و في العهد القريب قدرهم أحد المصادر ٢٤٢ ألفاً في العراق (٨) و يذكر مصدر آخر عددهم بربع مليون، أغلبيتهم العظمى في العراق. (٩)

و يبلغ عدد الكلدان في لبنان عام ١٩٨٩ عشرة آلاف نسمة، يقيم معظمهم في بيروت والضواحي. و هناك رعية في زحلة و طرابلس. و قد حصل ٧٥ % من أبناء الطائفة على الجنسية اللبنانية. (١٠)

١- مجلة المسرة- حريصا المونسنيور لويس الديراني ص ٢٩٥ مرجع سابق

2- F.O. Correspondence Realating ibid

٣- مجلة المشرق- بيروت السنة ٣٠ تشرين الأول ١٩٣٢ ص ٧٨٨ مرجع سابق

٤- عبد العزيز العظمة مرجع سابق

٥- المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٤٩ مرجع سابق

٦- مجلة المشرق- بيروت السنة الحادية و الأربعون نيسان- حزيران ١٩٤٧ ص ٢٥٥

٧- المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٥٦ مرجع سابق

8- MECC Documentation

٩- الحسن بن طلال: المسيحية في العالم العربي مرجع سابق ص ١٣١

١٠- مجلة المشرق- بيروت ص ٢٩٦ المونسنيور لويس الديراني

طائفة اللاتين

رغم صغر عدد أفراد الطائفة اللاتينية في سوريا الطبيعية فإن فعاليتها كبيرة جداً و غنية بمهامها. و يعود النشاط الذي مارسه المرسلون الكاثوليك في سوريا الطبيعية إلى زمن الصليبين، بعد أن اقتنع الصليبيون أن استعمال العنف ضد المسلمين لاستمالتهم و كسب صداقتهم لا يجدي أخذوا يفكرون بأساليب سلمية انجع. ففي سنة ١١٥٤ أسس راهب رهبانية في جبل الكرمل عرفت فيما بعد بالرهبانية الكرملية، و حظيت عام ١٢٢٦ بموافقة البابا و انتشرت في الغرب، و أنشأت لها في الشرق مركزين أحدهما في دمشق و الآخر في طرابلس.

و عملت الكنيسة اللاتينية منذ القرن الثاني عشر على توثيق علاقتها بالسريان و ضمان ولائهم. و في سنة ١١٨٦ (ارتحل البطريرك ميخائيل الكبير إلى أنطاكية * (١) بدعوة من بطريركها اللاتيني فخرج إلى ملاقاته ألوف من الأهالي يتقدمهم أركان الحكومة و رؤساء الدين و واكبوه باحتفال عظيم إلى كنيسة القيسان، كبرى كنائس العاصمة، و أجلسوه هناك على كرسي مار بطرس). (٢) ثم توجه ميخائيل الكبير إلى عكا و أطلع حاكمها بغدون على رسالة وجهها إليه البابا اسكندر الثالث، فابتهج الملك و بالغ في تكريم البطريرك و دفع إليه كتاب توصية إلى نائبه في أورشليم.

و قد نزل تلامذة القديس فرنسيس الأسيسي في عكا سنة ١٢١٩ و هي السنة التي زار فيها مدينة القاهرة و بدأ عمله التبشيري هناك. و يعد سنة ١٣٢٨ أصبح الفرنسيسكان سدنة كنيسة القيامة في القدس و كنيسة المهد في بيت لحم. و أسس الكبوشيون مراكز لهم في لبنان سنة ١٦٢٧ و قد وجدوا في الأمير الدرزي المنفتح الأمير فخري الدين المعني شفيعاً يرعاهم بعطفه، و يزعمون أن الأمير تعمد

---

* الأصح أن البطريرك ميخائيل الكبير غادر أنطاكية، فكما يورد ر.س. سميل نقلا عن ميخائيل السوري (ترك ميخائيل بطريرك أنطاكية السرياني فيما بين العامين ١١٦٦ و ١١٩٩ تسجيلاً لذلك الاستقبال الحار الذي تلقاه فيه بطريرك بيت المقدس و أنطاكية اللاتيني و الملك بدوين الرابع في عكا في العام ١١٧٩).(١)

١- ر.س. سميل: فن الحرب عند الصليبيين ترجمة محمد وليد الجلاد دمشق- دار طلاس ١٩٨٥ ص ٩٢

٢- فيليب دي طرازي: أصدق ما كان في تاريخ لبنان- بيروت ج٢ ص ٦٦

نصرانياً على يد طبيبه الكبوشي. و إذا كان هناك من شك في صحة اعتناقه المسيحية فليس هناك أدنى شك في اعتناق خلفائه الشهابيين لها و لا سيما الأمير بشير الشهابي.

و وصل الرهبان الكبوشيون إلى بلاد المشرق، و إلى مدينة حلب بالذات، ابتداء من السنة ١٥٢٣ و ذلك قبل نظام الامتيازات المعقود في السنوات ١٥٦٩-١٦٠٤ و ١٧٤٠ بين فرنسا والأمبراطورية العثمانية (الباب العالي)، مع العلم أن هذا النظام لا يتعلق بالمسيحيين الشرقيين بل بالجاليات الأوربية وحدها. و يقول الأب سليم رزق الله الكبوشي في انطلاقة الكبوشيين: فرق خفيفة نقالة انتشرت بسرعة في كل السلطنة العثمانية، في القرن السابع عشر: قبرص (لارنكا و نيقوسيا)، مصر (القاهرة و محاولة فاشلة لدخول الحبشة)، لبنان (صيدا، بيروت، حصرون، طرابلس، عبيه، غزير)، سوريا (دمشق، حلب) العراق(بغداد، الموصل) ايران (أصفهان، محاولة فاشلة في إريفان) الهند (مدراس) ... المميزة الخاصة بالمرسلين أنهم أتوا بهدف و ضمن خطة، كانوا سباقين لما نسميه اليوم الحركة المسكونية، لكن على نطاق أوسع و بجراة أكثر. (١)

و الرهبان الكبوشيون إرسالية تبشيرية مع كثير غيرها مما أتى إلى الشرق الأوسط و هم المعبر للاتين، و غير هذه الإرسالية كان اليسوعيون و الفرنسيسكان و الدومينيكان و الرهبانية الكرملية. و قد حققت الإرساليات الكاثوليكية من أعمال و منجزات في فترة قرنين من وجودها في الشرق، حتى نهاية العقد الثالث من القرن التاسع عشر، أمور مهمة تعد مفصلاً أساسياً في تاريخ الشرق السياسي و الديني. و قد قضت مهمة الإرساليات الكاثوليكية بإعادة ربط الكنائس الشرقية بالكنيسة الرومانية من خلال إصلاحها و تجديدها.

و في القرن التاسع عشر ذكر الفرنسيسكان بأن لهم بين صور و حلب أحد عشر ديراً و سبع أبرشيات.

أما الجزويت (اليسوعيون) الذين كان مقيضاً لهم أن يكونوا الأداة الفعالة في نشر الثقافة الأفرنسية فقد ظهروا على المسرح في وقت متأخر، و وجدوا في الطائفة المارونية في لبنان خير معين لهم على أداء رسالتهم الثقافية. ففي سنة ١٧٤٣ أنشأوا بالتعاون مع كاهن ماروني كان قد درس في الكلية المارونية في روما، أول معهد تربوي على النمط الغربي في بلدة عينطورة هو الأول من نوعه في بلدان الهلال الخصيب. و تلا ذلك إنشاء كلية لاهوت في بلدة غزير، التي انتقلت فيما بعد إلى

١- الأب سليم رزق الله الكبوشي: الكنيسة اللاتينية في لبنان منشورات مركز الأبحاث و الدراسات المسيحية في الشرق- بيروت ص ٦٩ فصل: الكنيسة اللاتينية في لبنان.

بيروت، و كانت النواة لإنشاء جامعة القديس يوسف الشهيرة. و في سنة ١٧٧٤، عندما حل البابا الرهبانيات اليسوعيات، استمر العمل التربوي بأشراف الرهبانيات العازرية. غير أن اليسوعيين عادوا إلى العلم و بنشاط متزايد في عهد الأمير بشير الثاني و إبراهيم باشا المصري. (١)

و قد كانت الإرساليات الكاثوليكية إلى الشرق الأدنى في بداية الربع الثاني من القرن السابع عشر تعمل في أرض خصبة، حيث كانت أرض الشرق معروفة بعض الشيء لدى المسيحيين الغربيين، حتى لو أن تلك المعرفة كان يشوبها الغموض. و قد عرف المرسلون أرض الشرق عبر بعض تقارير مؤرخي الصليبيين و أخبارهم. فالعلاقات بين البلدان الأوربية و مدن بلاد الشرق عادت لتقوى مع القرن السادس عشر حيث حلت جالية فرنسية كبيرة في حلب. و قد تبعتها إلى المدينة نفسها جاليات ايطالية (١٥٤٨) و إنكليزية (١٥٨٣) و هولندية (١٦١٣)، فازدهرت العلاقات بين الأوربيين و المسيحيين الشرقيين من الموارنة و غيرهم. و مفهوم الإرسالية التي انطلقت في القرن السابع عشر تأسس على معطيات الإصلاح المضاد الذي أفرزه المجمع التريدنتي في منتصف القرن السادس عشر الذي أعلى من شأن مسؤولية البابا الراعوية الشاملة و الكونية تجاه غير المؤمنين والمسيحيين غير الكاثوليك، و اليهود و الوثنيين، و لأن التبشير أصبح وسيلة مميزة للإقناع. (٢)

و اهتمت الرهبانيات الكاثوليكية القادمة إلى الشرق الأدنى، عدا عن مهمتها التبشيرية، في التعليم و التثقيف، فأسست المدارس و المعاهد الكثيرة. و تنبه اليسوعيون إلى موضوع تعليم البنات فاستقدموا (راهبات القديس يوسف الظهور) (١٨٤٦) ثم (راهبات الناصرة) لهذه الغاية، ثم عملوا على إنشاء رهبانية لبنانية نسائية، ذات توجه تعليمي تربوي فجمعوا بين جمعيتي (المريمات) و (بنات قلب يسوع) فكان من ذلك جمعية (راهبات قلبي يسوع و مريم الأقدسين) التي ازدهرت وتنامت سريعاً. و اهتم اليسوعيون، بالعلمانيين فأسسوا الأخويات و الجمعيات المسيحية ذات الطابع التقوى. (٣)

و مع أن الغرب ساهم في تنظيم الكنائس الشرقية الكاثوليكية و رفع مستواها الروحي والثقافي، إلا أنه لم يتفهم كيانها الخاص في الكثلكة و رسالتها في العالم المسيحي، فأنشئت في المناطق

١- فيليب حتي: خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى مجلدان المجلد الثاني ص ١٨٤ مرجع سابق

٢- مجموعة مؤلفين: المسيحية عبر تاريخها في المشرق مرجع سابق ص ٦٩٠ الأب سليم دكاش

٣- = = = = = = = = الأب سليم دكاش مرجع سابق ص ٦٩٧

الشرقية أبرشيات لاتينية، و حاول المرسلون جذب الشرقيين إلى الطقس اللاتيني و بات اعتقاد الكثيرين أنهم ما لم يعتنقوا الطقس اللاتيني، سيبقون في هامش الكثلكة و أن جذور الانشقاق ناشبة فيهم. و منذ عام ١٧٤٣ حين ندد البابا بندكتوس الرابع عشر بانتقال الملكيين إلى الطقس اللاتيني بتشجيع من فرنسيسكان دمشق و إلى نهاية القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين كانت هذه المراسيم لا تطبق.

و بتعاظم وجود الإرساليات الكاثوليكية في سوريا الطبيعية في القرن التاسع عشر لا سيما في عصر كانت فيه كنيسة روما تفرض على الذين اتحدوا معها رقابة متضاعفة بصرامتها، جاء إنشاء بطريركية لاتينية في القدس عام ١٨٤٧ في عهد البابا بيوس التاسع ليتوج الغطرسة اللاتينية. وجاءت الرسالة البابوية (كرامة الشرقيين) المعلنة في ٦ كانون الأول ١٨٩٤ تفرض على المرسلين اللاتين احترام الطقوس الشرقية بعد أن تفاقمت حرب (اللبتنة) بين الكنائس الكاثوليكية الشرقية وكنيسة اللاتين في قضم رعايا الأولين للثانية، و لم يكن تطبيق ذلك سهلاً .

لقد سعت الكنيسة اللاتينية إلى (قضم) أفراد الطوائف الأخرى لها، و يمكن أن نذكر شهادات الكثير من الأفراد و العائلات تحولهم إلى اللاتينية (و من هؤلاء- على سبيل المثال- إقدام المحامي فتح الله صقال عام ١٨٨٥ منشئ مشاريع ((الكلمة)) و المتعهد بأمورها في حلب، فقد كان من الطائفة المارونية ثم تحول إلى الطائفة اللاتينية). (١) و قس على ذلك.

إن دخول الكاثوليك إلى فلسطين و شرقي الأردن كبح من جماح تحول الأرثوذكس إلى اللاتين، و قد أدرك أولئك ذلك فساعدوا الكاثوليك في مهمتهم بتوفير ما يلزمهم.

و تبدو حركة التحولات الكاثوليكية بأشدها في شرقي الأردن، حيث كان يسكن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر زهاء ٢٠٠٠٠ مسيحي معظمهم من الأرثوذكس و كان الكرسي البطريركي الأورشليمي اليوناني قد أهمل العناية بهم فأضحوا رعية لا راعي لها. فلجأ البعض إلى البطريركية اللاتينية في القدس، فأنجدتهم بواسطة مرسليها و أنشأت لهم الإرساليات الكبيرة و الكنائس الفخمة و فتحت المدارس و استدعت راهبات الوردية. لكنهم كانوا مع ذلك يحنون إلى طقسهم الشرقي الذي نشأوا عليه و حفظوا صلواته و شغفوا بجلال احتفالاته، و ينظرون إلى الإرساليات اللاتينية بخوف و ارتياب، و يحذرون الانضمام إليها محافظة منهم على طقسهم و دينهم و اعتقاداً

١- مجلة المشرق- بيروت السنة الرابعة و الخمسون ك٢- شباط ١٩٦٠ ص ١٣

أن من ترك طقسه تخلى عن دينه. (١) فكانوا يميلون إلى الروم الكاثوليك الذين يجمعهم و إياهم الطقس الواحد، لاسيما أن اللاتين كانوا يجذبونهم إليهم بالمال و أمور أخرى. (٢)

و قد اعتبرت الكنيسة اللاتينية الكنيسة الأولى و الأقدم للكاثوليكية في سوريا و شكلت المركز الأساسي للإرساليات الكاثوليكية. و لكن عام ١٨٤٧ يعتبر تاريخ تعريبها لتصبح عربية التوجه. و قد بقي الأمر في باب التمني بعد أن تكاثر أفراد هذه الكنيسة من العرب، و كان عام ١٩٨٩ أن عين أول بطريريك شرقي لها هو البطريرك ميشيل صباح.

و بين أعوام ١٧٦٢ و ١٩٥٤ عين في سوريا نائب رسولي و تعادل درجته درجة السفير البابوي و مقره حلب، و لكن كان يتخذ من (عينطوره) في لبنان مقر إقامة غير رسمي. (٣)

و كان هناك نيابة رسولية في لبنان عام ١٩٥٤ يمثلها السفير البابوي إلى أن استلم المطران فونا بانتور عقيقي بين ١٩٦٧- ١٩٧٣ النيابة الرسولية بدرجة مطران. و بين أعوام ١٩٤٥-١٩٥٦ كان هناك الأب لودفيك ليكسه و هو سوري أدار النيابة الرسولية في حلب بدون درجة مطران، فيما عين بين ١٩٥٦- ١٩٧٣ المطران انستاش سميث، أما من عام ١٩٧٣ فكان بول نسيم و هو بدرجة مطران. (٤)

و لا تتبع هذه الأبرشيات بطريركية القدس، بل إن بطريرك هذه المدينة يرأس الجلسات حين تجتمع كنائس الشرق الأوسط باعتباره أكبر الموجودين رتبة دينية.

امتازت الطائفة اللاتينية على قلة عددها في لبنان بمؤسستين هامتين ساعدتها على مهماتها هما الرهبنات و المؤسسات التربوية. فالأولى تضم اثنتي عشرة رهبنة للرجال هي الكبوشيين، الكرمليين، الدومينكيان، الفرنسيسكان، العازاريون، السالزيان، البندكتان، الآباء البيض والردمبتوريست. كما أن هناك ثلاثة و ثلاثين رهبنة نسائية نذكر بعضها: راهبات المحبة العازاريات، الأغسطنيات، راهبات الناصرة الصغيرات و غيرها من الأسماء. و قد أتت الرهبنيات اللاتينية للرجال خاصة منذ ما بعد الحرب الصليبية و تكاثرت بشكل خاص بعد القرن السابع عشر و بشكل أخص في القرن التاسع عشر.

---

١ مجلة المسرة- حريصا السنة ٧ /١٩٢١ ص ٤٦١ –٤٦٣ الارشمندريت ميشيل عساف مرجع سابق

٢- دليل المسرة لعام ١٩٤٧ مطبعة القديس بولس- حريصا ١٩٤٧ ص ٩١

٣- سمير عبده: المسيحيون في سوريا خلال ألفي عام مرجع سابق ص ٨١

4- Annuaire 1986, vicariat apostolique Latin. Alep- Syrie 10-11

هذه الرهبنات و المؤسسات التربوية عملت جنباً إلى جنب مع الكنيسة البروتستانتية في اجتذاب الأفراد لها، في إيمانها و تثقيفها و تربيتها حيث كان لهذه الطائفة جهاز واسع من المدارس، بالإضافة إلى جامعة القديس يوسف للآباء اليسوعيين. و بدأ إنشاء المدارس منذ توافد الإرساليات الكاثوليكية على لبنان، و أقدمهامدرسة عينطورة التي أنشئت في القرن الثامن عشر، فاستلمها اليسوعيون ثم العازاريون في القرن التاسع عشر و كان من تلميذاتها الأديبة مي زيادة، و قد خرجت أجيالاً من عمالقة الفكر و الأدب و السياسة.

و شهدت هذه المؤسسات التربوية للطائفة اللاتينية في لبنان ذروة نموها في مطلع عهد الانتداب الفرنسي على لبنان حيث لها بين ١٩١٨- ١٩٢٠ للرهبان اليسوعيين ٦٢ مدرسة، و للرهبان الكبوشيين ٢٠ مدرسة و ٤ لراهبات العائلة المقدسة، و واحدة لراهبات الراعي الصالح. أما الرهبان العازاريين فكان لهم ٥٣ مدرسة و لراهبات العازارية ٣٤ و للأخوة المريميين ٦، و أخوة المدارس المسيحية ٤، و لرهبان الفرنسيسكان واحدة، و راهبات البيزنسون ٣، و واحدة لراهبات الزيارة، وواحدة لجمعية القديس منصور. كما كان لراهبات القلب المقدس ٢٤، و راهبات القديس يوسف ٥، و راهبات الناصر ٣، و واحدة لراهبات الفرنسيسكان. و يشكل مجموع هذه المدارس ٢٢٣ مدرسة. (١)

أما في عام ١٩٧٧- ١٩٧٨ فقد كان هناك ٦٢ مؤسسة تعليمية مجانية و ٨٥ مؤسسة تعليمية غير مجانية و عدد المؤسسات الجامعية واحدة هي جامعة القديس يوسف، أي أن مجموع هذه المؤسسات كان ١٤٨ مؤسسة.

و تصدر هذه الطائفة من لبنان (النشرة الرعائية) عن الرهبانية الكبوشية في بيروت، ونشرة (أنظار) التي تصدرها المطرانية اللاتينية، و نشرة (شعاع الشرق) التي تصدرها راهبات المحبة (العازاريات).

و كان لإنشاء المطبعة الكاثوليكية التي أنشأها في بيروت عام ١٨٤٨ الآباء اليسوعيون الأثر الواضح في نشر أمهات الكتب العربية و القواميس و كتب فلسفية و دينية مما لا يمكن تجاهل قيمتها العلمية الكبيرة في العالم العربي.

و قد صدرت عنها مجلة (المشرق) عام ١٨٩٨ كل أسبوعين مرة و من ثم أصبحت شهرية و غدت الآن تصدر كل ستة أشهر مرة. و كان قد أصدرها الأب لويس شيخو اليسوعي ثم تابعها الاب

1- A.E.E. Levant C Syrie- Liban) – No 104 P187

هنري لامنس اليسوعي. و هذه المجلة التي أتيح لكاتب هذه السطور أن يمسح كل أعدادها تعد من أهم المجلات المسيحية العربية، حاوية، إضافة إلى الأبحاث الدينية، الأدب و العلوم و الثقافة.

و في المجال الاجتماعي تدير الرهبانيات اللاتينية الكثير من المؤسسات مثل بيوت الشباب والشابات و غيرها مثل بعض نوادي الشباب كنادي الشبيبة الكاثوليكية في بيروت و طرابلس، و نادي الصداقة و نادي نيومان لطلاب الجامعة الأمريكية في بيروت. كما تدير رهبانيات الطائفة اللاتينية مستشفى أوتيل ديو الذي تشرف عليه الرهبنة اليسوعية عبر جامعة القديس يوسف، كما تدير راهبات القلبين الأقدسين مستشفى القديس شارل في الحازمية، و راهبات المحبة مستشفيي قلب يسوع في الحازمية و بحنس، كما تدير راهبات الراعي الصالح مستشفى على اسمهم في الدكوانة و تدير راهبات الصليب مستشفى دير الصليب للأمراض العقلية في جل الديب و مستشفى دير القمر في الشوف.

و لكنيسة اللاتين ١١ أبرشية و خمسة مطارنة أو بدرجتهم، يتركز أتباعها في سوريا ولبنان و فلسطين و الأردن و قبرص.

و يعتبر دير الكنيسة اللاتينية في باب توما- دمشق من أقدم الأديرة القائمة و الذي يعود إلى القرن الثالث عشر، مع أربعة أديرة أخرى في دمشق و كنيسة حنانيا و في الطبالة (لـ ميموريال القديس بولس) و للطائفة أبرشية واحدة و مطران واحد لكل سوريا و مركزها حلب.

يبلغ عدد أفراد طائفة اللاتين في سوريا ثلاثة آلاف عائلة من بينها ٤٥٠ عائلة في دمشق (١) بينما كان عددهم عام ١٩١١ في سوريا الطبيعية ١٠٣٠٠ نسمة، و في عام ١٩٣٤ و ضمن الدولة السورية كان عددهم ٣٩٢٩ نسمة (٢) و في حلب عام ١٩٣٥ (١٨٢٣) (٣) و عام ١٩٤٧ (٢٢٥٣) نسمة.

و في حلب عام ١٩٣٥ (١٨٢٣) و عام ١٩٤٧ (٢٢٥٣) نسمة. (٤)

و بين أعوام ١٩٤٤ إلى ١٩٤٨ كان عدد أفراد الطائفة اللاتينية في سوريا على التوالي (٦٠٨٣)، (٦٠٦٣)، (٦١٥٠)، (٦١٢٥)، (٦٣٢٣). (٥)

فيما كان عددهم في منتصف تسعينات القرن العشرين في مناطق الحكم الذاتي الفلسطيني والقدس (١٥١٦٨) نسمة يمثلون ٣٠,٥ في المئة من عدد المسيحيين في تلك المنطقة. (٦)

١- صحيفة الانوار- بيروت ٢٠٠١/٤/٢٩ ص ٦و٧ مرجع سابق

2- Great Britain. F.O. Correspondence ... Ibid

٣- عبد العزيز العظمة مرجع سابق ص ٣٤

٤- مجلة المشرق- بيروت السنة ٤١/ ١٩٤٧ نيسان – حزيران ص ٢٥٥ الأب فردينان توتل اليسوعي.

٥- المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٤٩ مرجع سابق

٦- صحيفة النهار- بيروت ٢٠٠١/١٢/١٥ ص ١٣ مرجع سابق



طـائفـة الموارنـة

تعد طائفة الموارنـة في لبنان من أكبر الطوائف المسيحية عدداً و عدة، ينتخب رئيس الجمهورية من أفرادها، و لها جاليات كبيرة في معظم الأمريكيتين خرج منها رؤساء دول و نواب وحكام ولايات. و لهذا كان لهذه الطائفة دور في وضع لبنان ككيان مستقل مع ما كان للبطريرك من دور ديني و سياسي سنأتي على ذكره في سياق هذا الفصل.

و يرجع اسم الكنيسة المارونية إلى القديس مارون * الناسك (٤١٠) في منطقة قورش وإلى الدير الذي بنى على اسمه (٤٥٢) في منطقة أفاميا، و عاش القديس مارون متنسكاً في هذه المنطقة الواقعة اليوم في أقصى شمال غربي سوريا على الحدود مع تركيا، و قد خلد ذكره ثيودوريتس القورشي (٣٩٧- ٤٥٩) مع مشاهير نساك المنطقة الأنطاكية في كتابه: تاريخ أصفياء الله. (١)

كان القديس مارون يفترش أديم الأرض و يأوي إلى خيمة من الشعر كان يستعملها نادراً ليتقي برد الشتاء القارس و حر الصيف اللاذع، و قد جمع حو له بعض محبي الحياة النسكية في العراء، حيث تتلمذ للقديس مارون في آخر القرن الرابع و مطلع القرن الخامس جماعة من الرهبان في هذه المنطقة و بنوا ديراً كبيراً و رفعوا إلى جانبه كنيسة. و لقب الدير بدير القديس مارون. واشتهر هؤلاء الرهبان بإيمانهم القويم و تعلقهم الشديد بقرارات مجمع خلقيدونية (٤٥١) و مقاومتهم للبدعتين النسطورية و الأوطيخية.

و تجمع خلق كثير من سكان البلاد و اعتنقوا معتقدهم فتلقبوا بالموارنة، و كان لهذا الدير في القرن السابع راهب اسمه يوحنا مارون، فنادى به أنصاره بطريركاً على أنطاكية في تاريخ غير محدود و لربما في فترة فراغ الكرسي الأنطاكي بعد الفتح العربي ٦٢٦ و ٧٤٢ و هكذا انتخبه الموارنة بطريركاً عليهم فحافظوا بذلك على وحدتهم و قوتهم الناشئة.

و نما الموارنة و كثروا و انتشروا في القرنين السادس و السابع في سهول سوريا الشمالية،

---

* اسم مارون هو مروان بالعربية و مروان هو مارون بالسريانية

١- الارشمندريت أدرياتوس شكور: سيرة القديس مارون المطبعة البولسية- جونيه ١٩٨٧ ص ١٤٥-١٤٦

فسكنوا معرة النعمان و أنطاكية و البلاد المجاورة. و لما جاء الفتح العربي عام ٦٣٦ تركوا بعد مدة هذه السهول الخصبة و اعتصموا بجبال لبنان الشمالية فاختلطوا بالسكان الأصليين و بنوا هناك كنائسهم و ديورتهم و وطدوا مقر بطريركيتهم، ثم انتشروا رويداً رويداً فاحتلوا معظم الجبال اللبنانية، و انعزلوا عن باقي سوريا أثناء الحكم العربي و التركي، و كانوا نواة الكيان اللبناني الجديد.

و في عهد المأمون و كان ذلك في القرن التاسع، ارتحل قوم منهم إلىقبرص. كما عاد بعضهم إلى حلب في القرن الحادي عشر، إلا أن أغلبيتهم الساحقة بقيت في لبنان.

و عاش الموارنة في لبنان حياة منعزلة فنعموا بقسط وافر من الحرية و الاستقلال الداخلي، إلا أن قلة الوثائق التاريخية لا تسمح لنا بأن نطلع على تفاصيل حياتهم و تطور بطريركيتهم قبل القرن الثاني عشر. و لم يكن لكنيستهم علاقة لا مع كنائس الشرق الأرثونكسية و لا مع روما.

و يذكر المؤرخ الصليبي غليوم مطران صور أنهم رجعوا عن المونوثيلية، و تعني انصار المشيئة الواحدة، عام ١١٨٢، و كذلك الكتاب الملكيون من قبله، أمثال القديس يوحنا الدمشقي وثاودورس أبو قرة و سعيد ابن البطريرك، يجعلون المارونية مرادفة للمونوثيلية. أما الكاتب السرياني أبو رانطه (في القرن التاسع) فيميز فرعين عند الملكيين: الموارنة و المكسيمانيين (أنصار مكسيموس المعترف مقاوم المونوثيلية). و يظهر من هذا أن الموارنة فرع من الملكيين قبلوا بمساومة البطريرك سرجيوس القسطنطيني و أنهم أثناء انعزالهم إبان الفتح العربي لم يأخذوا بقرارات المجمع المسكوني السادس الذي شجب المونوثيلية. (١)

و قال البعض إن الموارنة كانوا يعتبرون أنفسهم مرتبطين بالكرسي الرسولي منذ نشأة كنيستهم، خلافاً لما يدعيه البعض إن هذا الارتباط يرقى فقط إلى القرن الحادي عشر.

و إلى الجراجمة أو المردة يعزا الوجود الماروني في لبنان، فقد كان مسكنهم في جبل اللكام بجوار أنطاكية. و حين مر هرقل في منطقتهم بعد تركه أنطاكية، أصابهم الخوف من تقدم الجيوش العربية. و قد طلبوا الأمان و انتقلوا في مجموعات متعاقبة للإقامة في شمال جبل لبنان، بتشجيع من البيزنطيين الذين وفروا لهم دعماً مادياً. و ربما شكل هؤلاء الدعامة الأولى لوجود الموارنة في لبنان.

و ارتبط الموارنة جغرافياً بلبنان و عاشوا مختلطين مع السريان في الرقعة الممتدة من نهر الكلب حتى حدود عكار صعوداً إلى الجبال و بشرى شرقاً، ما عدا المدن الساحلية. و كانت هذه المنطقة شبة محاصرة بإمارة التنوخيين جنوبياً و بالبحر المتوسط و المدن الساحلية غرباً و بولاية دمشق

١- مجلة المشرق- بيروت السنة التاسعة و العشرون ك ٢ سنة ١٩٣١ ص ٤٣ الخوري بطرس غالب

السلجوقية شرقاً. (١)

و أبدى الصليبيون إعجابهم بالموارنة كمحاربين أشداء برعوا في السهام، و قال جاك دوفيتري (هناك اناس فوق هضاب لبنان في إقليم فينيقيا على مقربة من مدينة جبيل غير قليلي العدد مدربون و بارعون في رمي السهام و استعمال القوس في الحروب و اسمهم الموارنة. كما أنهم كانوا ناشطين في العمل الزراعي و الصناعي و تقديم العون للدولة البيزنطية. و كان الفرنجة يتساءلون حول إيمان الموارنة هل هو الإيمان الصحيح ؟ أم أنهم هراطقة مونوثيليين؟ هل هم سريان؟ قابل ذلك شعور الموارنة بالمرارة من عنجهية الفرنج و طريقة التعاطي معهم أثناء مرافقتهم في الحروب. (٢)

و حين دخل الصليبيون الأصقاع السورية و استوطنوا السواحل و مدوا سيطرتهم على قسم من البلاد الداخلية انضم إليهم الموارنة و توثقت بينهم روابط الوداد المبنية على وحدة الدين. و منذ ذاك العهد ألف بنو مارون طريق روما مركز الوحدة الكاثوليكية و صارت تدور بين الكرسي الرسولي والطائفة المارونية المراسلات المتبادلة و الكتابات الرسمية التي لا يزال قسم منها في سجلات الدار البطريركية أو في خزائن الفاتيكان يرقى أقدمها عهداً إلى اينوكنت (زخيا) الثالث الذي استدعى سنة ١٢١٣ بطريرك الموارنة أرميا العمشيتي (١٢٠٦- ١٢٣٠) لحضور المجمع اللاتراني الرابع مع براءته إلى البطريرك المذكور يمنحه مع شعبه فيها عدة انعامات شرفية.

إن كتابات الأحبار الرومانيين إلى الموارنة تواردت من اينوكنت الرابع (١٢٤٣-١٢٥٤) في السنتين ١٢٤٣و ١٢٤٦ و من بعده اسكندر الرابع (١٢٥٤-١٢٦١) سنة ١٢٥٦ ثم انقطعت المكاتبات نحو منتي سنة لما أصاب الشرق من البلايا بغزوات المغول ثم باستيلاء الدول المصرية على الشام. و كذلك الكرسي الرسولي بقي عدة سنين مبتلى بمحن شتى لانتقال الباباوات إلى فرنسا ولانقسام الممالك المسيحية في طاعتها لحبرين أعظمين لم يُعرف أيهما الشرعي في العهود المظلمة من تاريخ أوربا.

إلى أن استؤنفت المخابرات بين الطائفة المارونية و الأحبار الرومانيين بوساطة المرسلين الفرنسيين حافظي الأراضي المقدسة كفرا جوان وفرا غريفون ثم فرا سوريا نوس، و ذلك على عهد أوجانيوس الرابع في كتاب تاريخه سنة ١٤٣٩ إلى البطريرك يوحنا الذي أورد ذكره الدويهي في تاريخه. ثم توالت البراءات الرومانية إلى بطاركة الموارنة بعد أوجانيوس الرابع من خلفائه نيقولا

١- مجموعة مؤلفين: المسيحية عبر تاريخها في المشرق مرجع سابق ص ٥٦٣ فرح فرزلي

٢- = = = = = = = = فرح فرزلي ص ٥٦٤ مرجع سابق

الخامس (١٤٤٧-١٤٥٥) و كالسطس الثالث (١٤٥٥-١٤٥٨) في السنتين ١٤٤٧-١٤٥٥ إلى البطريرك يعقوب الحدثي ثم بولس الثاني (١٤٦٤-١٤٧١) سنة ١٤٦٩ و سكسطس الرابع (١٤٧١-١٤٨٤) سنة ١٤٧٥ إلى البطريرك بطرس بن حسان و هي آخر البراءات الحبرية في القرن الخامس عشر. أما في القرن السادس عشر فتوفرت تلك المناشير البابوية فأحصى منها عشرين براءة من لاون العاشر إلى غريغوريوس الثالث عشر و كلها إلى البطريركين شمعون بن حسان ابن أخي البطريرك بطرس و خلفه (١٤٩٢-١٥٢٤) ثم موسى بن سعادة العكاري (١٥٢٤-١٥٦٧).

و لعل هذه البراءات التي تدل كلها على سبق الموارنة في خضوعهم لخلفاء هامة الرسل لا تدور غالباً إلا على التماس درع التثبيت من الأحبار الأعظمين. و يظهر من أجوبة الكرسي الرسولي انعطاف رؤساء الكنيسة نحو أولئك الأبناء الأحباب فتارة يمنحون السادة البطاركة الانعامات الخاصة وتارة يؤازرونهم بالقصاد الرسوليين للاهتمام بأمورهم و إصلاح ما لعله طرأ عليهم من الخلل كما يلوح من براءة لاون العاشر بخصوص الميرون. و حينما يحلون مشاكلهم التي عرضوها عليهم في المعتقدات الدينية كما ترى في براءة بولس الثاني إلى بطرس بن حسان حيث يوضح له دستور الإيمان الكاثوليكي بخصوص الثالوث الأقدس و أقنوم السيد المسيح و طبيعته و مشيئته مؤيداً كلامه بآيات الأنجيل و نصوص الآباء الأقدمين. بيد أن الأحبار الرومانيين و مثلهم البطاركة المارونيون كانوا يودون لو تكون العلاقات بين روما و لبنان أوثق فينال الموارنة من معين الكنيسة الرومانية زيادة نمو و رقي لولا أن المخاطر العديدة التي تواترت في ذلك الزمان كالحروب المتوالية بين الأتراك ودول الفرنج و تجول القرصان في البحر المتوسط كانت تعوقهم عن تحقيق أمانيهم حتى أن الذين كانوا يُرسلون إلى روما ليطلبوا للبطاركة الجدد درع الرئاسة لم يمكنهم العود إلى الشام إلا بعد سنتين وأكثر. فكان يحصل بسبب هذه العوائق عدة أضرار تتفاقم بطول الزمان فيصعب بعد ذلك تلافيها و لا سيما أن الموارنة كانوا يجهلون اللغة اللاتينية لغة روما الرسمية فيحتاجيون إلى تراجمة و ربما وقع ذلك سوء التفاهم. و من ثم كان يرى البطاركة الموارنة حاجة الطائفة إلى معلمين يدرسون اللغات الأوربيون وقد أرادوا سد ذلك الخلل بإرسال بعض الأحداث إلى روما ليتعلموا هناك ثم يعودون إلى وطنهم فيهذبون أبناء جلدتهم كما صنع البطريرك شمعون الحدثي، إذ ارسل سنة ١٥١٥ راهبين إلى روما ليتعلما اللغة اللاتينية فلم ينجحا و كذلك البطريرك موسى العكاري طلب من البابا بولس الثالث ستة من الرهبان الفرنسيسيين ليعلموا في لبنان اللغة اللاتينية لبعض أحداث الموارنة فلم يتم مرغوبه. (١)

١- مجلة المشرق- بيروت السنة السابعة عشرة العدد ٩ أيلول ١٩١٤ ص ٣٢٣ -٣٢٤

و أرسل البابا غريغوريوس رسولين عام ١٥٧٨ إلى الموارنة، كان ذلك رداً على إيفاد البطريرك ميخايل الرزي أسقفين مارونيين. و قد حمل البابا القاصدين رسالة إلى البطريرك يحدد فيها الإصلاح الذي لا بد من تحقيقه في الكنيسة المارونية. و عندما أنهى القاصدان زيارتهما الأولى، عادا إلى روما و قدما تقريراً يدعوان فيه إلى الاصلاح الإكليروس و طبع الليتورجية المنزهة من التحريف.

و كان من نتائج العلاقات المباشرة و المتواصلة بين روما و الكنيسة المارونية أن أسفرت عن ليتنة الكنيسة المارونية، خصوصاً في حقل الطقوس و التنظيم. و بدأت تلك الليتنة في نهاية القرن السادس عشر في مجامع قنوبين (١٥٨٠- ١٥٩٦) و استكملت في مجمع اللويزة (المجمع اللبناني ١٧٣٦). ففي سنة ١٦٠٦ تبنى البطريرك يوسف الرزي (١٥٩٦- ١٦٠٨) المدافع عن الليتنة والمقدام بهذا الصدد (التقويم الغريغوري)، مدخلاً بذلك الإصلاح التقويمي قبل سائر الكنائس الشرقية بقرنين. (١)

و بقيت الكنيسة المارونية شأنها شأن الكنيسة السريانية محافظة أشد الحفظ على طقسها السرياني القديم، و على لغتها السريانية البحتة إلى هذا اليوم. أما طقسها فهو أقدم من سائر الطقوس البيعية لا في ليترجيتها المنسوبة إلى مار يعقوب فحسب، بل في صلاتها القانونية التي تحتوي على الشيء الكثير من مصنفات الآباء الذين عاشوا في القرن الرابع أو الخامس أو السادس كمار أفرام ومار شمعون برصباعي الشهيد و مار ماروثا الميافرقيني و مار رابولا الرهاوي و مار اسحق الأنطاكي ومار اسحق الأنطاكي و مار يعقوب السروجي ... إلخ.

و كانت الطائفة المارونية، الجماعة المسيحية المنظمة في بنان، قبل سنة ١٨٦٠، يتمتع رؤساها بحقوقهم كلها، دون ما تفويض من قبل السلطة العثمانية، لأنهم لم يطلبوا الفرمان و لم تقدر الدولة العثمانية أن ترغمهم على أخذه و ذلك بفضل الدولة الفرنسية التي كانت تعضدهم في حفظ امتيازاتـــهم القديمة. أما في الولايات فكانت امتيازات الجماعات المسيحية معينة في البراءات السلطانية (٢).

وكان السلطان يذكر الموارنة في بعض فرماناته التي أصدرها كأنهم يتعلقون أو يجب عليهم أن يتعلقوا بالكاهن- البطريرك الأرمني في أمورهم المدنية، و يرغب أشد الرغبة في أن يقبل بطريركهم أسوة بسائر البطاركة براءة التولية، و قد شاء أن يجبره على ذلك. و لكنه لم يفلح لأن البطاركة الموارنة الساكنين جبل لبنان المتمتع بالاستقلال الداخلي كانوا يرفضون دائماً هذه المنح

١- مجموعة مؤلفين: المسيحية عبر تاريخها في المشرق مرجع سابق ص ٩٢٥ استيريوس أرجيريو

٢- مجلة المشرق- بيروت السنة التاسعة و العشرون ك٢ سنة ١٩٣١ ص ٣١ الخوري بطرس غالب مرجع سابق

التركية. و كان الأساقفة الموارنة حتى في المدن التابعة للولايات التركية: كبيروت و طرابلس و حلب و الشام يعالجون أمور رعاياهم دون أن يكون معهم فرمانات تخولهم في ذلك.

و بقي موقف بطاركة الموارنة الاستثنائي حجة تقليدية يتذرع بها خصومهم في القرون السادس و السابع عشر و الثامن عشر للإيقاع بهم، فيوشون بهم أن ليس لهم فرمانات، و أن لهم علاقات متصلة بالدولة الفرنسية و البابا، و كان الباب العالي يستثمر الفرص لاختلاس الدراهم، فيتظاهر بالجهل، و يعجب للأمر، و يأمر بالتفتيش ثم يجبر الموارنة و بطريركهم المجرّم بدفع النفقات الباهظة.

لقد نشأت المارونية ضمن ظروف موضوعية و ذاتية: فهي ولدت من رحم التيار الاستقلالي الذي نما شمال سوريا لمقاومة الاستعمار الغربي المتمثل يومها بالإمبراطورية البيزنطية. غير أن هذا التيار الاستقلالي واجه ظروفاً موضوعية حين قيام الدولة الدينية الإسلامية و تشريعاتها. كما عجز هذا التيار ذاتياً عن فرض معتقده اللاهوتي التوفيقي، بهدف توحيد مختلف الطوائف المسيحية المشرقية وبناء قوة محلية قادرة على القيام دور فعال و مستقل عن الأمبراطورية البيزنطية و عن الدولة الإسلامية في الوقت نفسه. غير أن هذا التيار فشل في بلورة ذاته و فرض نفسه، الأمر الذي أدى إلى تنازع هذين الجبارين (الدولة الإسلامية و الإمبراطورية البيزنطية) على الموارنة الذين أصبحوا أسرى لمخططاتهما، فضاعوا و تاهوا بين طموحاتهم الاستقلالية و تجاذب الصراعات، مما أدى إلى تباين تحالفهم و تأرجحها الدائم. و بالفعل، فإن قسماً من الموارنة تحالف مع بيزنطية ثم مع الصليبيين ولاحقاً مع الدولة الأروبية و الولايات المتحدة بينما تحالف القسم الآخر مع الدولة الإسلامية بداية، ثم مع الدولة العربية على اختلافها. و نتيجة لهذه التحالفات انقسم الموارنة على أنفسهم و تنافروا وتصارعوا. و لكنهم سرعان ما كانوا يتراجعون عن تحالفاتهم. و هي تحالفات لم يكن لها أن تستمر ولا أن تستقر، لأنهم أرادوا دائماً أن يتشبثوا باستقلاليتهم أو يحافظوا على ذاتية أو خصوصية وصلت إلى حد المغالاة. و قد أدى ذلك إلى هاجس التمسك بذاتيتهم حتى لا يضطروا إلى هجر أرضهم و الضياع في متاهات الغرب، و لا إلى هجرة معتقدهم و الذوبان في الإسلام. (١)

هذا التجاذب في الساحة المارونية جعلها تستنفر للدفاع عن نفسها تجاه التطورات الحاصلة على ساحتها الإقليمية أو ساحتها الدولية.

١- صحيفة النهار- بيروت ٢٠٠٢/٢/٩ سركيس أبو زيد

فالتوق إلى الاستقلال قد تداخل في ذاكرة الموارنة بالنزعة إلى التحالف مع الآخرين، فإن نظرتهم، سواء إلى العالم الغربي أو إلى المحيط الإسلامي، كانت مختلطة، من حيث إن الغرب مناقض لهم وطنياً، و المحيط الإسلامي على خلاف ديني معهم. و لكن هذا التشوش في التوجهات أدى إلى حالات من البلبلة و عدم الاستقرار، جعلهم يخوضون صراعات مستمرة على جبهات عدة:

١- ضد الغرب الذي يريد استغلال الموارنة لتحقيق مشاريعه.

٢- ضد الشرق الإسلامي أو العربي الذي حاول استيعابهم كي لا يبقوا جسماً غريباً في حاضرته.

٣- ضد الفرق المسيحية من روم و كاثوليك الذين سعوا إلى إقناع الموارنة بمعتقداتهم. (١)

هذه الصراعات أوجدت شيئاً عند الموارنة هو اللاهوت السياسي. و لعل البعض لا يعرف أنه في المسيحية يقترن الدين بالدنيا، أي الإيمان بالسياسة اقتراناً وثيقاً، يصون استقلالية كل حقل وخصوصيته و سماته المميزة. فالسياسة (بحسب فكر الكنيسة، سبيل من سُبُل الإلزام تحدو الإنسان على وقوف ذاته لخدمة الآخرين). (٢) و ثمة من يتشدد في هذا المنحى، من بين اللاهوتين المسيحيين الطليعيين، فيضيف أن (قيام الدين كحقل منفصل لهو البرهان القاطع على حال الانحطاط في الإنسان). (٣) و إذا ما تساءل الإنسان عن تاريخ هذا الاقتران، وجد أن (ما من فكر لاهوتي نشأ و ترعرع و تطور من دون مؤازرة السياسة له، سواء أظهرت هذه المؤازرة في نمط تنظيم المجتمع الذي رعى نشأة هذا الفكر، أم في تواطؤ حاجات الحكم القائم مع مقولات الفكر اللاهوتي. (٤)

و هناك تمييز بين مفهومين مختلفين للاهوت السياسي: المفهوم الأول مفهوم تقليدي متواتر استخدمه السلطان السياسي لإحكام سيطرته وصون سلطته. و المفهوم الثاني نقدي أو أخروي إسخاتولوجي. و استناداً إلى ذلك يرى البروفيسور جاد حاتم (إن تقاليد الكنائس الشرقية، و لا سيما الكنيسة المارونية، و ممارساتها الراهنة فيها تياران اثنان: التيار الأول تيار تعتنقه المؤسسة

١- صحيفة النهار- بيروت ٢٠٠٢/٢/٩ سركيس أبو زيد مرجع سابق

2- Paul V1 :-Octogesima adveniens, in Ducumentation Catholique, Juin 1971. No 24

3- P. Tiblich: Theologie of Culture. New York 1964 P 42

٤- مجلة المسرة- حيصا أيار- حزيران السنة ١٩٩٧/٨٣ ص ٤١٨ الأب مشير باسيل عون

الدينية المسيحية، و هو تيار أخروي تستضيء أحكامه بتصورات اختتام الزمن و يو م الدين الأخير. و التيار الثاني تيار عقلاني يعتصم به كوكبةمن رجالات الفكر اللبنانيين المسيحيين). (١)

و هذا يعني أن يستنطق استنطاقاً خاصاً نصوصاً و شهادات مستخرجة من مواقف البطريرك عريضة في منتصف الثلاثينات من القرن الماضي حيث أصبح عند المصلين في جوامع دمشق (حبيب الله)، أو حين أصبح البطريرك المعوشي في منتصف الخمسينات من القرن العشرين (بطريرك العرب). أو ما يدلي به البطريرك صفير من تصريحات شبه يومية عن الحفاظ على استقلالية القرار اللبناني. هذه التوصيفات جاءت في ضوء مواقف سياسية محددة اتخذتها البطريركية المارونية، و لكنها عبرت أيضاً عن معطيات لا تستهلكها الأحداث العابرة و المواقف الطارئة.

إن العلاقة المثلثة بين الكنيسة المارونية و لبنان و المحيط العربي أعطت البطريركية موقعاً مرموقاً و مميزاً في حياة المنطقة الروحية. (٢)

هذه الكنيسة القديمة الجذور، السريانية اللغة، يعود إنشاء بطريركيتها و أجهزتها الأسقفية والكهنوتية إلى أواخر القرن السابع و مطلع القرن الثامن، و تتكون المؤسسات الدينية من البطريركية و أجهزتها الأسقفية و الكهنوتية. و قد أدخل على هذه المؤسسات التأثيرات التحديثية للنهضة الأوربية و الإصلاح الكاثوليكي المضاد انطلاقاً من القرن السادس عشر مع إنشاء المدرسة المارونية في روما، و مع تدريب القيادات الكنسية فيها. و استمر هذا التحديث مع سلسلة من المجامع في القرون السادس و السابع و الثامن و التاسع عشر، و أشهرها مجمع اللويزة عام ١٧٣٦ الذي أرسي اسس التنظيم الحالي.

و كان تطور الرهبانيات باتجاه مماثل تبنت أنظمتها الحالية في القرنالثامن عشر مع بعض التعديلات التي أدخلت في منتصف القرن العشرين. (٣) كما أنشئت رهبانيات في القرن التاسع عشر كجمعية المرسلين اللبنانيين (الكريميين) (٤) لتحديث الكنيسة المارونية في وجه انتشار

١- مجلة المسرة- حريصا آذار- نيسان

٢- صحيفة الحياة- لندن ٢٠٠١/٥/٣ رغيد الصلح.

٣- يوسف محفوظ: مختصر تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية منشورات أوراق رهبانية- الكسليك ١٩٦٩ ص ٩٨

٤- الأب بولس مسعد: المجمع البلدي المطبعة الكاثوليكية- بيروت ١٩٥٩ ص ١١

البروتستانتية و (راهبات العائلة المقدسة المارونية) بمبادرة من البطريرك الياس الحويك وراهبات القديسة تريزة عام ١٩٣٥.

و تعمل المؤسسات القضائية للطائفة على موجب قانون التنظيم القضائي رقم ٧٨٥٥ تاريخ ١٩٦١/١٠/١٦ و تعديلاته. و توجد الآن محكمة روحية بدائية في كل أبرشية مارونية و محكمة استئنافية واحدة في البطريركية و محكمة بدائية موحدة للقضايا التي تستدعي هيئة قضائية جماعية.

و يعتبر عام ١٥٨٤ بداية انطلاق المؤسسات التربوية للطائفة حيث تم إنشاء المدرسة المارونية في روما. و قد باشر بعض خريجها العائدين إلى موطنهم بإنشاء المردارس انطلاقاً من القرن السابع عشر، كما ساهمت الرهبانيات و الأبرشيات في هذه الحركة، حيث حث المجمع اللبناني المنعقد في اللويزة عام ١٧٣٦ الأساقفة و الكهنة و الرهبان على تنصيب معلمين حيث لا يوجد معلمون، و أمر آباء الأطفال بسوقهم و لو مكرهين إلى المدرسة، على أن يتحمل نفقات التعليم و يتقاسمها حسب الظروف: الكنيسة أو الدير أو مجموع المؤمنين أو أهل الطلاب، و هذا هو نوع من فرض إلزامية التعليم على طريقة ذلك الزمن.

و من دراسة عن تطور مدارس الطائفة المارونية منذ القرن السابع عشر نرى الآتي: في القرن السابع عشر كان هناك ٣ مدارس و في القرن الثامن عشر ١٦ مدرسة و في القرن التاسع عشر ١١ مدرسة و في القرن العشرين ٢٠٦ مدرسة. (٣)

و يلاحظ أن إنشاء المدارس المارونية في القرن التاسع عشر كان أبطأ من القرون الماضية، و هذا عائد إلى تدفق الإرساليات الكاثوليكية الأوربية على لبنان من الثلث الثاني من القرن المذكور. و هنا يجدر بنا أن نذكر أن من أهم المدارس التي أنشئت في القرن السابع عشر مدرسة حوقا (١٦٢٥) و في القرن الثامن عشر مدرسة عين ورقة و في القرن التاسع عشر مدرسة الحكمة.

و هذه المدارس على تنوعها من مؤسسات تعليمية، ابتدائية و ثانوية، تدار من قبل الأبرشيات المارونية أو من قبل الرهبنات المارونية. أما المؤسسات الجامعية فهي: معهد الحكمة للحقوق التابع لأبرشية بيروت المارونية، و جامعة الروح القدس- الكسليك التابعة للرهبانية المارونية اللبنانية، و كليات المعهد الانطوني في بعبدا التابعة للرهبنة المارونية الأنطونية،

١- مجلة المنارة- جونية العدان الأول و الثاني السنة ١٩٨٤/٢٥ ص ٢٦١ نعيم بارود

ومركز اللويزة الجامعي التابع للرهبنة المارونية المريمية.

و تملك الطائفة المارونية الكثير من الأوقاف بشكلها الذري و الخيري منذ القرن السابع عشر و خاصة في القرن التاسع عشر، و هي بغالبيتها عقارات ريفية تقليدية الاستثمار، وطرحت الكثير من النقاشات حول الاستثمار الأمثل لها.

و للطائفة العديد من الجمعيات و حركات الشبيبة و أكثرها جمعيات مشتركة بين الطوائف الكاثوليكية كلها. لكن هناك عدد من الجمعيات المارونية الصرف في مجالات الخدمة الاجتماعية و النشاطات الثقافية و الدينية.

و تفتخر الطائفة بمطبعة دير قزحيا (١٦١٠) أولى مؤسسات الإعلام في الطائفة، تلتها بعد أكثر من قرنين مطبعتا دير طامش (١٨٥٨) و أهدن (١٨٥٩) ثم مطبعة الأنطونية في بعبدا (١٩١١) . (١) و في القرن العشرين أنشئت مطبعة المرسلين اللبنانيين في جونيه، و مطبعة الرهبانية اللبنانية المارونية في بيروت. و هناك أيضاً العديد من المجلات نذكر منها: دفاتر الفلسفة و اللاهوت التي تصدرها جامعة الروح القدس- الكسليك، و مجلة شربل الصادرة عن الرهبنة اللبنانية المارونية، و مجلتي سيدة لبنان و المنارة التي تصدرها جمعية المرسلين اللبنانيين في جونية و مجلة الرعية، و مجلتي السنابل و الحكمة و مجلة نور الحياة. كذلك عدت على الطائفة في فترة من الفترات في الربع الأخير من القرن العشرين إذاعة صوت لبنان، و إذاعة صوت لبنان الحر الموحدة التابعة للمرد، و إذاعة صوت لبنان الحر، و إذاعة صوت المحبة وهي إذاعة دينية بحتة انطلقت من جونيه.

أما عدد أفراد الطائفة المارونية فإن الحسن بن طلال يضع للموارنة رقماً إجمالياً عام ١٩٩٥ بأقل من مليون بقليل (٢) فيما يرد عارضاً في صحيفة لبنانية أن عددهم في (الأورغواي) هو بحدود ٤٠ ألف نسمة (٣) فإذا صح هذا الرقم فعدد الموارنة في الاغتراب ربما يتجاوز المليونين أو أكثر، فنسبة هجرة موارنة لبنان لمجموعه ٣٠ بالمئة. (٤)

١- عيسى اسكندر المعلوف: العلوم و الآداب) في (لبنان مباحث علمية و اجتماعية) - نشرة اسماعيل حني بك- الطبعة الأولى ١٩١٨- الطبعة الثانية ١٩٧٠ - منشورات الجامعة اللبنانية- بيروت ص ٥٦٦-٥٧٤-٥٨٢

٢- الحسن بن طلال: المسيحية في العالم العربي مرجع سابق ص ١٣٠

٣- صحيفة السفير- بيروت ٢٠٠١/١١/٢ ص ٤

٤- صحيفة النهار- بيروت ٢٠٠١/١١/٢٧ مرجع سابق

و من الصعب أن تعثر على مصدر إحصائي قريب لآخر، فقد ورد في مجلة المشرق لعام ١٩٢٠ أن عددهم في سوريا الطبيعية آنذاك نحو (٣٥٠٠٠٠) نسمة [١] فيما ورد في نفس المصدر عام ١٩٢١ (١٧٥٧٠١) نسمة [٢] أما عام ١٩٣٢ فكان (٢٢٧٨٠٠) [٣].

و الأرقام الثلاثة هم من مصدر واحد، و ربما يقول البعض إنهم هاجروا، أو ربما خطأ في الإحصاء .. على أي لا نستطيع أن نجزم برقم معين و نترك الأمر للقارئ!

و كان عددهم في لبنان عام ١٩٥٢ (٣٧٧٥٤٤) نسمة [٤] و عام ١٩٧٨ كان ٨٥٠ ألف نسمة [٥].

و بلغ عدد موارنة دمشق في منتصف القرن التاسع عشر (٤٠٥) نسمة [٦] و في حلب عام ١٩٣٥ (٣١٥١) و عام ١٩٤٧ (٢٨٣٨). [٧] و في سوريا عام ١٩٣٤ (٤٨٣٩) [٨] وفي عام ١٩٤٤ (١٣٦٢١) و عام ١٩٤٨ (١٤٧٩٧) [٩] و عام ١٩٥٦ (١٩٢٩١). [١٠].

أما في فلسطين عام ١٩٥٠ فكان (٢٠٠٠) نسمة [١١]

١- مجلة المشرق- بيروت السنة الثامنة عشرة العدد ٣ مرجع سابق

٢- = = = السنة الثلاثون تشرين الأول ١٩٣٢ مرجع سابق

٣- = = = = = = = = = =

٤- مجلة المسرة- حريصا السنة الأربعون /١٩٥٦ شباط ص ١٢٦

5- R.D Mc. Laurin Ibid

6- Porter. J. L: Five years in Damascus. Ibid

٧- مجلة المشرق- بيروت السنة الحادية و العشرون العدد٩ مرجع سابق

٨- عبد العزيز العظمة مرجع سابق

٩- المجموعة الأحصائية لعام ١٩٤٩ مرجع سابق

١٠- = = = ١٩٥٦ = =

١١- مجلة المسرة- حريصا السنة ١٩٥٠/٣٦ نيسان ص ٢٤٨ مرجع سابق



al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

أساقفة وبطاركة أنطاكية

شملت رئاسة البطريرك الأنطاكي في صدد النصرانية بلاد المشرق برمتها. وكان بطريركها يسوس نصارى تلك البلاد على اختلاف نحلهم وتشعب لسانهم كاليونان والسريان والعرب والروم والأرمن والفرس. وأخذ هذا النظام يتشوه بحدوث البدع والشقاق فانفرطت فيه علائق الاتحاد والائتلاف وتتابعت عليه ضروب النزاع والخلاف فتضعضعت أحواله وتبلبلت أموره وتشعبت منه ست بطريركيات لكل منها طقس وعوائد.

وكان زعماء الأريوسية أول ما جاهروا بالعصيان عام ٣٣٢ واندثرت هذه الشيعة عام ٤٢٤.

في عام ٤٩٨ انسلخت من الكرسي الانطاكي جاثليقية الشرق وانحاز أتباعها إلى نسطور ولقبوا بطريركهم بجاثليق المشرق ولا سيما بعد أن انتقلوا إلى بغداد عام ٧٦٢ وجعلوها مقاماً لبطريركهم. ومنهم ظهرت بطريركية الكلدان الكاثوليك سنة ١٥٥٣ وسميت بطريركية بابل عام ١٧١٣.

ثم انقسم الكرسي الأنطاكي سنة ٥٣٩ بين بطريرك الخلقيدونيين الملكيين وبين بطريرك السريان القائلين بطبيعة المسيح الواحدة. وعلى ما روى البطريرك الدويهي ظهرت سنة ٦٨٥ بطريركية السريان الموارنة.

وفي أواسط القرن السادس تقريباً تفرعت من الكرسي الأنطاكي جاثليقية الأرمن ونصبوا لهم أربعة بطاركة رئيسهم وأولهم بطريرك اشميازين. ومنهم اشتقت بطريركية الأرمن الكاثوليك منذ سنة ١٧٤٢ وسموا بطاركة كيليكية.

وعام ١٠٩٨ أنشئت بطريركية اللاتين الأنطاكية واستوطن بطاركتهم في أنطاكية عينها حتى سنة ١٢٦٧.

وفي القرن الثالث عشر انفصلت بطريركية الملكيين الأنطاكية عن الكرسي الرسولي وسمي أصحابها الروم الأرثوذكس ثم نقل بطريركهم كرسيه إلى دمشق.

ثم ظهرت بطريركية السريان الكاثوليك عام ١٦٦٢ ثم نشأت بطريركية الروم الملكيين الكاثوليك سنة ١٧٢٤ ويقول الخوري اسحق أرملة أنه يوجد اليوم ستة بطاركة أنطاكيين: بطاركة الموارنة واللاتين والسريان الأرثوذكس والملكيين والروم الأرثوذكس والسريان الكاثوليك.[1]

---

[1] مجلة المشرق-بيروت السنة الحادية والعشرون العدد ٧ تموز ١٩٢٣ ص ٤٩٨ الخوري اسحق أرملة مرجع سابق.

فيما الواقع المتعارف عليه الآن أنه يوجد خمسة بطاركة وهم بطريرك أنطاكي للروم الأرثونكس وبطريرك أنطاكي للروم الكاثوليك وبطريرك أنطاكي للسريان الأرثونكس وبطريرك أنطاكي للسريان الكاثوليك وبطريرك أنطاكي للموارنة.

ويبقى لقب بطريرك أنطاكية -في الوقت الحالي- شرفي أكثر منه واقعي، فليس هناك من بطريرك مسيحي يجلس في منطقة أنطاكية، ولكن رمز هذه المنطقة التي انطلقت منها المسيحية والأساقفة والبطاركة الأنطاكيين الأولين هو المغزى في الموضوع.

وللوصول إلى أسماء بطاركة أنطاكية ليومنا هذا كان لنا أن نراجع مصادر عديدة، وكل واحدة منها كان يتغير به الاسم والتاريخ مما جعلنا في حيرة من أمرنا. إن بطاركة كل طائفة من الطوائف الخمس لهم جدولهم في الترتيب الزمني البطريركي منذ الانقسامات التي حصلت في المسيحية، ولتعذر وضع كل بطريرك لطائفة في هذا الجدول فقد اعتمدنا على كرلفسكي البحاثة المدقق في معظم الجدول الذي سيلي، وليعذرنا من لم نضع بطاركته في هذا الجدول، فالغاية هي الوصول إلى نهاية انقسامات كرسي أنطاكية. وفي جدول كرلفسكي يوجد تاريخين لتسنم المنصب، فيما بعض الجداول تضع تاريخ استلام المنصب فقط دون المدة التي شغلها.

الحقبة الأولى

أساقفة أنطاكية (٣٦-٥٢٦)

لم يطلق على أساقفة أنطاكية اسم (بطاركة) إلا في أواسط القرن الخامس، فكانوا لذلك العهد يسمون أساقفة سوريا أو أساقفة أنطاكية[1] وإليكم سلسلتهم واحدا واحدا:

١- بطرس الأول رئيس المرسل (٣٦-٤٣) ٢- أوديوس* ٣- هيرون ٥- قرنيليوس ٦- ايروس ٧- ثنوفيل (١٨٢) ٨- مكسيمينس (١٨٢-١٩١) ٩- سربيون (١٩١-٢١١) ١٠- اسقلبياد (٢١١-٢١٨) ١١- فيليطس (٢١٨-٢٣١) ١٢- زبينا (٢٣٢-٢٣٨) ١٣- باولا (٢٣٨ أو ٢٤٤-٢٥٠) ١٤- فبيوس (٢٥٠-٢٥٣) ١٥- ديمتريايس (٢٥٣-٢٦٠) ١٦- بولس الأول (٢٦٠-٢٦٩) ١٧- دمنوس الأول (٢٦٧-٢٦٨) ١٨- طيمثاوس (٢٧٠-٢٧١) ١٩- قرلس الأول (٢٧٩-٣٠٣) ٢٠- طورانس (٣٠٣-

[1] مجلة المشرق-بيروت السنة الرابعة والثلاثون كانون الثاني-آذار ١٩٣٦ ص ٤٦ الخوري اسحق أرملة.

* لا يعرف سنة جلوس اوديوس وقرنيلوس وايروس على الكرسي الأنطاكي، كما لم يذكر سنة وفاتهم.

٣١٤) ٢١- فيطالــيس (٣١٤-٣٢٠) ٢٢- فيلوجيــن (٣٢٠-٣٣٥) ٢٣- اوسـطاثيوس* (٣٢٥-٣٣١) ٢٤- فولين (٣٣٠-٣٩٤) ٢٥- اولابيوس (٣٣٠-٣٣٢) ٢٦- افرونيوس (٣٣٢-٣٤٣) ٢٧- فلاقلس (٣٣٥-٣٤٣) ٢٨- اسـطفان الأول (٣٤٣-٣٤٤) ٢٩- لاونطــيوس (٣٤٤-٣٥٨) ٣٠- اودكــس (٣٥٨-٣٥٩) ٣١- ميليطس (٣٦٠-٣٨١) ٣٢- فلبيانس الأول (٣٨١-٤٠٤) ٣٣- بورفيرس (٤٠٤-٤١٦) ٣٤- الكسندر (٤١٦-٤١٧) ٣٥- ثنودوط (٤١٧-٤٢٨) ٣٦- يوحنا الأول (٤٢٨-٤٤٢) ٣٧- دمنوس الثاني (٤٤٢-٤٤٩) ٣٨- مكسيمس الأول (٤٤٩-٤٥٥) ٣٩- باسيل الأول (٤٥٦-٤٥٨) ٤٠- افــاق (٤٥٨-٤٥٩) ٤١- مـرطوريس (٤٥٩-٤٦٨) ٤٢- بطـرس الثانــي (٤٦٨-٤٧١) ٤٣- يولــيان (٤٧١-٤٧٥) ٤٤- يوحنا الثاني (٤٧٧-٤٧٧) ٤٥- اسطفان الثاني (٤٧٨-٤٨١) ٤٦- قلنديون (٤٨١-٤٨٥) ٤٧- بلاديوس (٤٨٨-٤٩٨) ٤٨- فلبيانس الثاني (٤٩٨-٥١٢) ٤٩- سويرا (٥١٢-٥١٨) ٥٠- بولس الثاني (٥١٩-٥٢١) ٥١- افرسيوس (٥٢١-٥٢٦).

الحقبة الثانية

بطاركة أنطاكية الملكيون (٥٢٦-٥٦٩)

٥٢- أفرام (٥٢٦-٥٤٥) ٥٣- دمنوس الثالث (٥٤٥-٥٥٩) ٥٤- انسطاس الأول (٥٥٩-٥٧٠ و ٥٩٣-٥٩٨) ٥٦- انطاس الثاني (٥٩٩-٦١٠)**

فراغ الكرسي الأنطاكي الملكي أول مرة (٦١٠-٦٤٠)

الملكيون

القسم الأول

---

*قيل إنه منذ ذلك التاريخ، أطلق لفظ بطريرك (كما يذهب ابن العميد) على الحبر الرومانى، ثم على الحبر الأنطاكي، ثم على الحبر الاسكندري. والاختلاف في التواريخ التالية يعود لأن البطريرك اوسطاثيوس قضى في المنفى سبع سنوات إلى أن انتقل إلى رحمة ربه عام ٣٧٧، وأثبتت الروزنامة السريانية تذكاره في ٢٣ آب وفي ٥ حزيران، والروزنامة الرومانية في ١٦ تموز والروزنامة القسطنطينية في ٢١ شباط.

**اغتاله اليهود في العام ٦٠٩ بل تولى السلطة البطريرك أثناسيوس الجمّال (٥٩٥-٦٣١) القائل بالطبيعة الواحدة.

الحقبة الثانية

بطاركة أنطاكية الملكيون (٥٢٦-٩٦٩م)

٥٧- مقدونيوس (٦٤٠-٦٤٩) ٥٨- جورج الأول (٦٤٩) ٥٩- مقار الأول (٦٨١)٦٠- تاوفان (٦٨١) ٦١- توما (٦٨٥) ٦٢- جورج الثاني (٦٨٥-٧٠٢)

فراغ الكرسي الأنطاكي الملكي ثاني مرة (٧٠٢-٧٤٢)

٦٣- اسطفان الثالث (٧٤٢-٧٤٥) ٦٤- ثاوفيلكط (٧٤٥-٧٦٨) ٦٥- ثاودريط (٧٨٧-٨١٣) ٦٦- ايوب (٨١٣-٨٤٥) ٦٧- نيقولا الأول (٨٤٧-٨٦٦) ٦٨- اسطفان الرابع (٨٧٠) ٦٩- ثيودوسيوس الأول (٨٧٠-٨٩٠) ٧٠- سمعان (٨٩٢-٩٠٧) ٧١- ايليا الأول (٩٠٧-٩٣٤) ٧٢- ثيودوسيوس الثاني (٩٣٥-٩٤٣) ٧٣- ثيوخرسطس (٩٤٤-٩٤٨) خرسطفور (٩٦٠-٩٦٧)

الحقبة الثانية

منذ سيطرة بطاركة قسطنطينية على بطاركة أنطاكية حتى انتقالهم إلى دمشق

(٩٧٠-١٣٥٩م)

٧٥- ثيودور الأول (٩٧٠-٩٧٦) ٧٦- اغابيوس الأول (٩٧٨-٩٩٦)٧٧- يوحنا الثالث (٩٩٧-١٠٢٢) ٧٨- نيقولا الثاني (١٠٢٥-١٠٣٠) ٧٩- ايليا الثاني ٨٠- تيودور الثاني (١٠٣٣-١٠٤١) ٨١- باسيل الثاني ٨٢- بطرس الثالث (١٠٥٢-١٠٥٧) ٨٣- ثيودوسيوس الثالث (١٠٥٧) ٨٤- اميليان (١٠٧٤-١٠٨٩) ٨٥- نيقوفور (١٠٨٩) ٨٦- يوحنا الرابع (١٠٩٨-١١٠٠)

الملكيون

القسم الأول

الحقبة الثالثة

منذ سيطرة بطاركة القسطنطينية على بطاركة أنطاكية حتى انتقالهم إلى دمشق (٩٧٠-١٣٥٩)

فراغ الكرسي الأنطاكي الملكي ثالث مرة (١١٠٠-١١٥٦)

٨٧- سوطريقس (١١٥٦) ٨٨- اثناسيوس الأول (١١٥٧-١١٧١) ٨٩- ثيودورس (١١٨٥-١١٩٥) ٩٠- سمعان الثاني (١٢٠٦-١٢٣٥) ٩١- داود (١٢٤٢-١٢٤٧) ٩٢-افتيموس الأول (١٢٥٨-١٢٧٣) ٩٣- ثاودوسيوس الرابع (١٢٧٥-١٢٨٣) ٩٤- ارسانيوس (١٢٨٣-١٢٨٥ أو ١٢٩٠؟) ٩٥- قولس الثاني (١٢٨٥ أو ١٢٩٠-١٣٠٨) ٩٦- ديونوسيوس الأول (١٣٠٩-١٣١٦) ٩٧- قرلس الثالث ٩٨- ديونوسيوس الثاني ٩٩- صفرونيوس ١٠٠- اغناطيوس الثاني (١٣٤٤-١٣٦٦)

الحقبة الرابعة

منذ اتخاذ دمشق مركزاً للكرسي البطريركي الملكي ١٣٥٩

١٠١- فاخوم الأول (١٣٥٩-١٣٦٨ أو ١٣٨٦) ١٠٣- مرقس الأول (١٣٧٧-١٣٧٨) ١٠٤- نيكون (١٣٨٧-١٣٩٥) ١٠٥- ميخائيل الثاني (١٣٩٥-١٤١٢) ١٠٦- فاخوم الثاني (١٤١٢-١٤١٢) ١٠٧- يوياخيم الأول ١٠٨- مرقس الثاني (١٤٢٦ أو ١٤٢٧) ١٠٩- دوروثاوس الأول (١٤٣٤-١٤٥١) ١١٠- ميخائيل الثالث (١٤٥١-١٤٥٦) ١١١- مرقس الثالث (١٤٥٦-١٤٥٨) ١١٢- يوياكيم الثاني (١٤٥٨-١٤٥٩) ١١٣- ميخائيل الرابع (١٤٧٠ أو ١٤٧٤-١٤٨٤) ١١٤- دوروثاوس الثاني (١٤٨٤-١٥٠٠)

بين عام ١٥٠٠-١٥٢٣ أمسى الكرسي البطريركي الملكي شاغراً حتى انتخب ميخائيل الخامس، وذلك لتغلب بطاركة قسطنطينية.

١١٥- ميخائيل الخامس (١٥٢٣) ١١٦- دوروثاوس الثالث (١٥٢٣-١٥٣٠) ١١٧- يوياقيم الثالث (١٥٢٧-١٥٣١+١٥٣٤) ١١٨- ميخائيل السادس (١٥٣٤-١٥٤٣) ١١٩- يوياكيم الرابع (١٥٤٠-١٥٤٣+١٥٧٥) ١٢٠- مقار الثاني (١٥٤٣-١٥٥٠)

بين ١٥٥٠-١٥٧٦ أصبح الكرسي البطريركي الملكي شاغراً حتى انتخب ميخائيل السابع.

١٢١- ميخائيل السابع (١٥٧٦-١٥٩٣) ١٢٢- يوياكيم الخامس* (١٥٨١-١٥٩٢) ١٢٣- يوياقيم السادس (١٥٩٣-١٦٠٤) ١٢٤- دوروثاوس الرابع (١٦٠٤-١٦١٢) ١٢٥- اثناسيوس الثاني (١٦١٢-١٦٢٠) ١٢٦- اغناطيوس الثالث (١٦٢٠-١٦٣٤) ١٢٧- قرلس الرابع (١٦٢٠-١٦٢٧) ١٢٨- افتيموس الثاني (١٦٣٤-١٦٣٥) ١٢٩- افتيموس الثالث (١٦٣٥-١٦٤٧) ١٣٠- مقار الثالث (١٦٤٧-١٦٧٢) ١٣١- قرلس الخامس (١٦٧٢-١٦٧٢ و ١٦٨٢-١٧٢٠) ١٣٢- ناوفيط (١٦٧٢-١٦٨٢) ١٣٣- اثناسيوس الثالث (١٦٨٥-١٧٢٤)

بطاركة الملكيين الكاثوليك

١٣٤- قرلس الخامس (١٧٢٤-١٧٥٩) ١٣٥- اثناسيوس الرابع (١٧٥٩-١٧٦٠) ١٣٦- مكسيموس الثاني (١٧٦٠-١٧٦١) ١٣٧- ثاودوسيوس الخامس (١٧٦١-١٧٨٨) ١٣٨- قرلس الرابع (١٧٩٤-١٧٩٦) ١٣٩- اغابيوس الثاني (١٧٩٦-١٨١٢) ١٤٠- اغناطيوس الرابع (١٨١٢-١٨١٢) ١٤١- اثناسيوس الخامس (١٨١٣) ١٤٢- مقار الرابع (١٨١٣-١٨١٥) ١٤٣- اغناطيوس الخامس (١٨١٦-١٨٣٣) ١٤٤- مكسيمس الثالث (١٨٣٣-١٨٥٥) ١٤٥- اقليميس (١٨٥٦-١٨٦٤+١٨٨٢) ١٤٦- غريغوريوس الثاني (١٨٦٤-١٨٩٧) ١٤٧- بطرس الرابع (١٨٩٨-١٩٠٢) ١٤٨- قرلس الثامن (١٩٠٢-١٩١٦) ١٤٩- ديمتريوس (١٩١٩-١٩٢٥) ١٥٠- كيرلس التاسع مغبغب (١٩٢٥-١٩٤٧) ١٥١- مكسيموس الرابع الصائغ (١٩٤٧-١٩٦٧) ١٥٢- مكسيموس الخامس حكيم (١٩٦٧-٢٠٠٠) ١٥٣- غريغوريوس الثالث لحام (٢٠٠٠-٠)

أما بالنسبة لكنيسة أنطاكية للروم الأرثوذكس -بعد تعريبها- فقد كان لها البطريرك ملاتيوس الثاني دوماني (١٨٩٩-١٩٠٦) غريغوريوس الرابع (حداد) (١٩٠٦-١٩٣١)، الكسندروس الثالث (طحان)

---

*كان أول بطريرك ناقش عند زيارته لموسكو (١٥٨٦) مسألة ارتقاء الكنيسة الروسية إلى مصاف البطريركيات.

(١٩٣١-١٩٥٨)، ثيوذوسيوس السادس (١٩٥٨-١٩٧٠)، الياس الرابع (معوض) (١٩٧٠-١٩٧٩) والبطريرك اغناطيوس الرابع (هزيم) (١٩٧٩-٠)



المراجع*

باللغة العربية

١-أبو عز الدين، سليمان: ابراهيم باشا في سورية بيروت-المطبعة العمومية ١٩٢٩.

٢-الباشا، قسطنطين: تاريخ طائفة الروم الملكية والرهبانية المخلصية الجزء الأول صيدا-مطبعة دير المخلص ١٩٣٨، الجزء الثاني-صيدا مطبعة المخلص ١٩٤٥.

٣-المصري، ساطع: نشوء الفكرة القومية بيروت-دار العلم للملايين ١٩٦٤ ط ٥.

٤-الخاني، علاء الدين-كرد علي، بسام: تاريخ الوطن العربي دمشق-مطبعة الجمهورية ١٩٥٨.

٥-الخطيب، انور: خصائص الشخص الطبيعي بيروت-دار مكتبة الحياة ١٩٦٢.

٦-الدرة، محمود: القضية الكردية بيروت.

٧-السماك، محمد: الأقليات بين العروبة والإسلام بيروت - دار العلم للملايين ١٩٩٠.

٨-الشماس، يوسف: خلاصة تاريخ الكنيسة الملكية صيدا-المطبعة المخلصية - دير المخلص ١٩٥٢.

٩-العظمة، عبد العزيز: مرآة الشام، تاريخ دمشق وأهلها لندن - منشورات رياض الريس للكتب والنشر.

١٠- الكبوشي، الأب سليم رزق الله: الكنيسة اللاتينية في لبنان بيروت - منشورات مركز الأبحاث والدراسات المسيحية في الشرق.

١١- المعلوف، عيسى اسكندر: (العلوم والآداب) في (لبنان مباحث علمية واجتماعية) - نشرة اسماعيل حقي بك-الطبعة الأولى ١٩١٨- الطبعة الثانية ١٩٧٠ بيروت - منشورات الجامعة اللبنانية.

١٢- انطونيوس، جورج: يقظة العرب. تاريخ حركة العرب القومية ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس، تقديم نبيه فارس بيروت - دار العلم للملايين ١٩٨٠.

* حرصاً على دقة البحث فإن أي إغفال في ذكر اسم المترجم أو اسم دار النشر أو سنة الطبع في مراجع الكتاب يتحمل مسؤوليته ناشرو هذه المطبوعات.

١٣- بازيلي: سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي ترجمة د. يسر جابر بيروت - دار الحداثة ١٩٨٨.

١٤- بيهم، محمد جميل: العروبة والشعوبيات الحديثة بيروت - مطابع دار الكشاف ١٩٧٥.

١٥- توينبي، ارنولد: تاريخ البشرية جزأن بيروت - الأهلية للنشر والتوزيع ١٩٨٨.

١٦- جميل، الأب شمويل: تفنيد الأضاليل البروتستانتية بيروت - مطبعة الأباء اليسوعيين ١٩١٠-١٩١٢.

١٧- حتي، فيليب: خمسة آلاف سنة من تاريخ المشرق الأدنى مجلدان بيروت - الدار المتحدة للنشر ١٩٨٢ ط ٢.

١٨- حقي، اسماعيل: "ادارة معارف" في لبنان (مباحث علمية واجتماعية) بيروت منشورات الجامعة اللبنانية - الجزء الأول ١٩٦٩.

١٩- خضر، المطران جورج: الأرثوذكسية في الكراسي المشرقية (١٨٦٠-١٩٦٠) بيروت- منشورات النور ١٩٨٢.

٢٠- دى طرازي، فيليب: أصدق ما كان في تاريخ لبنان بيروت

٢١- ديك، الأب اغناطيوس: الشرق المسيحي بيروت - المكتبة البولسية ١٩٧٥.

٢٢- رستم، اسد: مدينة انطاكية العظمى بيروت - مطبعة الفنون ١٩٥٨.

٢٣- سميل، ر.س: فن الحرب عند الصليبيين ترجمة محمد وليد الجلاد دمشق - دار طلاس ١٩٨٥.

٢٤- سعدى، سعد: معجم الشرق الأوسط بيروت - دار الجيل ١٩٩٨.

٢٥- شكور، الأرشمندريت أدريانوس شكور: سيرة القديس مارون جونيه - المطبعة البولسية ١٩٨٧.

٢٦- صابات، خليل: تاريخ الطباعة في الشرق العربي القاهرة - دار المعارف ١٩٩١.

٢٧- صليبي، كمال: تاريخ لبنان الحديث بيروت - دار النهار ١٩٦٩.

٢٨- عبده، سمير: السريان قديماً وحديثاً عمان - المعهد الملكي للدراسات الدينية ١٩٩٧.

٢٩- عبده، سمير: المسيحيون السوريون خلال ألفي عام دمشق - دار علاء الدين ٢٠٠٠.

٣٠- عبده، سمير: المسيحيون السوريون قديماً وحديثاً دمشق - دار علاء الدين ٢٠٠٠.

٣١- عبده، سمير: المسيحيون السوريون على عتبة الألف الثالث دمشق - دار حسن ملص ٢٠٠٢.

٣٢- علي، د. جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام بيروت - دار العلم للملايين ١٩٧٨ ط ٤.

٣٣- عيساوي، شارل: تاريخ اقتصادي للشرق الأوسط وشمال أفريقيا ترجمة د.

صليب بطرس القاهرة - مكتبة الوعي العربي ١٩٨٧.

٣٤- فرزات، حرب. قاسمية، خيرية. طرشه، محمود: تاريخ العرب من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن السادس عشر دمشق-المطبعة الجديدة ١٩٥٩.

٣٥- قرألي، الخوري بولس: السوريون في مصر القاهرة - المطبعة السورية ١٩٢٨.

٣٦- كرد علي، بسام. حداد، جورج. مصطفى، شاكر. القواص، سعد الدين: تاريخ العرب والإسلام دمشق - مطبعة العلوم والآداب ١٩٥٣.

٣٧- مؤلفين، مجموعة: الإسلام والنصرانية من الصدام إلى الحوار حريصا - المكتبة البولسية ١٩٩٢ سعد غراب، عبده سلام.

٣٨- مؤلفين، مجموعة: المسيحية عبر تاريخها في المشرق بيروت - مجلس كنائس الشرق الأوسط ٢٠٠١ جيرار تروبو، المطران مارسويريوس اسحق ساكا، برنار هيبرجيه، ماتوشاك بوياجيان، كاترين - مايور - جلوين، الأب سليم دكاش، فرح فرزلي، استيريوس أرجيريو، الأب شفيق أو زيد.

٣٩- مجهول، مؤلف: مذكرات تاريخية عن حملة ابراهيم باشا في سورية تحقيق أحمد غسان سبانو دمشق - دار قتيبة.

٤٠- محفوظ، يوسف: مختصر تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية الكسليك - منشورات أوراق رهبانية ١٩٦٩.

٤١- مسعد، الأب بولس: المجمع البلدي بيروت - المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٩.

٤٢- وير، ثيموني: الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر بيروت - منشورات النور ١٩٨٢.

٤٣- يتيم، الأب ميشال والأب ديك، اغناطيوس: تاريخ الكنيسة الشرقية حلب - مطبعة الاحسان ١٩٦٣.

مجلات وكشوف

٤٤- مجلة الاجتهاد - بيروت العددان ٥٣-٥٤ السنة ١٣ خريف - شتاء العام ٢٠٠١-٢٠٠٢ الفضل الشلق.

٤٥- مجلة الكلمة - بيروت العدد ٨/٣٢ صيف ٢٠٠١ محمد محفوظ.

٤٦- مجلة المنارة - جونيه العددان الأول والثاني السنة ١٩٨٤/٢٥ نعيم بارود.

٤٧- مجلة الواقع - بيروت العدد الأول ٢- شباط السنة الأولى ١٩٨١ البرت حوراني.

٤٨- مجلة الواقع - بيروت العدد السابع والثامن السنة الأولى ١٩٨٤ بطرس لبكي.

٤٩- مجلة وجهات نظرة القاهرة العدد ١٤ السنة ٢ آذار ٢٠٠٠ محمد حسنين هيكل.

٥٠- مجلة الشرق - بيروت العدد ٣ السنة ١٨٩٩/٢ ١ شباط، مع مرجع آخر القس قرياقوس مخنوق.

٥١- مجلة الشرق - بيروت العدد ٢٠ السنة ١٨٩٩/٢ ١٥ تشرين الأول.

٥٢- مجلة الشرق - بيروت العدد ١٢ السنة ١٩٠٠/٣ ١٥ حزيران الأب لويس شيخو.

٥٣- مجلة الشرق - بيروت العدد ١٨ السنة ١٩٠٠/٣ ١٥ أيلول القسين ادى صليبا ابراهينا وبطرس نصري.

٥٤- مجلة الشرق - بيروت العدد ١٩ السنة ١٩٠٠/٣ ١ تشرين الأول الاب لويس شيخو.

٥٥- مجلة الشرق - بيروت العدد ٢ السنة ١٩٠٠/٣ ١٥ كانون الثاني.

٥٦- مجلة الشرق - بيروت العدد ٤ السنة ١٩٠٠/٣ ١٥ شباط الأب لويس شيخو.

٥٧- مجلة الشرق - بيروت العدد ١٨ السنة ١٩٠٢/٥ ١ أيلول.

٥٨- مجلة الشرق - بيروت العدد ٢١ السنة ١٩٠٢/٥ ١ تشرين الثاني.

٥٩- مجلة الشرق - بيروت العدد ٤ السنة ١٩٠٥/٨ ١٥ شباط الأب لويس شيخو.

٦٠- مجلة الشرق - بيروت العدد ١٧ السنة ١٩٠٥/٨ ١ أيلول.

٦١- مجلة الشرق - بيروت العدد ٦ السنة ١٩٠٦/٩ ١٥ آذار.

٦٢- مجلة الشرق - بيروت العدد ١١ السنة ١٩٠٦/١٠ ١ حزيران المونسنيور الكسندريان.

٦٣- مجلة الشرق - بيروت العدد ٨ السنة ١٩٠٦/٩ ١٥ نيسان.

٦٤- مجلة الشرق - بيروت العدد ٢١ السنة ١٩٠٧/١٠ ١ تشرين الثاني الخوري اسحق ارمله.

٦٥- مجلة الشرق - بيروت العدد ٣ السنة ١٩١٣/١٦ تموز القس بطرس نصري الكلداني.

٦٦- مجلة الشرق - بيروت العدد ٨ السنة ١٩١٣/١٦ آب الخوري اسحق ارملة.

٦٧- مجلة الشرق - بيروت السنة ١٩١٤/١٧ كانون الثاني الأب بولس عريس.

٦٨- مجلة الشرق - بيروت العدد ٩ السنة ١٩١٤/١٧ أيلول.

٦٩- مجلة الشرق - بيروت العدد ٣ السنة ١٨/*١٩٢٠ آذار.

٧٠- مجلة الشرق - بيروت العدد ٧ السنة ١٩٢٣/٢١ تموز الخوري اسحق ارملة، مع مرجع آخر الأب لويس شيخو.

٧١- مجلة الشرق - بيروت العدد ٩ السنة ١٩٢٣/٢١ أيلول الأب فردينان نوفل اليسوعي.

٧٢- مجلة الشرق - بيروت العدد ٢ السنة ١٩٢٤/٢٢ شباط الأب لويس شيخو.

٧٣- مجلة الشرق - بيروت السنة ١٩٣٠/٢٨ كانون الثاني الخوري بطرس روفائيل.

٧٤- مجلة الشرق - بيروت السنة ١٩٣١/٢٩ كانون الثاني الخوري بطرس راغب.

---

* توقفت المجلة أثناء الحرب العالمية الأولى، لهذا اختلفت سنواتها بالتتابع.

٧٥- مجلة الشرق - بيروت السنة ١٩٣٢/٣٠ آذار الخوري اسحق ارملة.

٧٦- مجلة الشرق - بيروت السنة ١٩٣٥/٣٣ تشرين الأول - كانون الأول الكسيس بوكوليوبسكي والأب جبرائيل لوفنك اليسوعي.

٧٧- مجلة الشرق-بيروت السنة ١٩٣٦/٣٤ كانون الثاني - آذار الخوري اسحق ارملة.

٧٨- مجلة الشرق - بيروت السنة ١٩٣٨/٣٦ كانون الثاني – آذار فؤاد افرام البستاني.

٧٩- مجلة الشرق - بيروت السنة ١٩٤٠/٣٨ كانون الثاني – آذار الخوري اسحق ارملة.

٨٠- مجلة الشرق - بيروت السنة ١٩٤٧/٤١ نيسان-حزيران، مع مرجع آخر الأب فردينان توتل.

٨١- مجلة الشرق - بيروت السنة ١٩٦٠/٥٤ كانون الثاني – شباط.

٨٢- مجلة الشرق - بيروت السنة ١٩٦١/٥٥ تموز - تشرين الأول الأب عبده خليفة.

٨٣- مجلة الشرق - بيروت السنة ١٩٩٣/٦٧ حزيران سامي حلاق.

٨٤- مجلة المسرة - حريصا السنة ١٩٢١/٧ الأرشمندريت ميشيل عساف.

٨٥- مجلة المسرة - حريصا السنة ١٩٥٠/٣٦ نيسان.

٨٦- مجلة المسرة - حريصا السنة ١٩٥٤/٤٠ شباط.

٨٧- مجلة المسرة- حريصا السنة ١٩٥٦/٤٢ شباط.

٨٨- مجلة المسرة - حريصا السنة ١٩٧٦/٦٢ أيار- حزيران الاكسرخوس يوسف نصر الله.

٨٩- مجلة المسرة - حريصا السنة ١٩٧٦/٦٢ تموز- كانون الأول الاكسرخوس يوسف نصرالله.

٩٠- مجلة المسرة - حريصا السنة ١٩٨١/٦٧ كانون الثاني - شباط.

٩١- مجلة المسرة - حريصا السنة ١٩٨٤/٧٠ أيلول - تشرين الأول الدكتور وسام كبكب.

٩٢- مجلة المسرة - حريصا السنة ١٩٨٥/٧١ تشرين الثاني - كانون الأول المطران بطرس الراعي.

٩٣- مجلة المسرة - حريصا السنة ١٩٨٩/٧٥ آب- ك١ المونسنيور لويس الديراني.

٩٤- مجلة المسرة - حريصا السنة ١٩٩١/٧٧ تشرين الثاني الارشمندريت اغناطيوس ديك.

٩٥- مجلة المسرة - حريصا السنة ١٩٩٥/٨١ تشرين الثاني.

٩٦- مجلة المسرة - حريصا السنة ١٩٩٦/٨٢ ك٢- شباط، مع مرجع آخر الأرشمندريت اغناطيوس ديك.

٩٧- مجلة المسرة - حريصا السنة ١٩٩٧/٨٣ ك٢- شباط المطران كيرلس بسترس.

٩٨- مجلة المسرة - حريصا السنة ٨٣/ ١٩٩٧ آذار- نيسان جاد الحاتم.

٩٩- مجلة المسرة - حريصا السنة ٨٣/ ١٩٩٧ أيار- حزيران الأب مشير باسيل عون.

١٠٠- مجلة المسرة - حريصا السنة ١٩٩٨/٨٤ ك٢- شباط الدكتور وسام كبكب.

١٠١- مجلة المسرة - حريصا السنة ١٩٩٨/٨٤ أذار- نيسان الدكتور وسام كبكب.

١٠٢- مجلة المسرة - حريصا السنة ١٩٩٨/٨٤ أيار - حزيران المطران بطرس المعلم.

١٠٣- دليل المسرة لعام ١٩٤٧ حريصا - مطبعة القديس بولس ١٩٤٧.

١٠٤- كشوفات البيانات الديمغرافية العدد ١١-٢٠٠١ بيروت - اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا ٢٠٠١.

١٠٥- المجموعة الاحصائية السورية لعام ١٩٤٩ السنة الثانية دمشق - مديرية الاحصاء: وزارة الاقتصاد الوطني ١٩٤٩.

١٠٦- المجموعة الاحصائية السورية لعام ١٩٥٦ السنة التاسعة دمشق - مديرية الاحصاء: وزارة الاقتصاد الوطني ١٩٥٦.

١٠٧- صحيفة الأنوار - بيروت ٢٠٠١/٤/٢٩.

١٠٨- صحيفة الحياة - لندن ١٩٩٨/٤/٢٦.

١٠٩- صحيفة الحياة - لندن ٢٠٠٠/٨/١٦.

١١٠- صحيفة الحياة - لندن ٢٠٠٠/٨/١٨.

١١١- صحيفة الحياة - لندن ٢٠٠٠/٨/٣٠.

١١٢- صحيفة الحياة - لندن ٢٠٠٠/٩/١٥.

١١٣- صحيفة الحياة - لندن ٢٠٠١/٥/١٣ رغيد الصلح.

١١٤- صحيفة الحياة - لندن ٢٠٠١/١٢/١١ مصطفى الفقي.

١١٥- صحيفة السفير - بيروت ١٩٩٨/١٠/١٢.

١١٦- صحيفة السفير- بيروت ٢٠٠١/٤/٣٠ نزار سلوم.

١١٧- صحيفة السفير- بيروت ٢٠٠١/١١/٢.

١١٨- صحيفة السفير - بيروت ٢٠٠٢/١١/٦ مصطفى الفقي.

١١٩- صحيفة النهار - بيروت ١٩٩٧/١/٢١ تصريح للمطران جورج خضر.

١٢٠- صحيفة السفير - بيروت ١٩٩٨/٩/١٥.

١٢١- صحيفة السفير - بيروت ٢٠٠١/١١/٢٧.

١٢٢- صحيفة السفير - بيروت ٢٠٠١/١٢/١٥.

١٢٣- صحيفة السفير - بيروت ٢٠٠١/١٢/٣١ تصريح للبطريرك اغناطيوس الرابع هزيم.

١٢٤- صحيفة السفير - بيروت ٢٠٠٢/١/٥ القس حبيب بدر.

١٢٥- صحيفة السفير - بيروت ٢٠٠٢/١/٢٦ .

١٢٦- صحيفة السفير - بيروت ٢٠٠٢/٢/٩ سركيس أبو زيد.

١٢٧- صحيفة السفير - بيروت ٢٠٠٢/٤/٣٠ تصريح للبطريرك اغناطيوس الرابع هزيم.

باللغة الأجنبية

128- **A.E.E. Levant (Syrie-Liban) no 104.**

129- **Annuaire 1986, vicariat Apostolique Latin. Alep-Syrié 10-11.**

130- **Benton, william – Superintendant: Archives of the American Bord commissioners: "Lebanon schools–monthy statement" – September 1862 – Bhambdun – mount Lebanon. Hougton Library, Harvard University – Cambridge – mass – U.S.A.**

131- **Britian, great, F.O. Correspondence Realating to the affairs of Syria 371/1236/ no 47157 (6 nov 1911).**

132- **Dagher, Carole: Bringing down the walls: Lebanon's post-war challenge. St martin's press, New York 2000.**

133- **Department of immigration and multicultural affairs, Australia 1996.**

134- **Khoury, george: Provence of Damascus PH. D. Disirtation the University of Michigan 1978.**

135- **Laurin, R.D: the political Role of minority group in mid.**

136- **MECC Documentation center (who are the christian of the middle east) MECC prepectives, October 1986.**

137- **Paul: V1 Octogesima adveniens, in Ducumentation Catholique, juin 1971.**

138- **Porter. J.L: five years in Damascus of the history tepograple including on accout of the travels and reslarches and antiquities of that city the palmyra – Lebanon and Houran, London**

1855.

139- Tiblich, p: Theologie of culture. New York 1964.

الفهرس

Samir Abdoh

Christian Denominations In Syria

Their Emergence,Development And

Enumeration

Hasan Malas Publishing House
P.O. Box 6174
Tel: 4419653
Fax: 4428005
E.mail- Mohaiman@net.sy
Damascus- Syria